من كتب المؤلف :

— Avant - messe maronite

– صلاة المؤمن (ثلاثة اجزاء)

– الليتورجيا الحيّة

القداس الماروني

دروس ونصوص

بقلم

الخوري بطرس الجميل

مكتبة فيلون الجبيلي
جبيل - بيبلوس - لبنان
BIBLIOTHEQUE
PHILON DE BYBLOS
JBAIL - BYBLOS / LIBAN
Discarded

الجزء الأول

بيروت ١٩٧٠

لا مانع من طبعه
١٥ شباط ١٩٧٠

+ **اغناطيوس زياده**
مطران بيروت

إليكَ يا أخي الكاهن أقدّم
كتابي هذا عن القداس
عربونَ تقديرٍ واحترامٍ لعملكَ
الصامت في خدمتكَ الشريفة

المقدّمة

ما هو القداس الماروني الحالي ، وكيف نقسمه ، وكيف ندرك معانيه ورموزه ، من أجل الاشتراك فيه اشتراكا أفضل ؟

هذه هي الاسئلة التي سعيت للاجابة عنها في هذا الكتاب .

ولا بد لمن يبغي الجواب الصحيح والعميق من الا يكتفي بالمعلومات السطحية والشروح العابرة ، بل عليه أن يغوص إلى أعماق التاريخ وأن يعود إلى المستندات والوثائق ليستقصي الاخبار ويدرك الأمور على حقيقتها . ولذلك فمن يشاء أن يفهم القداس الماروني عليه أن يطّلع على تاريخه وتطوره منذ البدء حتى اليوم وأن يقابله بالقداس في سائر الطقوس الشرقية عامة والانطاكية خاصة ليتضح له ما فاته استيضاحه من خلال المصادر المارونية وحسب .

ورب قائل إن هذا العمل يتطلب حياة من الجهد والبحث والتنقيب ! هذا صحيح ، واننا قد أنفقنا قسماً من العمر وراء هذا الهدف ، واننا لنعترف بأنه ربما كان من الأوفر أن نترك نتيجة العمل إلى ما بعد ! ولكن نصح الأخوة الناصحين ، ونشوة المجمع المسكوني لإصلاح الطقوس . ووقوع بعض الذكريات الغالية في هذا الظرف بالذات ، كل ذلك دفعنا إلى وضع

ما وصلنا إليه في متناول الجميع ليتمكن الجميع من إدراك بعض ما تعذّر عليهم ، وربما بذلك تسنح الفرصة للبعض الآخر للتعمق أكثر فأكثر في تاريخ القداس ومعانيه .

وكان بالامكان الاختيار بين طريقتين للاخراج : الطريقة العلمية البحتة المشبعة بالهوامش والاستنادات ، والطريقة التفسيرية القريبة المنال مع العود إلى المراجع عند اللزوم ، وقد آثرنا الطريقة الثانية ليكون هذا العمل في خدمة أكبر عدد ممكن من الذين يرغبون في تفهم القداس الحالي . ولكننا لم نستطع أن نتحرّر تماماً من ضرورة العودة إلى المستندات القديمة ، متوخين في ذلك تفهم الأمور كما يجب حتى نستطيع فيما بعد أن نستقبل عن وعي وادراك كل اصلاح طقسي تظهر ضرورته يوماً بعد يوم .

وللتوضيح نقول : قسمنا كتابنا إلى ثلاثة أقسام :

١ - **القسم الأول:** هدفه ، تقديم كتاب القداس الحالي من الناحية التاريخية . كيف وصل الينا ؟ من أين أتى ؟ سنتوقف بنوع خاص على درس طبع الكتاب للمرة الأولى ثم الطبعات المتتالية حتى يومنا هذا .

ولكن الكتاب المطبوع وحده لا يفي بالجواب ، بل علينا أن نعود عالياً في التاريخ لنعرف كيف كانت رتبة القداس في المخطوطات القديمة ، المارونية منها والانطاكية . وسنضطر ولو سريعاً إلى القاء نظرة شاملة على حال القداس في بلاد سوريا في القرون العشرة الاولى .

٢ - **القسم الثاني :** هدفه ، شرح القداس الحالي : الخطوط الكبرى ، الاقسام المختلفة ، النصوص ، الرموز ، الحركات ، الصلوات ، التراتيل ... ما معنى كل هذا ؟ سيكون هذا القسم قلب الكتاب ومخّه لأنه سيسعى إلى تفسير كل شيء عن القداس الحالي .

٣ — **القسم الثالث :** هدفه : وضع ثمرة الدرس والاختبار بين يدي العارفين ومحبي الليتورجيا ، أي تقديم بعض النصوص الطقسية على سبيل الاعلام ، علّها تساعد البعض على تفهم الجوهر وعلى أمل أن تكون قاعدة بحث جدي في سبيل اصلاح طقسي مستند على العلم من جهة وعلى الاختبار الرعوي من جهة ثانية .

ويسعدنا على كل حال أن يصدر الكتاب في ذكرى مرور ربع قرن على تأسيس « الرابطة الكهنوتية » التي عملت وتعمل في سبيل الكاهن والليتورجيا ، وأننا لنسدي شكرنا إلى هذه « الرابطة » التي أخذت على عهدتها نفقة اصدار هذا الكتاب . ولا يسعنا أيضاً إلاّ أن نذكر الذين عملوا الكثير في سبيل طقوسنا المارونية وخاصة يوسف شمعون السمعاني الذي مرّ على وفاته أكثر من قرنين والبطريرك اسطفان الدويهي الذي نذكره هذه السنة لمرور ثلاثمائة سنة على ارتقائه السدة البطريركية .

والله نسأل في نعمة المجمع المسكوني الذي أنعش الكنيسة بنغمة طقسية سماوية أن ينشر علينا أنواره لندرك أسراره فنرى ان الليتورجيا الحقة انما هي انعكاس جمالات السماء على الأرض .

بيروت ، في عيد مار مارون ١٩٧٠ — **الخوري بطرس الجميل**

القِسمُ الأول

١ ــ **الفصل الأول** : طبع كتاب القداس الماروني

١ ــ الطبعة الأولى **١٥٩٤**

٢ ــ الطبعة الثانية **١٧١٦**

٣ ــ الطبعة الثالثة **١٧٦٣**

٤ ــ الطبعة الرابعة **١٨١٦** ، الخامسة ، **١٨٣٨** ، السادسة **١٨٥٥** ، السابعة **١٨٧٢**

٥ ــ الطبعة الثامنة **١٨٨٨**

٦ ــ الطبعة التاسعة **١٩٠٨** (الحالية)

٧ ــ الطبعة العاشرة **١٩٥٩** (طبعة خاصة)

٢ ــ **الفصل الثاني** : طبع خدمة القداس الماروني أو كتاب الشماس .

٣ ــ **الفصل الثالث** : القداس الماروني من خلال المخطوطات السابقة للطبع . (حتى الخامس عشر)

٤ ــ **الفصل الرابع** : القداس الماروني بين القرن الخامس عشر والعاشر .

٥ ــ **الفصل الخامس** : القداس الماروني ما قبل القرن العاشر .

الفصل الأول

طبع كتاب القداس الماروني

الطبعة الأولى

أولاً : الأحداث السابقة للطبعة .

ثانياً : ظهور الطبعة الأولى ومضمونها .

ثالثاً : المخطوط الاصلي .

رابعاً : الفوارق بين المخطوط الأصلي وبين الكتاب المطبوع .

خامساً : أصداء الطبعة الاولى في الطائفة .

أولا : الاحداث السابقة للطبعة

ظهرت الطبعة الاولى لكتاب القداس الماروني في روما سنة ١٥٩٤ . وسنعود فيما بعد إلى تفصيل كيفية الظهور وإلى مضمون الكتاب . لكننا نتوقف الآن على الأحداث التي سبقت هذه الطبعة وهيأتها : ترتكز هذه الأحداث على زيارتي القاصد الرسولي « اليانو » للطائفة المارونية سنة ١٥٧٨ ، ١٥٨٠ وعلى تأسيس المدرسة المارونية في روما سنة ١٥٨٤ .

١ – زيارة اليانو الأولى ١٥٧٨ [١] :

ولد يوحنا باطيشتا اليانو في الاسكندرية سنة ١٥٣٠ من أبوين يهوديين ، وكان جده لأمه من أشهر علماء اليهود في النحو واللغة وهو الذي اعتنى بتربيته من بعد موت أبيه . ارتد اليانو إلى النصرانية والتحق بالرهبانية اليسوعية وعيّن مدرّساً للغتين العبرية والعربية في المدرسة الرومانية الشهيرة من السنة ١٥٦٣ إلى ١٥٧٧ . وفي هذه السنة بالذات أوفد البطريرك الماروني مخايل الرزي إلى روما المطران جرجس اسقف الشام والاب اقليمس الاهدني ليطلبا له درع التثبيت ويقدما خضوعه للبابا طالبين بالوقت نفسه النظر في أمر الطائفة وقضاياها الداخلية .

وكل البابا أمر الموارنة إلى الكردينال كارافا فاتصل الكردينال بالرئيس العام للرهبانية اليسوعية وأوفدت بعثة من ثلاثة يسوعيين يزورون البطريرك والطائفة ويتفقدون شؤونها وهم : الأبوان يوحنا باطيشتا اليانو ، وتوما راجيو ، والأخ المساعد ماريو اماتو . ركبوا البحر مع المطران جرجس والاب اقليمس في منتصف نيسان ١٥٧٨ وبلغوا طرابلس في أواسط حزيران من السنة نفسها . وكانت التوصيات إلى اليانو وهو الضليع من اللغات السامية ، أن يطّلع على الكتب الطقسية والروحية المارونية ليتعرّف بالضبط على المعتقد الماروني وينتزع منه « الهرطقات » ان وجدت . وقد ترك لنا اليانو مذكراته عن اتصالاته بالموارنة وعن انطباعاته حول المعتقد الماروني ويظهر من خلالها أنه كان يعتبر « هرطقة » كل ما يخالف العادات اللاتينية في ذلك العصر [٢] . وعلى سبيل المثل :

---

(١) لكل هذه البعثة وتفاصيلها ، راجع : لويس شيخو ، الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، بيروت ١٩٢٣ (ظهرت تباعاً في المشرق) .

(٢) راجع : J. Féghali, Histoire du droit de l'Eglise Maronite , 1962, p. 52ss.

لمذكرات اليانو ، راجع :

Thomas de Jésus, de unione schismaticorum, Migne, Theologiae cursus completus, Paris 1840, col. 679-698.

« عند الموارنة،يتناول العلمانيون تحت الشكلين ، ولذلك يجب ابعاد العلمانيين عن المناولة تحت الشكلين بسبب خطر تعريض الدم المقدس للهرق » .

« كاهن واحد يقدس، وسائر الكهنة يشتركون بدون أن يتشحوا بالملابس الكهنوتية وبدون أن « يقدسوا » لكنهم يتناولون...ويظنون هكذا أنهم أقاموا قداساً عن الاحياء والأموات ... »

نفهم من ذلك استعدادات اليانو قبل زيارته الرسولية للموارنة. أما تفصيل الزيارة الأولى ، فها هو المهمّ عنها :

اطّلع اليانو على حالة الطائفة وعلى الخلاف الواقع بين البطريرك وبعض الاساقفة ، ثم اطلع على الكتب الطقسية والدينية وزار الرعايا واطّلع على حالة الكهنة ، وفي آخر المطاف وضع تقريراً مفصلاً عن معتقد الموارنة وعما يزعم من أضاليل ما هي بالواقع الا بعض التقاليد الشرقية غير المألوفة في الطقس اللاتيني ، وكان في نيته طبع الكتب الطقسية « مصححة منقحة » . وعند عودته إلى روما في أواخر ١٥٧٩ رفع تقريره إلى البابا وقد بالغ في الأمور ليقنع البابا بضرورة اقامة عمل دائم في خدمة الموارنة ، ومن قوله في التقرير: « لا بدّ من اعانة الطائفة المارونية باصلاح اكليروسها ، وذلك بأن نستجاب إلى روما عدداً وافياً من الأحداث أو الشبان ليتخرّجوا في الآداب الدينية ... وينبغي أن تنشأ في روما مطبعة تنشر فيها الكتب العربية والسريانية التي يحتاج إليها الموارنة في كنائسهم حتى تقوم هذه المطبوعات المنقّحة مقام الكتب الخطية التي يستعملونها والتي سرت فيها بعض الأضاليل فيحرقونها لاستغنائهم عنها بما هو أفضل » [1] .

سرّ البابا جداً بالتقرير وباقتراحات اليانو وقابله مقابلة خاصة قائلاً له :

(١) راجع : شيخو ، الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية ... ص ٣٢

« اني قد صممّت النيّة على ان اوفدك ثانية مع رفيقك إلى الموارنة ، فتنجز ما باشرت به لنفع هذه الطائفة ، وقد أمرت باعداد المطبعة لنشر كتبهم الطقسية »(١)

أما بما يختص بالشباب الاكليريكيين ، فقد اقترح اليانو انشاء مدرسة اكليريكية للموارنة ، في روما ، وقد وفّق باثنين من الشبان الموارنة أصحبهما معه إلى روما فادخلا مدرسة الأحداث بانتظار تتميم المدرسة الجديدة .

٢ – زيارة اليانو الثانية : ١٥٨٠ – ١٥٨٢

عاد اليانو إلى لبنان برفقة الاب برونو وبلغ طرابلس في ٢٩ حزيران ١٥٨٠ وهو يحمل معه نسخ كتاب التعليم المسيحي المطبوع بالأحرف الكرشونية سنة ١٥٨٠ ، وحمل أيضا نحو ٣٠٠ كاس وحالاً كهنوتية وقوالب برشان ... إلى ما هنالك من هدايا عرضها على السيّد البطريرك . فكلّفه البطريرك بزيارة الرعايا وتوزيعها على الكنائس كما أنه كتب يوصي باستقبال الرسولين وبتسهيل مهمتهما لتفحص الكتب الطقسية الموجودة في الكنائس .

وكانت النتيجة أن قضى اليانو وقته يزور الرعايا موزعا كتب التعليم المسيحي متفحصاً الكتب الطقسية فيجمع كل ما يظنه يتضمن « أضاليل » ويحرقه بالنار واعداً أصحابها بأن الاب الاقدس سيطبع أحسن منها ويرسله اليهم من روما (٢) .

لن نتوقف على كل أهداف رحلة اليانو الثانية – ومن أهمها اقامة مجمع للطائفة لتطبيق قوانين المجمع التريدنتيني – بل يكفينا أن نتعرف إلى هذه الأحداث

(١) وافق البابا على انشاء هذه المطبعة وتم حفر حروفها وباشر اليانو بطبع كتاب التعليم المسيحي الذي حمله معه إلى لبنان في رحلته الثانية سنة ١٥٨٠ ، ولا تزال احدى النسخ محفوظة في مكتبة فريبورج ، سويسرا . راجع شيخو ، ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) راجع : P.E. Gemayel, Avant-messe maronite, Rome 1965, (note sur la première édi tion du missel, p. 98-101).

لتتضح لنا كيفية طبع كتاب القداس في روما فيما بعد . بالواقع ، لم يرجع اليانو رأساً إلى روما بل ارسل بمهمّة مستعجلة إلى الاقباط في مصر وبقي هناك حتى سنة ١٥٨٥ . في هذه السنة كانت المدرسة المارونية قد انشئت في روما ، وكانت المطبعة جاهزة للطبع ، لكن كتاب القداس لم يظهر إلا سنة ١٥٩٤ ، من بعد وفاة اليانو بخمس سنوات . لقد مات قبل أن يرى الكتاب المطبوع لكنه كان قد مهد له السبيل بتأسيس المدرسة المارونية والمطبعة ذات الحروف السريانية والكرشونية .

ثانيا: ظهور الطبعة الاولى ومضمونها

صدرت الطبعة الأولى للقداس الماروني عن المطبعة الماديشية في روما تحت عنوان : Missale chaldaïcum juxta ritum Ecclesiae nationis maronitarum,

وهي تحمل اول تاريخ سنة ١٥٩٢ [١] ثم تاريخاً ثانياً ١٥٩٤ [٢] . وربما كان هذا التفاوت بسبب حفر الصفحة الاولى في بدء الطبع والصفحة الثانية في آخر العمل الذي استغرق نحو السنتين .

يتألف الكتاب من ٢٦٨ صفحة مرقمة . يضاف اليها مقدمة في ذات التاريخ ١٥٩٤ وكراس الحق بالطبعة الاولى من بعد السنة ١٦٠٨ . اما مضمون الكتاب بكامله فهو :

١ ــ المقدمة : رسالة من تلامذة المدرسة المارونية إلى البابا اقليمس الثامن سنة ١٥٩٤ ، يُفهم منها أن البطريرك الماروني كان قد أرسل إلى البابا

---

(١) على الصفحة المكتوب فيها عنوان الكتاب بالسريانية .

(٢) على الصفحة المكتوب فيها عنوان الكتاب باللاتينية .

غريغوريوس الثالث عشر بعض الكتب الطقسية لتطبع في روما من أجل خدمة المؤمنين ، وقد تحقق بعض هذا الرجاء اليوم بانجاز طبع كتاب القداس ، وكان ذلك أيضاً بتحريض وتشجيع الكردينال كارافا . وقد ظهر كتاب القداس بعد موت البابا والكردينال المذكورين لكن الفضل في ذلك أيضاً يعود إلى قداسته المالك سعيداً وإلى الكردينال باليوتي المهتم بشؤون الموارنة . وما الرسالة المقدمة الآ عربون شكر واحترام وخضوع باسم تلامذة المدرسة وباسم طائفتهم .

٢ ــ القداس الماروني بكامله منذ البدء حتى النهاية بحسب نافور «مار كسيسطوس بابا روميه »، ومع ثلاثين قراءة مختارة من الانجيل المقدس لأهمّ أعياد السنة تذكاراتها ، وهي بالسريانية منقولة عن « البسيطه »،وقد وضعت في محل وتلاوة الانجيل في القداس .

٣ ــ أربعة عشر نافوراً منسوبة إلى الآتية أسماؤهم :

١ ــ كسيسطوس بابا روميه

٢ ــ يوحنا فم الذهب .

٣ ــ يوحنا الانجيلي .

٤ ــ بطرس رئيس الرسل ، بابا روميه

٥ ــ الرسل القديسين الاثني عشر .

٦ ــ ديونيسيوس .

٧ ــ قوريللس .

٨ ــ متى الراعي .

٩ ــ يوحنا البطريرك الذي هو برشوشن .

١٠ – اوسطاتيوس .

١١ – ماروتا متروبوليت تغريت .

١٢ – يعقوب أخي الرب .

١٣ – مرقس البشير .

١٤ – بطرس رئيس الرسل (شَمَرَرْ) .

٤ – خمس صلوات تدعى « الختام » وتقال في آخر القداس .

٥ – « رتبة عمل الماء المبارك على عادة كنيسة روميه » .

٦ – « بركة الشمع » .

٧ – « بركة المكان والموضع » .

٨ – « طلبات تقال قبل وبعد تناول القربان المقدس » ، منها للقديس توما الاكويني ومنها لبوناونتورا ، وقد جاء في آخرها ما يلي :

« هولاي الطالبات فسرّهن من لسان الرومي أي اللاطين (كذا) للسرياني ؛ جرجس من بيت عميرا الهدناني من جبل لبنان » .

– المرجع الآذن بطبع الكتاب : « طبع بروميه بأمر المتولّين » الاخ توما ده تراشينا من رهبانية الاخوة الواعظين « نظر ولم يجد شيئاً ضد الايمان والأخلاق العامة بل كل شيء بحسب ايمان الكنيسة الرومانية المقدسة . »

٩ – طبع في رومية باذن الرؤساء سنة ١٥٩٤ للتجسد في عهد حبرية البابا اقليمس الثامن ، السنة الرابعة ... والكردينال باليوتي المحامي عن الموارنة ، وسركيس الرزي بطريرك الموارنة .

١٠ – الملحق عن حياة مار مارون بالسريانية واللاتينية من سنة ١٦٠٨ وقد ورد في آخره : « انا يعقوب برونيوس الكردينـــال قد تكلمت مع معلمنا

وسيدنا البابا بولس الخامس من أجل نشر كتاب قداس الموارنة المطبوع سالفاً ، فارتضى قداسته بأن ينشر مع وضع هذه المقدمة »[1] .

هذا هو مضمون الكتاب . مع العلم أن نسق القداس شبيه جداً بالقداس الحالي . هذا لا يعني أنه مطابق له في كل التفاصيل فهناك بعض الأمور البسيطة التي سقطت أوتحوّرت فيما بعد . مثلاً : ذكر الملعقة للمناولة ، ووضع صلاة الاستغفار « اللهم اسألك » في بدء القداس قبل الصعود إلى المذبح ، وترجمة أكثر صلوات نافور مار قوريللس إلى العربية بما فيهاالكلام الجوهري ، وامكانية استخدام النافور الماروني القديم « شرر » ، ومثلاً ابقاء تتميم المناولة وتطهير الآنية إلى ما بعد صرف الشعب . لكنه لا بد من ذكر هذه الفوارق بالتفصيل .

ثالثا : المخطوط الاصلي

هل المخطوط الذي أخذت عنه الطبعة لا يزال محفوظاً ام قد فقد ؟

من بين مخطوطات المكتبة الوطنية في فلورنسا في اللغة السريانية ، مخطوط رقم ٧٩ [2] وهو القسم الأول من القداس ، ومخطوط ثان رقم ٧٤ [3] ، وهو القسم الثاني أي النوافير . وبين القسم الأول والقسم الثاني مخطوط ثالث فقد وكان يتضمن من عند قراءة الرسائل حتى ما بعد الانجيل ثم بعض النوافير .

---

(١) كان دنديني قد حمل معه إلى البطريرك سنة ١٥٩٦ مائتي نسخة من كتاب القداس بدون هذا الملحق الذي طبع فيما بعد، وطبع في غير المطبعة التي صدر عنها كتاب القداس .

(٢) Firenze, Biblioteca Nazionale, fondo siriaco, cl. III 79.

(٣) Ibid., cl. III/74.

يظهر ذلك بوضوح من ترقيم الكراريس في المخطوطين السابقين اذ كانت العادة أن يرقم كل كرّاس (١٠ صفحات) بحرف من الأبجدية السريانية. فالمخطوط الأول كراسان (الف ، باء = ١ ، ٢) والمخطوط الثاني من ياء الف حتى كاف دال = من ١١ إلى ٢٢) فيكون القسم الضائع بين الاثنين من حرف جيم (٣) إلى حرف ياء (١٠) .

ومن يرجع إلى المخطوطين المذكورين يتبين له أنهما كانا بالأساس مخطوطاً واحد جُزّيء فيما بعد وسلم منه ما سلم .

وصف المخطوط : نسخ في محبسة دير قزحيا (لبنان) سنة ١٥٦٦ على يد الحبيس مخايل الذي انتخب بطريركا سنة (١٥٦٧ — ١٥٨١) وهو أخو سركيس الذي انتخب بطريركا بعده سنة (١٥٨١ — ١٥٩٦) . وقد ورد في آخر المخطوط الحاشية التالية :

... « وكان كماله في سنة ١٨٧٧ يونانية (١٥٦٦ م) في الصوم المقدس على يد الخاطي ... مخايل ... اجعل يا رب ذكراً صالحاً لابهاتي ولاخواتي الروحانيين الاب الخوري موسى والأخ الروحاني والجسداني القس سركيس ، والاخ القس يعقوب ، والاخ القس اقليمس ، والاخ الشماس جرجس الكرمسداني التاعبين في شغل الحبس ... والله يذكر اخوتنا الرهبان القاطنين معنا يومئذ في الوادي المبارك قوزحيا ... وهو برسم الاخ اقليمس القاطن في مار يوحنا استقناه من ماله لنفسه » .

في هذه الحاشية عدة أسماء ستلعب دورها في حياة الطائفة فيما بعد . فالناسخ أصبح بطريركا وهو الذي زاره اليانو . وأخوه سركيس أصبح بطريركا من بعده وهو الذي طبع كتاب القداس في عهده ، والاخ اقليمس هو الذي أرسله البطريرك مخايل إلى روما لمقابلة البابا وطلب درع التثبيت وحلّ

قضايا معقدة في الطائفة .

ويحمل الينا المخطوط حواشي أخرى منها :

« فلما كان تاريخ ١٥٧٠ حضر لعندنا اوردیان [١] القدس الشريف قسيس ريس القدس جوان فرنسيسكو ارزينيانو ورفيقه قسيس جواني من عند أبونا البابا بيوس الخامس » [٢] ووردت أيضا حاشية ثانية تدل على أن المخطوط كان ربما في روما سنة ١٥٧٨ ، وفيها ما يلي :

« مطران جرجس (البسلوقيّي) والقس اقليمس كانوا في روما سنة ١٥٧٨ وعادا إلى جبل لبنان مع ثلاثة آباء من « جيزو Gesu » [٣] مرسلين من قبل قداسته ، الأب يوحنا المعمدان اليانو ، والاب توما راجيو ، والاخ ماريو اماتو ١٥٧٨ » .

أما المعطيات الأخرى عن المخطوط فهو أنه كان بحوزة المدرسة المارونية اذ سجّل اسمها باللاتينية على الصفحة الأولى . أما كيف وصل إلى المكتبة الوطنية في فلورنسا فقد بلغ اليهاهبة من قبل انطونيو ماليابكي (+ ١٧١٤) الذي كان مشغوفاً بجمع المخطوطات النادرة والذي وهب مكتبته لفلورنسا من بعد موته . ويصعب علينا أن نجد جواباً على كيفية حصول ماليابكي على المخطوط فهناك احتمال شرائه من أحد مخازن فلورنسا للأشياء القديمة . ولا نظن أن لطبع كتاب القداس في مطبعة الماديشيين الفلورنسيين علاقة ببيع المخطوط في فلورنسا ، بل هي صدفة من صدف الزمان .

---

(١) Guardiano أي حارس ، رئيس الدير .

(٢) المخطوط ص ٤٠

(٣) مركز الرهبانية اليسوعية في روما

هل المخطوط المذكور هو بالواقع المخطوط الأصلي لكتاب القداس ؟ [1]

يتبين لنا الجواب من الادلّة الآتية :

١ — يحمل هذا المخطوط طابع وتوقيع الأشخاص المكلفين بتفحص كتاب القداس قبل طبعه : « توما ده تراشينا » وقد ظهر اسمه في اخر طبعة كتاب القداس ، والكردينال باليوتو ، وظهر اسمه أيضاً في الطبعة ، ثم الاب يوحنا المعمدان الحصروني الماروني الدومينيكاني ، والاب ده ميراندا .

٢ — يوافق الكتاب المطبوع نسق الكتاب المخطوط مع كافة الاصلاحات التي جرت على النص الأصلي [2] . وعمل المصلحون بنوع خاص على ابدال الكلام الجوهري في النوافير بالكلام الجوهري المأخوذ عن القداس اللاتيني ، كما أصلحوا نص دعوة الروح القدس وبعض النصوص في القسم الاول من القداس. وقد جاء الكتاب المطبوع منقولاً حرفياً عن هذه النصوص المصحّحة .

٣ — بين النوافير الواردة في المخطوط ، نافور للقديس قوريللس وقد جاء فيه الكلام الجوهري باللغة العربية ، فجاءت الطبعة منقولة حرفياً عن المخطوط حتى فيما يختص بالكلام الجوهري باللغة العربية .

هناك صعوبة بسيطة جعلت البعض يشكون من اصالة نسبة المخطوط وهي اضاعة القسم المختص بالقراءات وبعض النوافير ثم تغيير نظام بعض النوافير في المخطوط رقم ٧٤ .

فالكتاب المطبوع يعطي النوافير بحسب النظام التالي :

---

(١) لا مجال هنا للرد على الأحكام الصادرة في كتاب « موجز علم الليتورجيا » لحضرة الخوري ميشال البريدي (صفحة ١٥٣ — ١٨٥) .

(٢) هناك أمور بسيطة موجودة في المخطوط وغير مطبوعة في الكتاب ، ولكنها ثانوية جداً ربما جرى تبديلها في المطبعة نفسها .

كسيسطوس ، يوحنا فم الذهب ، يوحنا الانجيلي ، بطرس ، الاثني عشر ، ديونيسيوس ، قوريللس ، متى الراعي ، برشوشن ، اوسطاتيوس ...الخ...

فالشطر الضائع من المخطوط كان يتضمن النوافير الاولى ، ولذلك فتكون المفقودة هي الآتية : كسيسطوس ، يوحنا فم الذهب ، يوحنا الانجيلي ، بطرس . أما الباقية في المخطوط فقد وردت بحسب النظام الآتي :

قوريللس ، الاثني عشر (ناقص في أوله) ، ديونيسيوس ، متى ...

بينما الكتاب المطبوع يورد : الاثني عشر ، ديونيسيوس ، قوريللس ، متى ... وتزول الصعوبة اذا ما تفحصنا الكراريس عن قرب فنجد أن النظام الأساسي كان كما ورد في الطبعة ، لكن بعض الأوراق والكراريس قد سقطت فأعيد ضمها خطأً إلى المخطوط عند التجليد .

لذلك لا شك في أن المخطوط المذكور هو نفسه الذي نقلت عنه الطبعة الأولى .

من هو المسؤول أو من هم المسؤولون عن الطبعة الأولى ؟

لا بدّ هنا من أن نذكر عدة أسماء لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذه الطبعة .

١ – البطريرك مخايل الرزي : في سنة ١٥٦٨ كتب البطريرك إلى البابا بيوس الخامس يطلب اليه طبع كتاب القداس في روما [١] وذلك بواسطة الرسالة التي حملها الراهب الفرنسيسكاني ايرونيموس إلى البابا . ثم لا شك في أنه أعاد الطلب بواسطة اليانو .

(١) Borg. lat. 158, fol 39

٢ ـ اليانو : كان يزور الرعايا ويتلف المخطوطات القديمة ويعد الشعب بأنه سيرسل اليهم كتبا مطبوعة في روما . وقد أنشأ كما رأينا مطبعة للغات الشرقية وطبع كتاب تعليم مسيحي حمله معه في رحلته الثانية .

٣ ـ يوحنا الحصروني : من الاسماء التي لم تظهر في الكتاب المطبوع اسم ماروني من حصرون انضمّ إلى رهبانية عبد الأحد بعد أن سافر إلى روما ليكون من تلامذة المدرسة المارونية وهو يوحنا الحصروني . وقد ورد توقيعه في الصفحات الأخيرة من المخطوط المعدّ للطبع بهذا الشكل : « انا قسيس حنا المعمداني ابن شدياق حاتم ابن شدياق شمعون الحصروني من رهبان مار دومينيكوس أشهد على أن بهذا الكتاب المطبوع ليس يوجد شيء يضادد للايمان القاثوليقي ولا لحشمة ولادب النصارى . الصالح » . ان هذا التوقيع يساعدنا على اكتشاف خط الدومينيكاني الماروني في كثير من الاصلاحات التي جرت على المخطوط الأصلي . هذا مع العلم أنه أصلح أيضاً خدمة القداس الماروني التي ظهرت مطبوعة سنة ١٥٩٦ ونجد اصلاحاته على مخطوط الخدمة الأصلي كما اننا نجد توقيعه الرسمي على كتاب الخدمة المطبوع . وكان أيضاً أحد الفاحصين للغراماطيق السرياني اللاتيني الذي ألّفه جرجس العميرا، وطبع في روما سنة ١٥٩٦ (١) .

أما مختصر حياة الحصروني فهو أنه سافر من حصرون إلى المدرسة المارونية مع ثلاثة آخرين من بعد بعثة اليانو الثانية وهو بعمر ١٥ سنة ، فبلغ روما في ٢٧ شباط ١٥٨١ (٢) . ومن بعد عشر سنوات أنضمّ إلى الرهبانية الدومينيكانية كما ورد في حاشية أحدى المخطوطات المحفوظة في دير الشرفه : « أنا راهب

(١) جاء توقيعه في الغراماطيق باللاتينية « أنا يوحنا المعمداني بن فهد الماروني ... »
Ego Joannes baptista Leopardus maronita e Libano ord. praed.

(٢) شيخو ، الطائفة المارونية .. ص . ٧٢

يوحنا المعمدان الحصروني الدومينيكاني صرت راهب سنة ١٥٩١ مسيحية واعتقدت بالرهبنة نهار عيد مولد يوحنا المعمدان في دير مار مرقس بمدينة فاورنسيا »[1] .

وقد عاد إلى لبنان فسامه البطريرك اسقفا وأرسله من جديد إلى البابا سنة ١٦٠٣ ، وهذا بشهادة المقدمة الواردة في كتاب مخائيل الحصروني عن الحساب الغريغوري والمطبوع في روما سنة ١٦٣٧ وقد جاء فيها :

« لما كانت سنة ١٦٠٣ مسيحية بعث البطريرك يوسف من بيت الرز من جبل لبنان المطران يوحنا الراهب الدومينيكاني الملقّب الحوشبي ابن شدياق حاتم ابن الشدياق شمعون من قرية حصرون إلى عند أبي الآباء ورئيس الرؤساء بابا روميه ... » .

وورد أيضاً ذكر الحصروني في مقدمة الغرامطيق السرياني لابراهيم الحاقلاني المطبوع في روما سنة ١٦٢٨

كل ذلك يثبت ان الحصروني هو من بين المسؤولين عن تصليح بعض ما ورد في المخطوطة الأصلية عن القداس . اننا نجهل بالتدقيق الدور الذي لعبه الحصروني ، لكنه يصعب على الناظر بعين سليمة ألاّ يتعرف على خط الحصروني في التعليقات الظاهرة في مخطوط القداس والخدمة فيما بعد . هذا لا يعني أن الحصروني صاحب كل الاصلاحات بل بعضها. ذلك معروف من قلمه « الرفيع » الاسود ومن خطه يخونه عندما يكتب ويمحو ويسقط ويضيف ، كل كما يظهر في المخطوطات الأصلية .

٤ — جرجس العميرا : دخل المدرسة المارونية سنة ١٥٨٣ وتخرج منها

---

(١) اسحق ارملة ، الطرفة في مخطوطات دير الشرفة ، ١٩٣٦ ، ص ١٦٤ .

ثم عاد إلى لبنان سنة ١٥٩٥ . أما دوره في طبع الكتاب فقد ظهر من تفسير بعض الصلوات الخاصة التي تقال بعد القداس والتي نقلها العميرا عن اللغة اللاتينية [١] . وكان عميرا معروفاً بتضلعه من اللغة السريانية وقد ألّف غراماطيقياً لهذه اللغة طبع في روما سنة ١٥٩٦. وعن العميرا هذا قال دنديني في مذكراته عن رحلته إلى جبل لبنان سنة ١٥٩٦ : « انه ألّف أول غراماطيق سرياني وأنه اهتم بطبع كتاب القداس في روما ... وقد رأيته أهلاً لأن يهتم بكتاب الرتب والفرض وغيره وخاصة أنه رجل ذكي وغيور أكثر من غيره على الأمور الكنسية والرومانية ... وأنه يستطيع أن ينمي في هؤلاء الناس (الموارنة) العبادة لله بحسب الطقوس الكاثوليكية الصحيحة [٢] » .

من بعد عودة العميرا إلى لبنان رفض البطريرك سيامته كاهناً — وربما كان ذلك بسبب رفض البطريرك كتاب القداس كما سنرى فيما بعد — ولم يقبل سيامته إلاّ سنة ١٥٩٦ من بعد الحاح القاصد الرسولي دنديني . صار العميرا اسقفا سنة ١٦٠٠ ثم بطريركا سنة ١٦٣٣ وكان له تأثير كبير على ليتنة الطقوس المارونية .

٥ — موسى العنيسي : دخل المدرسة المارونية سنة ١٥٨٣ وصار اسقفا على العاقوره حول السنة ١٥٩٦ وتوفي سنة ١٦٠١ . ساهم في ترجمة بعض التبريكات من اللاتينية إلى العربية كما هو ظاهر في آخر الطبعة الأولى [٣]

٦ — مجهولون: لا شك في أن هناك أشخاصاً عملوا في الطبعة الأولى ولم تصل الينا اسماؤهم . وكنا نودّ مثلاً أن نعرف اسم الذي أجرى اصلاحات

(١) الطبعة الأولى ، ص ٢٦٧

(٢) Dandini, Missione Apostolica al Patriarca e Maroniti del Monte Libano, Cesena 1656, p. 118.

(٣) ص ٢٦٠

جوهرية على نصّ القداس مثل ترجمة الكلام الجوهري من القداس اللاتيني إلى اللغة السريانية بالشكل الحرفي الذي قام به . وهنا نعطي اسماً قد يُفيد ذكره . ففي السنة ١٥٨٤ كان في روما مطران سرياني كاثوليكي يدعى موسى وعيّن استاذ اللغة السريانية في المدرسة المارونية لتضلعه من اللغة السريانية .ولا شك في أن هذا الشخص قد استخدم لبعض الترجمات إلى السريانية، ومن بعد اطلاعنا على بعض المخطوطات التي نسخها بيده (١) ومقابلتها بخط نصّ الكلام الجوهري في مخطوط القداس الأصلي وجدناها متشابهة تماماً .

٧ ـ المدرسة المارونية :

يمكننا القول إن المدرسة المارونية التي انشئت في روما سنة ١٥٨٤ والتي ضمّت اساتذة وتلامذة يهتمون بأمور الموارنة هي المسؤولة الأولى عن طبع كتاب القداس . وخاصة اذا رافقنا هذه المدرسة منذ الفكرة الأولى التي دبّرت انشاءها أي منذ رحلة اليانو الاولى سنة ١٥٧٨ . وظاهر أن اليانو قد بدأ بتحقيق فكرته عندما اصطحب معه إلى روما سنة ١٥٧٨ شابين مارونيين ، جبرائيل سعد من بان و كسبار غريب من قبرس ، وأدخلهما مدرسة الأحداث ليحضرا الدروس في المدرسة الرومانية (٢) .

لم يعين البابا ملكاً خاصاً للموارنة الاّ سنة ١٥٨٤ ولم تصدر القوانين المثبّتة للمدرسة إلا في ٥ تموز ١٥٨٤ لكن التلامذة الموارنة كانوا يصلون إلى المدينة الخالدة قبل هذا التاريخ . فمن بعد رحلة اليانو الثانية، تألفت بعثة من أربعة شبان موارنة بلغوا روما سنة ١٥٨١ ثم بعثة ثانية من عشرة تلامذة

(١) راجع مثلا بعض المقاطع المنسوخة بيده في المخطوط الفاتيكاني السرياني رقم ٣٦ .
(٢) شيخو ، الطائفة المارونية ص ٧٠ - ٧١ .

بلغوا روما في أواخر السنة ١٥٨٣ [١] . وعند طبع الكتاب كانوا في المدرسة أكثر من عشرين تلميذاً بادارة الاب برونو اليسوعي الذي كان قد رافق اليانو في قصادته الثانية .

وكان من مهمات المدرسة المارونية خلق مركز جديد لنشر التعاليم الكاثوليكية « الرومانية » بواسطة التلامذة وبواسطة الكتب المطبوعة . ونرى أن الكردينال كارافا المحامي عن الموارنة كان قد أرسل فاستقدم خصيصاً من لبنان الخوري يوحنا أيوب الحصروني لسعة علمه باللغة السريانية ليراقب الكتب التي ستهتم المدرسة بطبعها [٢] ، وقد عمل الخوري المذكور في طبع كتاب الجنازات الذي ظهر في روما سنة ١٥٨٥ ، وظهر في السنة نفسها أيضا كتاب الصلوات السبع . ولذلك فقد أتضح لنا أن من بين الكتب التي كانت المدرسة مهتمة بطبعها كتاب القداس ثم كتاب خدمة القداس وقد ظهر الأول سنة ١٥٩٤ والثاني ١٥٩٦ .

بالنتيجة ، ساهمت كل هذه الظروف وعملت المدرسة المارونية بادارة الآباء اليسوعيين وتحت الأشراف اللاهوتي للآباء الدومينيكان على اعداد كتاب القداس وطبعه « خدمة » للطائفة كما ورد في مقدمته . وقد انفق الكرسي الرسولي على طبعه لأسباب لا تخفى اهمها عجز الطائفة المالي .

رابعا : الفوارق بين المخطوط الاصلي والكتاب المطبوع :

لاشك في أن الاصلاحات التي جرت على المخطوط الأصلي لم تكن تستهدف التجديد الطقسي من أجل توعية الشعب أو لاشراكه اشراكا أفضل في القداس . بل كان الهدف منها مجاراة التفكير اللاهوتي اللاتيني المعاصر بما يختص بسر

---

(١) شيخو ، ص . ٧٠ — ٧٤ .
(٢) شيخو ، ص . ٧٥ .

القربان المقدس واستحالة الخبز والخمر . ولذلك فقد عمل المصلحون أول ما عملوا على ترجمة الكلام الجوهري من القداس اللاتيني إلى اللغة السريانية وادخالها في كل النوافير المارونية. كما وانهم قد سعوا في أن تدخل بعض العادات اللاتينية الطقس الماروني ظناً منهم بأن الأصلاح دائماً هو ما يعمل به في الطقس الروماني . ونسبة لاهمية هذه الطبعة الأولى التي لا تزال الطبعة المعمول بها تقريباً حتى اليوم ، يتوجّب علينا التوقف على تفصيل هذه الفوارق كما وانه لاشك في ان المخطوط الأصلي كان القداس المعمول به في لبنان في ذلك العصر ، وخاصة انه منسوخ على يد حبيس ماروني معروف بتقواه انتقل مباشرة من المحبسة إلى البطريركية . كان هذا المخطوط يتضمن القداس في مرحلة تطوره الأخيرة مع كافة الصلوات والأعمال المتكررة والتي دخل أكثرها القسم الأول من القداس تحت تأثير المخطوطات اليعقوبية . ولذلك فكان الاجدر بالمصلحين قبل طبع الكتاب أن يحذفوا الصلوات المتكررة لكنهم لم يعيروا هذه النقطة اهتمامهم بل وجّهوا كل أنظارهم نحو الافكار اللاهوتية. لتتضح الفوارق بين المخطوط والمطبوع نقسم القداس الى ثلاثة اقسام

١) **القسم الاعدادي :** منذ البدء حتى الصلاة التابعة للتقديسات الثلاث .

٢) **القسم التعليمي :** الرسائل والانجيل والكرازة التي تتبعه .

٣) **القسم القرباني :** من نشيد نقل القرابين قبل قانون الايمان حتى النهاية. وسنلقي نظرة على الاصلاحات التي جرت على القسم الاعدادي (بالمقابلة مع المخطوط الفلورنسي ٧٩) ثم على القسم القرباني (المخطوط ٧٤) . أما المخطوط الموازي للقسم الثاني فقد ضاع ، مع العلم أن الاصلاحات في هذا القسم كانت ضئيلة جداً بالمقارنة مع المخطوطات العائدة لزمن الطبع .

القسم الاعدادي :

النص الأصلي	النص المصلح (المطبوع)
١) صلاة استغفارية باللغة السريانية تشابه بمعانيها « اللهم اسألك ... »	١) ملغاة
٢) « يقف الكاهن في باب الخورص ويقول : « اللهم اسألك ... »	٢) يقف أمام المذبح ويقول : اللهم اسألك ...
٣) « اغفروا لي من أجل المسيح » (عربي)	٣) « صلوا علي من أجل المسيح » (سرياني)
٤) يسجد (الكاهن) امام مائدة الحياة ويقول : اربط يا رب اعيادنا ...	٤) يسجد (الكاهن) امام المذبح ويقول : اربط يا رب أعيادنا ..
٥) يضع الاسفنجة والملعقة إلى اليمين ، أي عن يمين الطبليت ، ثم يضع وعاء الماء (غومـرُو) والنافور الكبير عن الشمال امام الصينية .	٥) يضع المنديل والملعقة عن اليمين والنافور الكبير عن الشمال أمام الصينية
٦) ثم « يبسط النافور ويغطي القرابين ويترك وعاء الماء إلى أن يكون قد كسر الخبز للمرة الاولى ثم يأخذه وينشف يديه ويضعه جانبا على اليمين مع الملعقة .	٦) ملغاة

النص الأصلي	النص المصلح (المطبوع)
٧) « عندئذ (في بدء القداس) يأخذ الشماس القرابين ويتقدم من الكاهن . يكون الخادم تحت الدرجة ، مكشوف الرأس ، حاملاً بيده شمعة تكريماً لجسد المسيح. يكون الكاهن في الداخل ، واقفا تحت على باب الهيكل ، ملتفتاً نحو الشرق ، يصنع صليباً على القربان قائلا : « ايها الاله العظيم ... »	٧) حينئذ يأخذ الشماس البرشانة ويدنو من الكاهن ، يصلب على البرشانة قائلا : ايها الاله العظيم ...
٨) يختار ما يريد من القرابين ويلتفت نحو الشرق ذاهباً إلى المذبح .	٨) يختار ما يريد من الخبز ، يبخره ويعود إلى المذبح .
٩) يصب مزيج الخمر في الكأس (بالسريانية)	٩) يضع الخمر في الكأس (بالعربية)
١٠) ويضع الماء في الكأس (بالسريانية) .	١٠) ويمزج الخمر بقليل جدا من الماء (بالعربية)
١١) ويغطى الكأس بالنافور الصغير ويبخرّه ويقول : لبس الرب العزّة ...	١١) يبخر النافور الكبير ويغطي به الصينية والكأس قائلا : احتجبت السماوات ...
١٢) الكاهن ، منحن ، يأخذ الصينية باليمين والكأس بالشمال ويضع اليمين فوق الشمال بشكل صليب ويقول : ذكر ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ...	١٢) يضع الكاهن يده اليمين على الشمال صليباً فوق القربان ويقول هذه الأسرار وهو منحن : ذكر ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ...

النص الاصلي	النص المصلح (المطبوع)
	[ترتيب النوايا على القرابين بحسب النظام المعهود في كتاب القداس الحالي—الاحياء، المرضى..]
١٣) يضع الاسرار على الطبليت ، الكأس نحو الغرب . يبسط النافور الكبير ويغطي الاسرار ويقول : احتجبت السماوات ..	(١٣) لمغاة
١٤) « ويقول هذه الصلاة من أجل نفسه : اللهم السيد الضابط الكل ...	١٤) اللهم السيد الضابط الكل ...
١٥) يتبارك من المذبح ومن الكهنة الذين حوله ويطلب الغفران من الشعب قائلا : اغفروا لي ...	١٥) ملغاة
١٦) مزمور : ارحمني يا الله	١٦) يبخر الاسرار ثلاث مرات ويدير المبخرة حول الاسرار وهو يقول المزمور ارحمني يا الله
١٧) قبل الافراميات : يضع بخوراً ويقول : لتعظيم وتبجيل الثالوث الاقدس ...	١٧) ملغاة

أما التبديلات في القسم القرباني فهي الآتية :

١) **اعطاء السلام بعد الصلاة الثالثة في النافور** : كل النوافير الموجودة في النص الأصلي (ما عدا شَررْ) تتبع النسق اليعقوبي ، أي تضع اعطاء السلام من بعد الصلاة الأولى ، بينما نافور شَررْ يبقي اعطاء السلام إلى ما بعد الصلاة الثالثة ، ولذلك فقد أصلحت كل النوافير بحيث وضع اعطاء السلام بعد الصلاة الثالثة (مثل اليوم) .

٢) « **الكلام الجوهري** » : نسمّي الكلام الجوهري ما هو معروف في النوافير بالنص الاخباري للعشاء السري . وكان لكل نافور طريقته الخاصة لسرد وقائع العشاء السري ، فجاء الاصلاح يلغي النص الخاص بكل نافور ويبدله بنص واحد لكل النوافير نقل حرفياً عن « الكلام الجوهري » في القداس اللاتيني . وتجدر الاشارة الى أن الترجمة كانت حرفية اذ نقلت مثلا الألفاظ الخمسة بألفاظ سريانية خمسة : هُنُو دِينْ ايتاو فغرُو ديلْ Hoc est enim corpus meum

كما وانها اضيفت العبارة « Mysterium fidei» « سرالايمان » التي تقطع المعنى في تقديس الخمر .

وتجدر الاشارة أيضاً الى أن هناك لفظة واحدة غير موجودة في النص اللاتيني استطاعت أن تدخل النص السرياني في النوافير السبعة الأخيرة من الأربعة عشر نافوراً ألا وهي لفظة « قدّس » (من بعد شكر وبارك ..) . اما لماذا أضيفت هذه اللفظة على النوافير السبعة الأخيرة دون السبعة الأول فهذا ما نجهله . قد يكون ذلك تحت تأثير خفي للتشديد على فكرة التقديس بهذا الكلام [١] .

٣) ذكر العذراء : أضيف ذكر العذراء على كل النوافير قبل دعوة الروح القدس للتوفيق مع نسق شَررْ كما حدث لاعطاء السلام .

٤) دعوة الروح القدس : كانت نصوص دعوة الروح القدس في كل النوافير تشدد على استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح بتتميم دعوة الروح . فأصلحت النصوص وأبدلت لتخفيف المعنى . وأكثر الأوقات

---

(١) المذهل هو ان هذه اللفظة حذفت من كل النوافير في الطبعة الثانية ١٧١٦ ، والثالثة ١٧٦٢ ، وعادت فظهرت في الطبعة الرابعة سنة ١٨١٦ وما بعد كما هي الحال اليوم .

ابدلت لفظة « خبز » بلفظة « سر »، وأضيف إلى العبارة لفظة « لخلاصنا » لتبديل المعنى . وللتوضيح نقول :

كانت العبارة :

« ارسل روحك القدوس ... فيجعل هذا الخبز جسد المسيح الهنا » .

فصارت :

« ارسل روحك القدوس ...فيجعل هذا السر جسد المسيح الهنا لخلاصنا ».

أو : « فيجعل هذه الكاس دم المسيح الهنا » .

فصارت :

«فيجعل هذه الكاس دم المسيح الهنا لخلاصنا » .

٥) **التذكارات :** أضيفَ ذكر اسم البابا قبل اسم البطريرك في كل النوافير .

٦) **الكرازة:** عند « فلنطلب » ابدلت لفظـــة « قاثوليقي» في النوافير بلفظة « بروديقي » وهي اللفظة المعهودة في النوافير المارونية .

٧) **الدعوة للمناولة (الرفعة) :** قبل الرفعة . يقول الكاهن صلاة سرية : « قدوس . قدوس .. » ادخلت على كل النوافير وكانت بالأساس في نافور شَرَرْ وحده .

٨) **بعد المناولة:** ابقي تناول ما تبقى ثم تنظيف الآنية إلى ما بعد صرف الشعب . كما في المخطوط .

خامسا : اصداء الطبعة الاولى في الطائفة

كان بطريركا في سنة ١٥٩٤ . سنة ظهور الكتاب . سركيس الرزي الذي ورد اسمه في الكتاب المخطوط الذي أصلح وطبع .وكان قد نسخ على يد

أخيه البطريرك مخايل وربما كان هو الذي أرسله للطبع . فبعد اطلاعه على الكتاب المطبوع وعلى الاصلاحات التي جرت عليه رفض استخدامه واتخذ قراراً بمنع استعماله في كافة الكنائس . سبب ذلك التغييرات التي جرت وخاصة تبديل الكلام الجوهري ونص دعوة الروح القدس ، وجاء على لسان البطريرك ما يلي : « ان غيّرت عادة من عادات الكرسي الانطاكي أكون مؤاخذاً أمام الله والكرسي الرسولي » [١] . وظل البطريرك واضعاً الحرم على الطبعة الأولى حتى سنة ١٥٩٦ حيث بلغ إليه القاصد الرسولي ايرونيموس دنديني حاملاً إليه « من قبل سيدنا البابا » هدية مؤلفة من ٢٠٠ نسخة من كتاب القداس ، واعداً بأن الأمور ستعود إلى ما قبل في أقرب وقت ممكن . وقد عقد دنديني مجمعاً في قنوبين سنة ١٥٩٦ تقرر فيه في القانون الثامن استخدام كتاب القداس المطبوع في روما واستخدامه وحده ، وهذا هو النص :

« جميعهم يقدسون في كتاب القداس المطبوع برضا سيدنا الفافا المقدس ومبعوث الينا ، ولا يستعملون كتابا آخر ان كان ما يحضروه إلى عند البطرك ليتصحح بالكتاب المطبوع ، ويضع خط يد البطرك عليه ويتثبت بختمه » [٢] .

ولم تقف الأمور عند هذا الحد ، بل عادت الحالة وتأزمت من جديد ضد الطبعة الأولى بين السنة ١٦١٠ و ١٦٣٥ ، قبل ارتقاء جرجس العميرا السدة البطريركية ، فقد احتج في روما قسم من تلامذة المدرسة المارونية المحافظين، وعلى رأسهم نصر الله شلق العاقوري ، الوكيل البطريركي في روما ، وتألفت بعثات عدة من قبل البطريرك يوسف الرزي برئاسة ابن أخيه

---

(١) يوسف الدبس: الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، بيروت ١٩٠٥ ، ص ٢٩١ راجع البطريرك اسطفان الدويهي ، منارة الاقداس ، طبعة الشرتوني ، ٢ ، ص ٣٠٠ .
J. Dandini, voyage de Mont Liban, 1685, p. 147-148.

(٢) راجع ، J. Féghali, Histoire du droit maronite, p. 215.

المطران سركيس الرزي تطالب بطبع الكتاب من جديد بحسب تقاليد الكنيسة المارونية الانطاكية ، لكن الأمور كانت دائماً تتأجل وتتأخر عن قصد أو عن غير قصد إلى أن اضمحلت نهائيا بموت نصر الله شلق وارتقاء جرجس العميرا السدة البطريركية ، وكان كما رأينا من العاملين في الطبعة الاولى ومن الغيورين على تبديل العادات المارونية بالعادات اللاتينية. ولا تزال محفوظات مجمع انتشار الايمان في روما تبقي لنا عشرات الرسائل والاحتجاجات على الطبعة الأولى[1] ، ومما جاء فيها : « ان طبعة كتاب القداس كانت مسخاً عجيباً » غيّرت التقاليد المارونية. نتيجة كل هذه الاحتجاجات كانت المماطلة والتأجيل إلى أن بقي الموارنة يستخدمون الطبعة الاولى مائة وعشرين سنة قبل أن تظهر الطبعة الثانية في روما أيضاً سنة ١٧١٦ . رغم انهم كانوا قد علّلوا النفس باستبدالها منذ نهاية القرن السادس عشر .

وقد جاءت الطبعة الثانية ، كما سنرى ، تكثر من تغيير العادات المارونية والاستزادة من التقاليد اللاتينية دون أن تلقى أية مقاومة ، اذ كان الاكليروس الماروني المسؤول قد تعلّم في المدارس الرومانية منذ افتتاح المدرسة سنة ١٥٨٤ وكانت الذهنية المارونية نفسها تقبل بشغف على كل ما هو روماني !

---

(١) Acta S. Congr. Prop. Fide (Armeni, Chald. Maroniti, 1636-1648 no. 291-93).

الطبعة الثانية

أولاً : ظهور الطبعة ومضمونها .

ثانياً : الفوارق بين الطبعة الاولى والطبعة الثانية .

ثالثاً : ختام الكلام عن الطبعةالثانية .

أولا : ظهور الطبعة ومضمونها

وأخيراً ظهرت الطبعة الثانية لكتاب القداس في روما نفسها ، مائة وعشرين سنة بعد الطبعة الاولى أي سنة ١٧١٦ . وقد كانت منتظرة منذ فجر القرن السابع عشر لتعيد إلى التقاليد المارونية ما كانت قد استلبته منها اصلاحات الطبعة الأولى . ولكن ما كانت النتيجة في الواقع ؟ :

قبل أن ندخل في تفاصيل مضمون هذه الطبعة ، علينا أن نعرف أن الطبعة الثانية قد صدرت أيضاً عن المدرسة المارونية ، في روما ، أي نتيجة ذهنية

المدرسة اللاهوتية والطقسية و القانونية في بدء القرن الثامن عشر . والمعلوم هو ان الحساسية المارونية الشرقية كانت قد فقدت وان المثل السائد انذاك عند الموارنة كان « ان التشبه بالكرام فلاح » . ولا عجب في ذلك اذ كانت المدرسة لا تزال تربي أجيال الكهنة والاساقفة منذ السنة ١٥٨٤ . صحيح ان البطريرك الدويهي (١٦٧٠–١٧٠٤) كان قد عمل في سبيل العودة إلى التقاليد الشرقية وإلى ترك الرتب المتأثرة بالطقوس اللاتينية ، لكنه قد غاب دون أن يتوصل إلى طبع كتاب طقسي واحد لأنه كان فرداً يعمل ضد تيارات جماعية قوية . على كلٍّ لم تظهر هذه الطبعة الثانية على أيام الدويهي ، وربما لم يكن هذا الحدث وليد الصدف فحسب .

بعد هذه المقدمة العابرة ، علينا أن نعود إلى الكتاب نفسه قبل أن نحكم له أو عليه .

ظهر بعنوان : Missale syriacum juxta ritum Ecclesiae Antiochenae nationis Maronitarum

وصدر عن مطابع مجمع انتشار الايمان سنة ١٧١٦ [1] .

نستخلص مضمون الكتاب من « الديباجة » الموضوعة في البدء ، ثم من « المقدمات » واخيراً من « رتبة القداس » .

– « **ديباجة الكتاب** »: وهي كناية عن مقدمة مفصّلة يشرح فيها المشرف

(١) الفرق في العنوان عن الطبعة الأولى هو أنه استبدلت لفظة « Chaldaïcum » بلفظة Syriacum وأضيف إلى ألقاب الكنيسة المارونية لقب « الانطاكية » . وكان هذا نتيجة الاحتجاج على اللقب « Chaldaïcum » للقداس وهي اللفظة الاوروبية العلمية لكلمة « سرياني». وأضيف لقب « الانطاكية » بسبب مطالبة الموارنة الشديدة باعتراف روما بشرعية بطريركيتهم على الكرسي الانطاكي .

على طبع الكتاب كيف تمّ العمل ومن هم المساهمون الذين يستحقون أن ترد اسماؤهم للذكر والشكر . ومما جاء فيها هذا القول بالحرف :

« اعلم ايها الأخ الحبيب ، الواقف على هذا الكتاب المبارك ، انه بعد ما مجمع انتشار الايمان المقدس ، من زيادة فضله و محبته نحو طائفتنا المارونية الاورثوذكسية ، امر بطبعه ، قد اجتهدنا ان يصير ذلك على اكمل حال ... وزدنا فيه ما رأيناه موافقاً ولازماً ، مثل [1] :

ا ــ « حساب السنة واعياد القديسين في شهورها »

ب ــ « الحوادث الممكن وقوعها في خدمة القداس »

ج ــ « الرتبة على ما يخص الكاهن وراس الكهنة والبطريرك التي أرسلها لنا سيدنا وتاج روسنا البطريرك مار يعقوب عواد الجالس يومئــذ على الكرسي الانطاكي » .

د ــ « الصلوات الواجبة تلاوتها من الكاهن استعداداً لتقدمة القداس » .

ه ــ « في آخر الكتاب زدنا صلوات الشكران يتلوها الكاهن بعد تمام القداس ، وختمناه ببعض تبريكات مفيدة قد وجدناها في كتاب رتبتنا باللغة السريانية المجموع بعناية الاب النبيل والمعلّم الجليل مار اسطفانوس الدويهي ... ونقلناها إلى اللغة العربية » .

و ــ « كلما يقوله الكاهن اعلاناً في النوافير ، قد حررناه بالعربي أيضاً لاستفهام الشعب »

ز ــ « عدلنا عن طبع الاناجيل كلها سريانياً خوفاً من الاطالة » .

---

(١) الأرقام هي من وضعنا لتسهيل القراءة . وسنعود إلى تفصيل هذه « الزيادات » .

ح – « قد نظرنا الأمر واجباً اننا نجمع نافوراً من رتبة الكنيسة الرومانية المقدسة أم جميع الكنائس وفعلنا ذلك على شور الناس الصالحين الأذكياء احتراماً لصلواتها واكراماً لرتبتها القديمةالمنظومة من رؤسائها الأطهار واحبارها القديسين الأبرار ، ورتبنا هذا النافور بعد نافور مار كسيسطوس بابا روميه على سبيل نافور الاثني عشر رسولاً » .

ط – « في آخر النوافير ، قد وضعنا أيضاً النافور المشهور باسم ابينا الطوباني مار يوحنا السرومي المتكنى مارون ... »

ي – « وقد وضعنا بعد النوافير رتبة « رسم الكاس » الذي يصير في يوم جمعة الآلام ، وهي أغلبها مركبة على نافور مار بطرس المعروف « بشَرَرْ » الذي ما حررناه لأجل هذا السبب » .

« وقد انطبع هذا الكتاب في روميه الكبرى سنة ١٧١٥ على نفقة المجمع المقدس ... فنسأل كل من قدّس في هذا الكتاب المبارك أن يذكر في عقيب قداساته وصلواته كل من له تعب فيه وخاصة :

– « الاب جبرايل حوا الحلبي رئيس دير الموارنة المعروف باسم القديسين بطرس ومرشلينوس »

– «والمعلم النبيل الخوري يوسف شمعون الحصروني وكيل السيد البطريرك وملتنا في روميه ، اللذين استمدا الاجازة بطبع هذا الكتاب من المجمع المقدس بوسيلة السيد الكلي الشرف سيلفريوس مطران اثينا الياصجي ؛ والاب الموقر القسيس مخايل المطوشي القبرسي الذي تعب به في نسخه . »

– « الحقير الذليل الخاطي التعيس القسيس اندراوس اسكندر القبرسي مولداً العاقوري أصلاً الذي تعب على قدر قوته ومعرفته في تصحيح ما حدث فيه من الغاط في الطبع ... » .

لا شك في أن هذه العبارة الأخيرة هي توقيع صريح لاندراوس اسكندر الذي لم يكتف بتصحيح الاغلاط المطبعية بل وضع المقدمة وبالتالي هو مسؤول عما جاء من زيادة أو تنقيص في الكتاب . يبقى علينا أن نقوم بتفصيل هذه الأمور التي دخلت على الطبعة الثانية والتي لا تزال باقية حتى اليوم .

٢ ـ المقدمات

أ) ـ الروزنامة

يعطي المؤلف تاريخ الاعياد المتبدلة بحسب الروزنامة القمرية، من السنة ١٧١٦ حتى السنة ١٨٠٠ ، وذلك بمقتضى الحساب الغربي، ثم ينتقل إلى الأعياد الشهرية شهراً شهراً ويوماً يوماً ، ابتداء من تشرين الأول وحتى آخر ايلول . تتضمن الروزنامة عيداً لكل يوم تقريباً اذ لا ينقص في الشهر أكثر من خمسة أو ستة أعياد .

وتجدر الاشارة إلى أن هذه الروزنامة الشهرية لا تزال حتى اليوم مسجّلة في بدء كتاب القداس الحالي، رغم بعض أخطائها ومساوئها. ففيها بعض أعياد يعقوبية محضة مثلاً « يعقوب الرهاوي » في ٢٧ كانون الثاني ، كما أن التاسع من شباط هو عيد « مار مارون رئيس الدير ومار يوحنا مارون البطريرك الانطاكي » . وقد سعى صاحب الكتاب في ادخال اسماء الباباوات القديسين قدر الامكان واسماء بعض القديسين الغربيين مثل «بطرس ومرشلينوس» في ٢ حزيران وهما شفيعا دير الموارنة للرهبان الحلبيين في روما .

هذا مع العلم أنه من بعد ادخال عادة القداس اليومي وتعيين نص من الانجيل لكل يوم على يد المطران جرمانوس فرحات في بدء القرن الثامن عشر ، ادخلت روزنامة شهرية ثانية لا تطابق دائماً بأعيادها هذه الروزنامة الموضوعة في بدء الكتاب والتي أدخلت للمرة الاولى في الطبعة الثانية . والمثل على ذلك

عيد « الحبل بلا دنس ». تذكره الروزنامة في بدء الكتاب في ٩ كانون الأول تحت اسم « حبل حنه الباره بسيدتنا مريم العذراء » بينما تذكره روزنامة نص الاناجيل في ٨ ك ١ تحت عنوان « عيد الحبل بلا دنس » .

ب) حوادث قانونية تتعلق بالقداس :

جمع المؤلف في بدء كتاب القداس كل ما وجده مناسباً لارشاد الكاهن عند وقوع حوادث طارئة : كأن يجد الكاهن البرشانة مكسورة ، او ان يهرق الكاس سهواً أو أن ينسى بعض الحركات الطقسية... حل كل هذه الحوادث مستلهم من مبادىء اللاهوت الادبي المذكورة في بدء كتاب القداس اللاتيني ، وهي ولا شك متأثرة بذهنية ذلك العصر .

ج) كيفية الاحتفال بالقداس بحسب التوجيهات المفصّلة :

يهتم المؤلف بارشاد الكاهن إلى كل حركة كبيرة أو صغيرة يقوم بها في القداس . فهو يرشده كيف يمسك الكاس والصينية وكيف يسجد إلى الأرض ومتى ، وكيف يبقي الابهام والسبابة منضمين بعدأن يمسا القربان ، إلى ما هنالك من التوجيهات المستمدة من الروح اللاتينية ان لم نقل من النص والحرف . وتجدر الاشارة إلى اننا نجد هنا للمرّة الاولى كل ما يتعلق بالسجود على ركبة واحدة إلى الأرض بحسب المبدأ اللاتيني القائل : « يسجد الكاهن كل مرّة قبل أن يمسّ القربان بيديه » .

(د – كيفية الاحتفال بالقداس المشترك .

يشدد على ضرورة انشاد كلام التقديس من قبل الجميع كما انه يحدد لكل دوره في هذه الرتبة المشتركة .

هـ) – كيفية الاحتفال بالقداس على يد كاهن يشاركه اسقف .

و) – رتبة القداس الكبير المختص بالبطريرك .

أدخلت هذه الرتبة كما أعدها المطران سمعان عواد ابن أخي البطريرك يعقوب الذي كان آنئذ بطريركا .

ز) رتبة استعداد الكاهن لاقامة القداس .

وهي مجموعة صلوات تقوية يكثر فيها التشديد على الندامة والانسحاق . كما إنها تتضمن بعض صلوات استعداد للمناولة وشكر بعد القداس ، من وحي غربي .

ح) – صفحة خاصة بأسماء فاحصي الكتاب والآذنين بطبعه .

– فليطبع : المطران كاراشولو .

– فليطبع ، غريغوريوس سالاري ، معلم البلاط المقدس .

– توقيع بعض الموارنة المهتمين والمكلفين ، باللغة اللاتينية :

« نحن الموقعين ، نظرنا وتفحّصنا الكتاب السرياني الذي عنوانه : كتاب القداس السرياني بحسب طقس الكنيسة الانطاكية للطائفة المارونية ، الذي طبع قديماً في روما بأمر البابا اقليمس الثامن سنة ١٥٩٢ ، وقد أضيف عليه الآن وصحح ، ولم نجد فيه ما يضادد الايمان الكاثوليكي او الاخلاق الحسنة ، وشهادة بذلك نوقع في ١٨ تشرين الثاني ١٧١٤ :

– جرجس بنيامين ، مطران اهدن .

– جبرايل حوا ، رئيس دير مار بطرس ومرشلينوس من رهبانية مار انطونيوس الكبير .

– القس مخايل المطوشي ، الملفان في الفلسفة واللاهوت .

— القس اندراوس اسكندر ، القبرسي النيقوسي الماروني قاصد الطائفة المارونية [1] .

٣ — رتبة القداس :

ا — القداس الماروني بكامله مع ثلاثة عشر نافوراً ثم نافور « رسم الكاس ».

ب — مختارات من الانجيل بحسب آحاد السنة ولبعض التذكارات والأعياد مع سبع قراءات لأيام الاسبوع السبعة . مجموعة المختارات ١٠٣ [2] . قراءات الاسبوع السبعة هي بالسريانية والعربية وسائر القراءات بالعربية فقط .

ج — سبع قراءات من رسائل ماربولس لأيام الاسبوع كلها بالسريانية فقط .

د — صلوات في آخر القداس ، وما بعد القداس ، و صلوات الشكر .

هـ — صلوات وتبريكات (الماء .. الملح .. الزيت ... المريض .. الطفل ..)

ثانيا : الفوارق بين الطبعة الاولى والطبعة الثانية

في حديثنا عن القداس قسمناه إلى ثلاثة أقسام : الاعدادي ، التعليمي والقرباني . وقد تكلمنا عن الفوارق في هذه الاقسام بين الطبعة الأولى والنص الأصلي المخطوط . أما الآن فنذكر الفوارق في كل من هذه الأقسام بين الطبعة الأولى والطبعة الثانية :

مكتبة فيلون الجبيلي
BIBLIOTHEQUE PHILON DE BYBLOS

---

(١) وردت في آخر الكتاب حاشية تدل على ان انجاز الطبع كان سنة ١٧١٦ . هذا يدل على ان العمل قد استغرق سنتين ، كما حدث للطبعة الأولى .

(٢) صفحة ٣٩ — ١٣٤ .

أ ـ القسم الاعدادي :

صلاة الاستغفار : « اللهم أسألك » ... . كانت تقال في بدء القداس قبل صعود الكاهن إلى المذبح لتهيئة القرابين ، أما هنا فقد نقلت إلى ما بعد تهيئة القرابين على المذبح وتغطيتها بالنافور الكبير . عندئذ « يبتعد الكاهن عن المذبح قايلا ».. وربما كان هذا التغير تشبها « بظاهر القداس اللاتيني حيث كان الكاهن يصعد أولاً إلى المذبح ثم ينزل .

أما فيما يختص برتبة تهيئة القرابين فلم يتبدل في نصوصها الاصلية شيء بل تغيرت بعض الهوامش ووضعت التوجيهات كلها بالسريانية بينما كانت بالعربية في الطبعة الاولى .

وهذه بعض التغييرات :

الطبعة الاولى	الطبعة الثانية
١) لا ذكر لتبخير الكاس والصينية في بدء القداس .	١) « يبخر الكاس والصينية قائلاً : « باسم الاب والابن والروح القدس » .
٢) يأخذ الشماس البرشان ويدنو إلى الكاهن فيصلب على البرشان قائلا : اللهم العظيم العجيب ...	٢) يضع الكاس على الطبليت ويغطيه بالصينية قائلاً : اللهم العظيم العجيب ...
٣) المجد لله في العلى ... (أربع فقرات : المجد لله .. المجد للاب .. يا رب افتح شفتي ... سبحوا الرب) .	٣) المجد لله ... (الحالية المطوّلة) .

٤) عنوان الفروميون والسدر «لوالدة الله» ، في كلا النصين .

٤) حذف عنوان « لوالدة الله » .

٥) التذكارات على القرابين (عند صلاتك معنا) .

٥) نقل الروبريكات إلى السريانية واضافة روبريكة جديدة عند : « اللهم اجعل به ذكراً صالحا ... تقول : يضع يديه مجموعة من فوق الأسرار (مثل اللاتين) . ثم اضيفت روبريكة ثانية على الصلاة التي تليها « ايها الرب الاله ... » تقول : يبسط يديه .

٦) « يتبارك الكاهن من الكهنة الذين حوله ويجعل نفسه بحلّ من الشعب الذي وراه » .

٦) « يتبارك من وسط المذبح ومن يمينه وشماله »

٧) الافراميات : « ستة » من بينها الافرامية التي تبدأ « ايها الوحيد الذي دخل من اذن المباركة وحلّ في حشاها ... »

٧) الافراميات : ثمانية . سقطت « ايها الوحيد الذي دخل من اذن المباركة » بسبب المناقشة حول معنى هذه العبارة [١] .

وقد ابدلت هذه الافرامية بالنشيد المعروف اليوم « نهديك السلام » ثم أضيفت افرامية « يا صالحاً » بالسريانية طبعا .

---

(١) نجد صدى طويلا لهذه المناقشة في المحفوظات الباقية في مجمع انتشار الايمان. اما العبارة « دخل من اذن المباركة » فكان يفهم منها أن التجسد تم من بعد أن سمعت العذراء بشارة الملاك « فدخل الكلمة » بسماع هذه العبارة .

ب ــ القسم التعليمي

الطبعة الأولى	الطبعة الثانية
١) ٣٠ قراءة من الانجيل بالسريانية..	١) ١٠٣ قراءات بالعربية بينها السبعة الأولى بالسريانية والعربية . ٧ قراءات من ماربولس بالسريانية.
٢) وضع البخور قبل قراءة الانجيل.	٢) سقط وضع البخور وأصبحت العادة بأن ينتقل الكاهن من « كيرياليسون ، كيرياليسون ، كيرياليسون » بدء رتبة وضع البخور إلى الاعلان عن الانجيل « السلام لجميعكم » .

ج ــ القسم القرباني

اضيفت روبريكة تشير إلى وضع البخور وإلى التبخير وقت تلاوة قانون الايمان الذي وضع نصه بالعربية والسريانية .

النافور :

كانت الطبعة الأولى تتضمن ١٤ نافوراً وتضمنت الطبعة الثانية أيضاً ١٤ نافوراً انما اسقطت ثلاثة نوافير من الطبعة الاولى وأبدلت بثلاثة جدد ، كما ان نافور بطرس المعروف بشرر ابدل بقداس « رسم الكاس » المتخذ من هذا النافور . وهذا هو الجدول بالنوافير .

الطبعة الأولى	الطبعة الثانية
١) كسيسطس بابا روميه	*
٢) يوحنا فم الذهب	— (نصّ ثان غير النص الاول)
٣) يوحنا الانجيلي	*
٤) بطرس (يا إله السلام ...)	*
٥) الاثنا عشر رسولاً	*
٦) ديونيسيوس	* (اضيف لقب «تلميذ بولس»)
٧) قوريللس	* (اضيف لقب «الاسكندري»)
٨) متى الراعي	*
٩) يوحنا برشوشن ، البطريرك .	— (ابدل بنافور مار يوحنا مارون)
١٠) اوسطاتيوس	*
١١) ماروتا	— (ابدل بنافور الكنيسة الرومانية)
١٢) يعقوب	*
١٣) مرقس	*
١٤) «شرر»	— (اصبح نافور رسم الكاس)

وبذلك سقطت ثلاثة نوافير : الاول «يوحنا فم الذهب» والنافور الوارد تحت هذا الاسم هو بالواقع ليوحنا مطران حرّان اليعقوبي ، فابدل بنافور سرياني ثان منسوب إلى يوحنا فم الذهب . وسقط نافور البطريرك يوحنا برشوشن اليعقوبي ليحل محله نافور منسوب إلى البطريرك يوحنا مارون . أما نافور ماروتا اليعقوبي فقد حلّ محله نافور خاص جمعه اندراوس اسكندر من صلوات القداس اللاتيني ونسّقه بحسب النوافير السريانية وسيأتي الكلام عنه فيما بعد .

وأخيراً سقط النافور المعروف «بشرر» وهو النافور الماروني بحسب

التقليد القديم ، فأدخلت عليه بعض التعديلات اذ جوّف من الكلام الجوهري ومن بعض الصلوات ، وجعل رتبة للقداس السابق تقديسه والمعروف بقداس « رسم الكاس » ، يحتفل به يوم الجمعة العظيمة . هذا مع العلم أن رتبة « رسم الكاس » القديمة كانت رتبة مناولة وحسب فأصبحت بهذا التبديل مزيجاً بين القداس الأساسي وبين رتبة مناولة بسيطة (١) !

ثالثا : ختام الكلام عن الطبعة الثانية

ان هذه « الطبعة » المارونية التي صدرت في روما في بدء القرن الثامن عشر جاءت ثمرة الذهنية السائدة آنذاك .

يسعى المسؤول عن هذه الطبعة الى التقرب في كل شيء من العادات والطقوس اللاتينية حتى انه لم ينثن عن وضع نافور جديد متخذ من القداس اللاتيني .

كان منتظر من هذه الطبعة الثانية أن تصلح ما دخل على الطبعة الأولى ، لكنها بالعكس اكثرت من الامور الدخيلة . والعجيب في الأمر هو أن كل هذه الأمور الجديدة لم تحرّك ساكناً في الطائفة اذ كانت الحساسية الطقسية التقليدية قد انطفأت او كادت . واذا ما جئنا نستفهم عن المسؤول عن كل هذا نجيب كما اجبنا عن الطبعة الأولى : المدرسة المارونية في روما ! ربما لم تكن المسؤولة المباشرة بل هي المسؤولة عن تبديل الذهنية المارونية نفسها تحت تأثير الأفكار الغربية في اللاهوت العقائدي والادبي .

اننا لا ننكر على الطقوس حيويتها وتطورها ، فالطقوس الانطاكية قد تحوّلت تحت تأثير الطقوس الاورشليمية في القرن الرابع ، كما ان الطقوس

---

(١) لا تزال صلوات « لتقدمة القربان » محفوظة بنصوصها القديمة في « رسم الكأس » مع العلم انه لا حاجة « لتقدمة قربان » في رتبة مناولة .

لملكية قد تحوّلت تحت تأثير الطقوس البيزنطية في القرنين التاسع والعاشر .
ولكن الطقس الماروني بعيد بتنسيقه عن الطقس اللاتيني فكيف يتحمل كل هذه
لتبديلات ! ربما نحن اليوم نحكم بذهنية اليوم ، وربما لو كنا مع الذين عاشوا
ي روما في بدء القرن الثامن عشر لما كنا رأينا الا ما رأوا .

ولذلك نذكر هذا لا للعود إلى الماضي وحسب ، بل لنرى واقع كتاب
لقداس الحالي الذي تطور من حالة استثنائية اولى إلى حالة استثنائية ثانية .
وظل كذلك ! فنافور الكنيسة الرومانية الذي أدخله اندراوس اسكندر على
لطبعة الثانية حلّ محلّ الصدارة فيما بعد حتى أصبح اليوم النافور الوحيد في
بعض طبعات الكتاب المختصرة وأصبح كانه النافور الماروني بلا معارض . هذا
مثل من أمثلة ... لعلّ الطبعة الثالثة تغيّر بعض الأمور .

الطبعة الثالثة

لقد ورد عند بعض المؤرخين الموارنة ان الطبعة الثالثة التي صدرت في روما سنة ١٧٦٣ هي « وهمية غير موجودة » [١] . ولكننا عثرنا على نسخ متعددة منها ونستند في كلامنا عنها على النسخة المحفوظة في المكتبة الشرقية في بيروت .

ظهرت الطبعة بعنوان :

Missale syriacum juxta ritum Ecclesiae Antiochenae nationis Maronitarum.

وهو ذات العنوان الذي ظهرت فيه الطبعة الثانية . وورد في مقدمتها ايضاً « ديباجة » تشرح سبب اصدار الطبعة الثالثة وتذكر أسماء الذين عملوا على تحقيقها . ومما قيل :

ا – نفدت الطبعة التي كان اهتم بها مجمع انتشار الايمان سنة ١٧١٦ « اذ لم يتبقّ منها نسخة لا في رومية العظمى ولا في بلاد المشرق » .

ب – يظهر ان المجمع المذكور استصعب اعادة الطبع فدفعت الهمّة الوكيل العام للرهبانية الانطونية في روما إلى اتخاذ مسؤولية الطبع بدون أن يغيّر شيئاً من الطبعة السالفة : «فاضطر الاب القس توما الوكيل العام ابن مدلج من قرية قيتولي من بيت الحاج موسى ان يستمد الاجازة بتجديد طبعه ويختمه

---

(١) P. Dib, Etude sur la liturgie maronite, Paris 1919, p. 38 note I

بنفقة مجمع رهبانهم الانطونيانيين المعروفين برهبان مار اشعيا بأمر الأب الأكرم القس سمعان عريض الريس العام والمدبرين الاربعة وكافة الرهبان ... وكان ذلك في رياسة قدس سيدنا وتاج روسنا الكلي الغبطة مار طوبيا الخازن البطريرك الانطاكي » .

بعد هذه « الديباجة » يورد الناشر مقدمات الطبعة الثانية بكاملها حرفاً حرفاً، ثم نصّ القداس بكامله مع النوافير . تجدر الاشارة إلى ان هذه الطبعة لم تورد كل النوافير المطبوعة آنفاً بل حذفت منها خمسة هي : متى الراعي ، ديونيسيوس ، اوسطاتيوس ، يوحنا فم الذهب ، قوريللس . هل كانت أسباب الحذف لاهوتية ام اقتصادية ؟ ربما كانت الاثنين معاً اذ استطاع الناشر الوقت نفسه أن يحذف بعض النوافير التي يشتمّ منها رائحة يعقوبية ثم منعاً للتطويل ولتكاليف الطبع .

ولا بد من ذكر ما ورد في آخر الكتاب وقد يجعلنا نتفهم أكثر فأكثر قصّة أصداره . جاء فيه :

« كان النجاز من طبع هذا الكتاب في الثاني من شهر نيسان ١٧٦٣ مسيحية في زمان رياسة قدس الحبر الأعظم اكليمنضس الثالث عشر على يد الحقير الاب توما ... بمناظرة السادات الكلي الشرف والاحترام حضرة المطران اسطفانوس عواد وحضرة المنسنيور يوسف السمعاني وكيل السيد البطريرك الانطاكي مار طوبيا بطرس الخازن في البلاط الروماني » .

أما عن الآذنين بالطبع فجاء ما يلي :

– فليطبع من جديد « Reimprimatur » : المطران فورد رئيس أساقفة نيقوميديا .

– فليطبع من جديد « Reimprimatur » : الاخ توما اوغوسطينوس ريكينيوس من الرهبان الواعظين ، معلم البلاط الرسولي المقدس .

ثم ما يلي :

– « بعد مقابلة كتاب القداس هذا ... بحسب طلب معلم البلاط الرسولي بكتاب القداس المطبوع مجمع بأمر انتشار الايمان سنة ١٧١٦ تبين انه مطابق له ولا مانع من ظهوره .

عن المكتبة الفاتيكانية في ١٠ نيسان ١٧٦٣ ،

يوسف سمعان السمعاني مدبر المكتبة الفاتيكانية .

قانوني كاتدرائية مار بطرس
مستشار مجمع التفتيش العام المقدس
حامل اختام مجمع التوبة المقدسة ».

يتبين لنا من كل ما تقدم :

١ – ان الوكيل الانطوني كان اميناً في نقل الطبعة الثانية ، ما عدا النوافير الخمسة التي أسقطها .

٢ – ان الكتاب ظهر على نفقة الرهبانية الانطونية ، لا المجمع المقدس .

٣ – ان يوسف السمعاني مدير المكتبة الفاتيكانية كلّف بمقابلة الكتاب مع الطبعة السالفة .

هذا ونعلم من جهة ثانية ان السمعاني كان قد ترأس المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ حيث ورد ذكر تأليف لجان طقسية تتولى طبع الكتب الطقسية من بعد

اصلاحها [١] ، وكان السمعاني نفسه ضليعاً بالمخطوطات المارونية والسريانية وكان قد أعدّ مشروعاً لاصلاح القداس لا تزال بعض نسخه محفوظة حتى اليوم [٢] .

كما واننا نعرف ان العلاقات بين البطريرك وبين السمعاني لم تكن على ما يرام بل كان البطريرك يتهم السمعاني بأنه يريد ان يجدد الطقس على غير تقاليد الطائفة ، وقد ورد في احدى رسائل البطريرك يوسف الخازن (+ ١٧٤٢) :

« كل من هؤلاء الرهبان يريد ان يصلي وحده في الشحيمة الصغيرة ... ولم يخضعوا بل اجتمعوا بالسمعاني الذي طابق معهم ورفضوا الطاعة انما ويريدون ايضاً أن يتمدسوا بدون بخور ... » [٣]

نورد هذه الأمور لنفتح باباً للبحث عن اسباب ظهور هذه الطبعة ، وكان من الضروري العودة إلى محفوظات مجمع انتشار الايمان في روما وإلى محفوظات الرهبانية الانطونية ، ونكتفي الآن بالتساؤل : ألم يكن السمعاني من الذين عارضوا صدور الطبعة الثالثة نسخة منقولة فقط عن الطبعة الثانية ، ! ونتساءل ايضاً ألم تكن غيرة الراهب المذكور مقرونة برغبة ابقاء القديم على قدمه .

على كل : نستخلص من الطبعة الثالثة ، اولا انها مثل الطبعتين السالفتين لم

---

(١) المجمع اللبناني ، القسم الأول ، الباب الثالث ، عدد ٥ ، طبعة نجم ١٩٠٠ ، ص ٢ — ٢٣ .
(٢) راجع المخطوط الفاتيكاني السرياني رقم ٤٥٩ ، ٦٦٧ ، وراجع المخطوط المحفوظ في دير الرهبان الحلبيين في روما رقم ٢٥٩ وقد نشره الأب بولس الخوري في مجلة المنارة ٧ (١٩٣٦) .
(٣) M. Breydy, l'office divin dans l'Eglise syro-maronite, Beyrouth 1961, p. 144

تمهر بخاتم البطريرك ولا طبعت بحسب أمره ، ثانياً : انها اقتطعت خمسة نوافير بدون ذكر اسباب وافية وبدون ان تحل محلهم وبذلك تكون قد اسقطت هذه النوافير من كل طبعات القداس فيما بعد ، اذ كانت الطبعات المتتالية تكتفي بالنقل عن الطبعة الثالثة .

الطبعات الرابعة، الخامسة، السادسة، السابعة

صدرت كل هذه الطبعات عن مطبعة دير مار انطونيوس قزحيا ، التابع للرهبان اللبنانيين ، وذلك في السنين الآتية : ١٨١٦ ، ١٨٣٨ ، ١٨٥٥، ١٨٧٢. وكلها نقلت الطبعة الثالثة بما يختص بالنصوص الطقسية مع اصلاح لغوي بسيط ، ومع تغيير روزنامة الاعياد المنتقلة .

أما ما تميّزت به هذه الطبعات فهو الحاق كتاب القداس بمختارات من الانجيل المقدس لكل يوم من أيام السنة وذلك نقلاً عن المطران جرمانوس فرحات (+ ١٧٣٢) الذي كان من مؤسسي هذه الرهبانية ، والذي أصبح فيما بعد مطراناً على حلب واشتهر بسعة علومه واتقانه اللغة العربية وعمله على نشر الطقوس بين الشعب في هذه اللغة .

كانت الطبعة الثالثة ، على غرار الطبعتين السالفتين ، قد وضعت نصوص الانجيل في المحل المحفوظ لها في القداس أي عند قراءة الانجيل ، وكانت تبدأ السنة الطقسية بحسب الاصول أي بأحد تقديس البيعة ومن ثمّ تنتقل إلى الاعياد والتذكارات العامة . لكن الطبعة الرابعة وما بعد أخذت تبدأ السنة باتباع الحساب الشمسي أي بشهر كانون الثاني بما يختص بالشهور وبالأحد الاول بعد الغطاس بما يختص بالآحاد والسنة الطقسية .

ولا تزال هذه العادة متبعة إلى يومنا هذا اذ نجد كتاب القداس الحالي

يبدأ السنة بشهر كانون الثاني وبالأحد الأول بعد الغطاس .

وقد دونت هذه الطبعات اسماء القديسين ، قبل نصّ انجيل اليوم ، بحسب الروزنامة التي وضعها المطران فرحات ، بينما كان كتاب القداس يتضمن منذ الطبعة الثانية روزنامة للأعياد اليومية وضعت في المقدمة وأعيد طبعها في طبعات قزحيا ، رغم انها لا تطابق دائماً بأعيادها روزنامة فرحات . ونتج عن هذا اختلاف في بعض الاعياد ، بين الروزنامة الموضوعة في بدء الكتاب ، وبين العيد المذكور قبل نصّ الانجيل بحسب فرحات ، مثلاً على ذلك : ١ كانون الاول : في الروزنامة : الرسول حننيا

قبل الانجيل : القديس فرنسيس كسفاريوس

٢ كانون الاول : في الروزنامة : النبي حبقوق

قبل الانجيل : نونس اسقف دمياط

والجدير بالذكر هو ان هذا التباين بين الروزنامتين لا يزال قائماً حتى اليوم في نفس الكتاب .

أما سائر التغييرات فهي بسيطة نذكر منها عنوان الكتاب وقد أصبح «كتُبُا دقوربنُا» بدل «كتُبُا دقوربُا» ، والمعنى ذاته . ولقد اسقطت الاسماء الرومانية الآذنة بالطبع سالفاً واستبدلت بذكر اسم البطريرك كما ورد في آخر طبعة ١٨٣٨ :

« طبع ... هذا الكتاب المبارك ... بنفقة الرهبان اللبنانيين في مطبعتهم الكائنة في دير انطونيوس قزحيا وذلك باذن قدس السيد مار يوسف بطرس حبيش البطريرك الانطاكي الكلي الغبطة وبعناية واهتمام قدس الاب عمنوايل متيني اب عام الرهبنة ... »

وقد ظلّت طبعات قزحيا تتوالى حتى طبع الكتاب مرتين على يد السيد يوسف الدبس مطران بيروت .

الطبعة الثامنة

صدرت عن المطبعة المارونية في بيروت سنة ١٨٨٨ بعناية سيادة المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت ، تحت عنوان « كتبُا دقوربنُا » . ويعرض الناشر سيادته الطبع في مقدمة طويلة جاء فيها :

« يقول الحقير في أساقفة بيعة الله يوسف بن الياس الدبس مطران بيروت : لما كان كتاب القداس المعلومة أهميته بين كتب الطقوس البيعية قد قلّت نسخه المطبوعة وكثرت الحاجة إليه ، رأيت اعادة طبعه امراً لازماً ، والعناية بها من الخير المندوب إلى اصطناعه ، فبعد استشارة السيد البطريرك مار بولس مسعد الكلي الطوبى ورضاه عنيت بتجديد طبعه في مطبعتنا العمومية الكاثوليكية المارونية ...» ثم يعود المطران إلى تاريخ الطبعات السالفة منذ الاولى حتى الأخيرة ويستنتج ان طبعة قزحيا الأخيرة بحاجة إلى إعادة نظر وإلى تصحيح العبارات العربية .

ولذلك « فقد أعدت النظر في ترجمة المقالات العلنية عن السريانية إلى العربية ... وكذلك فعلت في كل النوافير التي طبعت في كتابنا هذا » .

ويذكر المطران ايضاً التعديلات التي اجراها وهي :

أ ــ وضع النافور الروماني في أول النوافير مع الصلوات العامة : ... وجلّ

الكهنة أو كلّهم في طائفتنا يستعملون النافور المجموع من رتبة الكنيسة الرومانية فيضطر المقدّس أن يقلب كتاب القداس مرات ... »

ب ـــ ترجمة الروبريكات : « وقد كانت الشروح المعلّقة بالأحمر (الروبريكات) ... باللغة السريانية وبعبارة موجزة لا تعني بالمقصود ، فنشأ عن ذلك اختلاف كبير بين الكهنة في الحركات التي تستعمل في القداس ... فعلّقت تلك الشروح بين مقالات القداس مترجمة إلى العربية ... »

ج ـــ اعادة النظر في ترجمة نصوص الانجيل والرسائل : « أما فصول الانجيل المطبوعة ... فقد مرّ انها مأخوذة عن ترجمة المثلث الرحمة المطران جرمانوس فرحات من السريانية إلى العربية ، إلا ان الظاهر لي ، بعد معارضتها بالأصل السرياني ، انّه قد عوّل في بعض الآيات على الترجمة العربية القديمة وان قد تطرّق إلى ترجمته بعض أغلاط معنوية أو لغوية ... لكني الآن اعدت النظر ثانية مقابلاً الفصول المذكورة بأصلها السرياني بمزيد تدقيق وتحقيق فزدتها ضبطاً ومطابقة للأصل ... وكذا صنعت عند طبع فصول الرسائل في مطبعتنا هذه ... »

د ـــ ارشادات اضافية للكهنة مأخوذة عن اللاتين : « اما الارشاد للكهنة فيما تلزمهم معرفته في أثناء التقديس ، فجزّأته ليسهل اعتلاقه بالذهن ... وعرّبته وزدت عليه الحوادث مأخوذة عن مثل هذا الشرح في كتب القداس عند اللاتين » .

هـ ـــ شرح رتبة القداس : « واما المنارة (شرح رتبة القداس) فكانت عبارتها طويلة ... فأوجزت عبارتها ما أمكن وألحقت بها رتبة رسم الكأس مع الخدمة مأخوذة عن نسخة في كنيسة بيروت ... »

و ـــ الصلوات قبل القداس وبعده على نسق مار اوغوسطينوس : « ... لما

كان المطبوع منها قبل ركيك الكلام ، وقد الفها الكهنةُ كثيراً ... فقد نسجت الاستعداد والشكر على منوال القديس اغوسطينوس في مناجاته وعواطفه مضيفاً إلى كل فعل شيئاً من كلام هذا القديس في كتابه المذكور ... وأما باقي الصلوات والتبريكات فأهملت بعضها وأوجزت بعضها ... »

ز – التقويم السنوي : « وألحقت هذا الكتاب بتقويم يعلم منه أساس السنة من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ٢٠٠٠ » .

وقد فات المطران الدبس أن يذكر في المقدمة انه نقل ايضاً الروزنامة الشهرية من السريانية إلى العربية دون أن يبدل في تنظيمها او في أعيادها شيئاً .

لم تغير هذه الطبعة من الجوهر شيئاً بل جعلت النافور الروماني في مركز الصدارة وأكثرت من التوجيهات والارشادات بحسب الذهنية اللاتينية ، وقيدت الكهنة أكثر فأكثر بحرف الروبريكه التي أضفت عليها صفة الشريعة الالهية . وبالمختصر : اصلحت العبارة وشدّدت على حرفية القانون . وستعاد هذه الطبعة تحت اسم « طبعة الدبس الثانية » وهي الطبعة التاسعة .

الطبعَة التاسِعَة

توفي المطران الدبس سنة ١٩٠٧ وظهرت الطبعة التاسعة سنة ١٩٠٨ . وقد كانت مطابقة للسابقة في كل شيء ما عدا انها اضافت إلى هذه شروحاً مفصّلة عن كيفية اقامة القداس . وقد عرفت هذه الشروح « بالمنارة » وقد ظهرت في كتاب خاص سنة ١٩٠٨ بعناية الآباء المرسلين اللبنانيين .

أما « المنارة » هذه فقد جاءت تحلّ محل الشرح القديم المذكور في بدء كتاب القداس وبذلك ارغمت الكهنة على اتباع هذه الشروح . وقد ورد

عنها انها ضبطت وصححت على يد المرسلين اللبنانيين « بأمر غبطة البطريرك الياس بطرس السامي الاحترام وتحت مناظرة سيادة المطران شكر الله رئيس أساقفة صور »[1] .

أما هذه « المنارة » ، وهي التي لا تزال جارية حتى اليوم ، فهي بالواقع مزيج من القوانين المارونية واللاتينية مجبولة بالروح القانونية الغربية السائدة في بدء هذا القرن . وهي التي كانت تقيّد الكهنة بارشادات طقسية تنظر إلى حرفيّة الشريعة دون أن توصل إلى الروح ، وهي التي قيّدت الغرب بقوانين طقسية صارمة حرّرها منها المجمع الفاتيكاني الثاني بعد ان خلقت في العالم الغربي ردّة فعل معاكسة . من قوانين المنارة المذكورة في كتاب القداس ، الطبعة التاسعة :

البند الثالث : « عند جمع اليدين أمام الصدر تكون الاصابع منبسطة والكفّان منضماً أحدهما إلى الآخر ، وابهام اليمين فوق ابهام اليسرى ، والكوعان مستندين إلى الخاصرين ... »

البند السادس : « بسط اليدين يكون على هذه الصورة ، أي ان لا يتعديا الجسم اتساعاً ولا يرتفعا الاكتاف علوّاً وان تتجه احدى الراحتين إلى الأخرى مع ميلة يسيرة إلى فوق ، وأن تكون الاصابع منبسطة متلاصقة بدون تكلف ، والكوعان مستندين قليلاً إلى الجسم ... »

هذا بعض ما ورد في « المنارة » الملحقة بالطبعة التاسعة التي تعتبر الطبعة الرسمية الأخيرة لكتاب القداس . نتيجتها هي انها جاءت تدخل الذهنية الغربية في كيفية اداء رتبة القداس بشكل يطفو عليه « السرساب » وتحوم عليه الخطيئة « ضد الروبريكه » .

---

(١) كتاب القداس طبعة ١٩٠٨ ، ص ١٦ .

الطبعة العاشرة

تستخدم بعض الكنائس اليوم طبعة حديثة لكتاب القداس تعرف شعبياً
بالطبعة العربية » لأنها الوحيدة التي صدرت بالحرف العربي لا الكرشوني .
د ظهرت بعناية مطبعة الكريم « المرسلين اللبنانيين » سنة ١٩٥٩ . ما المرجع
ذن بالطبع فهو مبهم غامض . ففي بعض النسخ نجد توقيع « المطران عبد الله
م » وفي البعض الآخر « باذن الرؤساء » وفي البعض الآخر لا ذكر لمرجع
ين . هذا ما دفع بعض الاساقفة إلى منع استخدامها في الكنائس ، لكنها شاعت
م ذلك بسبب عدم وجود طبعات غيرها لكتاب القداس .

أما فيما تختلف به عن الطبعة السابقة فهي « طبعة عملية » تحذف كل ما
اه « المطبعة » غير نافع . وهذه بعض الامور .

١ – تلغي هذه الطبعة كل المقدمات المذكورة في الطبعات السالفة وتبدأ
شرة بنص القداس .

٢ – كل ما هو بالحرف الكرشوني وضع بالحرف العربي .

٣ – تختصر التوجيهات أو تحذفها بحسب ما يخطر للمسؤول المجهول .

مثلاً :

الطبعة القديمة	الطبعة العاشرة
« يسرج الخادم شمعة على يمين المذبح واخرى على يساره ويقول : « بنورك ربنا يسوع نستنير ..» والكاهن من بعد انتهائه من لبس الملابس يقف في وسط المذبح ويقول : انا آت إلى مذبح...	يدنو الكاهن من وسط المذبح ويقبله وهو يقول : انا آت ...

٤ ــ وضع بعض الاناشيد والصلوات باللغة العربية مثلا : الفروميون السدر ... الافراميات ...

٥ ــ حذف بعض الصلوات : مثل الفروميون والسدر الاولين في الفرض الاول ، صلاة البخور للموتى في آخر القداس ، بعض الختامات ...

٦ ــ اضافة المزامير الخاصة بالأعياد قبل الرسائل .

٧ ــ الغاء كل ما جاء في آخر الكتاب مثل صلوات الاستعداد والشكر والتبريكات والتقويم السنوي .

جاءت الطبعة الأخيرة تسدّ فراغاً في كتب القداس ولكنها جاءت «طبعة عملية تجارية مستعجلة» وشاعت في كل الكنائس تقريباً بدون اذن رسمي لطبعها واستخدامها .

طبعات مختصرة

بين أيدي الكهنة وفي الكنائس طبعات مختصرة للقداس تتضمن نافوراً واحداً هو نافور الكنيسة الرومانية مع مختارات من الانجيل والرسائل لأيام الاسبوع السبعة . وربما كانت هذه الطبعات المختصرة معدّة قديماً للسفر لكن

اضح اليوم هو انها تستخدم في القداس المشترك وعند وجود عدد من الكهنة
ن وجود كتب قداس كاملة كافية .

صدرت أقدم هذه الطبعات المختصرة سنة ١٨٨٨ باذن المطران الدبس
طبعته الاولى . وصدرت احدثها في مطبعة الكريم بالأحرف العربية بدل
كرشونية سنة ١٩٦٢ . مصيبة هذه الطبعات المختصرة هي انها جعلت من
افور الروماني الوحيد للقداس الماروني اذ كرّست بذلك مـــا كان يقوم به
مل الكهنة عمليا .

ختام الكلام عن طبعات كتاب القداس

لا بد من ابداء بعض الملاحظات حول هذه الطبعات المختلفة .

١ ــ بدأت الطبعة الاولى التي صدرت في روما بادخال بعض الأفكار
لعادات اللاتينية إلى القداس ، وقد ظلت هذه الأفكار تنمو وتتكاثر حتى
طبعات الأخيرة ، وبدل أن تصلح الطبعات التالية ما أفسدته الطبعات السالفة ،
قد كانت كل طبعة تدخل شيئاً لاتينياً جديداً .

٢ ــ أكثر هذه الطبعات دخلت خلسة دون اذن المرجع الرسمي أي
بطريرك والأساقفة .

منذ الطبعة الاولى حتى الأخيرة لا نجد ابداً ختم البطريرك على كتاب
قداس . فالطبعات الثلاثة الاولى قد جددت في روما ، وطبعات قزحيا الأربعة
لى يد الرهبان ، رغم ذكر اسم البطريرك في الخاتمة ، وطبعتا الدبس هما من
مطرانية بيروت ، «والطبعةالعربية» صادرة عن مطبعة الكريم . هذا يعني ان الحاجة
ي التي فرضت الكتب المطبوعة وان القضايا سارت بحسب مبدأ «الأمر الواقع».

بعد كلّ ، من بعد أن أطلعنا على تاريخ طبع كتاب القداس وهو كتاب
كاهن ، لا بدّ من أن نطلّع على كتاب خدمة القداس وهو كتاب الشماس
الشعب وهو يكمّل كتاب الكاهن .

الفصل الثاني

طبع كتاب خدمة القداس

خدمة القداس هي من وظائف « الشماس » أي «الخادم».وللشماس دور
هام في تسيير الحفلة الطقسية . وعلينا الاّ ننسى ان القداس في الشرق هو
دائماً احتفالي ؛ أما القداس الخاص الفردي فهو بدعة لم تدخل التقليد الشرقي
الكاثوليكي الا بتأثير العادات الغربية .

في القداس ، يتخذ الشماس موقف الموجِّه والمسعف . يساعد الشعب على
الاشتراك في القداس ، ينبّهه ، يحثه على الصلاة والترتيل ، يدعوه إلى الوقوف
أو الجلوس او الانحناء ، يتلو الكرازات والطلبات ، ثم يساعد الكاهن اذ
يهيء القرابين قبل القداس ، يدور بالمبخرة على الشعب ، يتلو القراءات ،
يوزّع المناولة ... الشماس في الكنيسة هو منظم الليتورجيا ، عليه يقع نجاحه
أو فشلها . لذلك فقد أمرت المجامع القديمة بالاّ يقدّس الكاهن بدون شماس ،
كما ان بعض الطقوس الشرقية الحالية ترى من الضرورة وجود شماس لمساعدة
الكاهن ، حتى انها لا تجيز له ان يقيم القداس بدون شماس انجيلي .

وظيفة الشماس اذاً أن يكون في خدمة الشعب والكاهن ، ولذلك فتكميلا
لكتاب القداس ، هناك كتاب « خدمة القداس » يتضمن قسم الشماس وقسم
الشعب . وقد طبعت « خدمة القداس الماروني » للمرّة الاولى في روما سنة
١٥٩٦ ، سنتين من بعد طبع كتاب القداس . وقد صدرت في الوقت الذي كان

فيه القداس الماروني لا يزال احتفالياً جماعياً . ونستنتج هذا من الوصف الذي تركه القاصد دنديني عن القداس الماروني ، في السنة نفسها التي طبعت فيها « الخدمة » .

الطبعة الأولى

جاء في مقدمتها ان كتاب القداسج قد طبع « في السنة الفائتة » وانها جاءت تكمل كتاب القداس .

أما قصّة طبعها فهي شبيهة جداً بقصّة طبع كتاب القداس ، كما وان المخطوط الأصلي لا يزال محفوظاً في مكتبة فلورنسا الأهلية ، مع مخطوطات كتاب القداس ، تحت الرقم cl III / 78,80 ولا مجال للشك في أن الطبعة قد أُخذت عن هذين المخطوطين وكان في البدء مخطوطاً واحداً . وقد جرت على النسخة الأصلية بعض الاصلاحات الطقسية بخط « يوحنا المعمدان ابن الشدياق حاتم ابن الشدياق شمعون من حصرون ، راهب دومينيكاني » وهو نفسه الذي أجرى بعض الاصلاحات على كتاب القداس . كما اننا نرى من جديد الاسماء التي رأيناها على مخطوط القداس : « برتلماوس دي ميراندا ، معلم البلاط المقدس الذي نظر في هذه الخدمة ويشهد انه لم يجد فيها شيئاً ضد الايمان » . وقد وردت في مقدمة الطبعة الرسالة التي وجهها تلامذة المدرسة المارونية للكردينال باليوتي عربون شكر وعرفان جميل ، وقد جاءت في المخطوط كما وردت في الطبعة .

أما عن تاريخ نسخ المخطوط الأصلي فقد ورد اسم الناسخ سركيس سنة

١٥٨٠ مسيحية ولا نظن انه هو سركيس نفسه الذي نسخ كتاب القداس ، لان سركيس الرزي ذاك قد صار بطريركاً سنة ١٥٦٧ ولم يكن من المعقول أن يكون قد تعاطى نسخ كتاب خدمة القداس وهو في البطريركية ، من دون أن يذكر ذلك علناً . أما الاصلاحات التي أجراها الحصروني فلم تكن جسيمة ، لان المشكلات اللاهوتية ضئيلة في الخدمة ، كل ما هنالك بعض الألفاظ والعبارات التي بدّلت ، وهناك بعض الزيادات البسيطة مثل ذكر البابا في التذكارات وغيرها .

ولم ينسَ الحصروني حذف كل ما يتعلّق بتوجيه التقديسات الثلاث إلى الابن ، مثل العبارة التي وردت في الغطاس والآلام والقيامة ...

وقد عمل الحصروني على أن يكون كل شيء متجانساً فجعل المزامير التي تسبق الرسائل على نمط واحد ولحن واحد ، وكانت بالأصل اوزانا مختلفة . كما وانّه رتّب بعض الأناشيد والصلوات في خدمة تذكار العذراء ، وأعاد تنظيم خدمة قداس عيد القديس جرجس ، إلى ما هنالك من تسويات عرضية لم تمسّ الجوهر . فاذا قابلنا الخدمة المطبوعة بالخدمة المخطوطة المحفوظة في فلورنسا وفي سائر المكتبات ، لوجدناها متشابهة دون فوارق كبيرة [١] .

كتاب الخدمة ، كما طبع سنة ١٥٩٦ ، غنيّ جداً بالتراتيل والكرازات المختلفة بحسب الاعياد ، اذ كان لكل عيد خدمة خاصة . وهذا ما كان ينوّع الحفلات الطقسية ويضفي عليها جواً جديداً . وقد حافظت الطبعات المتتالية فيما بعد على نسق الطبعة الأولى ، رغم ان الطبعة الاولى كانت تسير بحسب

---

(١) مخطوطات خدمة القداس الماروني قبل الطبعة هي خمسة فقط ، أوردنا درساً مفصلا عنها في كتابنا Avant-Messe Maronite صفحة ٨٩ – ٩٩ .

النافور الماروني القديم « شرر » ، ولا تزال آثار هذا النافور موجودة حتى الآن في القداس وفي الخدمة .

الطبعات المختلفة لخدمة القداس

جاءت الطبعة الثانية مع طبعة كتاب القداس الثانية أي سنة ١٧١٥ وظهرت بعناية الاب مخايل المطوشي الذي اعتنى ايضاً بطبع كتاب القداس كما وانه اعتنى بها الاب بطرس مبارك الذي أصبح فيما بعد راهباً يسوعياً . وهذه الطبعة الثانية لا تختلف عن الأولى .

كانت الطبعة الثالثة سنة ١٧٣٦ ، سنة انعقاد المجمع اللبناني .

وبعد ذلك صدرت احدى عشرة طبعة عن مطبعة قزحيا كانت آخرها سنة ١٨٩٦ . وقد اضافت هذه الطبعات بعض الاناشيد والتراتيل المعربّة على يد المطران جرمانوس فرحات مثل لحن « بنورك ربنا يسوع نستنير .. » و « عساكر السماء . » « ويا خبز الحياة » الخ ...

أما المطران الدبس فقد كلّف باصلاح العبارة الخوري فرنسيس الشمالي ثم طبعها طبعة منقحة .

وكانت آخر طبعة للخدمة ، باللغة السريانية والحرف الكرشوني ، حول الحرب الكونية الاولى (بدون تاريخ) في المطبعة العلمية ليوسف صادر . وكان قد سبق هذه الطبعة السريانية طبعتان بالأحرف العربية ، الاولى سنة ١٩٠٢ عن المطبعة العثمانية في بعبدا ، والثانية سنة ١٩٠٨ على يد المطران دريان في مصر . لكن هاتين الطبعتين لم تحوزا رضى السلطة .

وظلت الطبعة العربية غير مقبولة رسمياً حتى الحرب الكونية الثانية اذ بدأت تنتشر بالحرف واللغة العربية بفضل « الرابطة الكهنوتية » التي نشرت أولاً

« كتاب القداس الماروني للشعب » سنة ١٩٤٣ و « دليل المؤمن » . لكن هذه الخدمة العربية اسقطت كل القطع المتبدلة تقريباً وجعلت الخدمة واحدة أو شبه واحدة لكل أعياد السنة .

ان كتاب الخدمة التي طبع سنة ١٥٩٦ وظل كما هو ، ثم اختصر بشكل سريع فيما بعد ، لهو اليوم بحاجة إلى إعادة نظر وإلى اصلاح ، ليبقى متنوعاً بحسب الاعياد وبحسب الاسلوب المقبول في الأيام التي نحن فيها عائشون ! وبذلك يكسب القداس الماروني غنى ويصبح أكثر افادة وتعليماً .

الفصل الثالث

القداس الماروني في المخطوطات السابقة للطبعة الأولى

تكلمنا في كل ما سبق عن حالة القداس الماروني وعن تطورها في الكتب طبوعة فقط ، منذ السنة ١٥٩٤ حتى النصوص المستخدمة حالياً . انما يبقى ينا أن نكتشف حالة القداس الماروني قبل الطبع ، وذلك ليتسنى لنا معرفة ريخ هذا القداس منذ البدء حتى النهاية .

ليس من السهل الغوص في التاريخ القديم بدون الوثائق والمستندات الخطية ديمة وليس من السهل مطلقاً الحصول على كل المخطوطات السابقة للسنة ١٥٩ ، تاريخ الطبعة الأولى ، لا بل علينا ان نتساءل هل لدينا حقاً مخطوطات بقة لهذا التاريخ وهل من الممكن الاطلاع عليها ؟

لا تزال دور الكتب المختلفة المنتشرة شرقاً وغرباً تضم نحو الثلاثين مخطوطاً ي القداس الماروني ، تتوزع أعمارها بين منتصف القرن الخامس عشر وأواخر ادس عشر . وقد وفّقنا الله إلى الاطلاع على هذه المخطوطات كلها وإلى حصها ودرسها كما واننا نحفظها بالصور الفوتوغرافية ، وقبل أن نتوقف ي تفصيل الاهمّ والاقدم من بينها ، نُعطي عنها أولاً جدولاً عاماً بحسب ر الكتب ، ثم جدولاً ثانياً بحسب الفئات الطقسية التي تنتمي اليها .

١ – جدول عام عن مخطوطات كتب القداس الماروني المحفوظة في دور الكتب :

١ – بكركي ، البطركية المارونية

رقم	سنة	المصدر
١١٥	١٥٠١	حدشيت
١١٦	القرن السادس عشر	؟
١١٧	القرن السادس عشر	؟
١١٨	١٥٧٠	؟

٢ – الديمان البطريركية المارونية ،

٧	بدء السادس عشر	جبل لبنان !

٣ – حلب – المطرانية المارونية

٦١٩	١٤٩٠	حاقل (جبيل)

٤ – باريس – المكتبة الأهلية

٧١	١٤٥٤	حدشيت
٧٣	١٥٠٩	بان
٧٧	السادس عشر	حدشيت
٧٨	السادس عشر	؟
٧٩	١٥٥٥	؟
٨٠	١٥٥٧	؟
٨٥	السادس عشر	قزحيا

الرقم	السنة	المصدر
٥ – المكتبة الفاتيكانية		
٢٨	الخامس عشر	؟
٢٩	١٥٣٦	قبرس
٣١	الخامس عشر أو ١٥٧٦	؟
٣٢	الخامس والسادس عشر	؟
٤٣٤	١٥٤١	
٣٠٩	الثاني عشر (وريقات)	
٦ – فلورنسا – المكتبة الأهلية		
٧٩,٧٤	١٥٦٦	قزحيا
٧ – فلورنسا ، المكتبة اللورنسية		
٤٣٦	١٥٤٣	روما
٤٠٩	السادس عشر	؟
٨ – ديبلن (ايرلندا)		
١٥١٠	١٥٥٤	قزحيا
٩ – مونيخ (المانيا)		
سرياني ٥	١٥٤٨	قزحيا
١٠ – البندقية – مار مرقس		
شرقي ٦٣	١٥٥٨	؟

ومن بعد السعي في مختلف المكتبات في الأديار المارونية وفي خزائن الكتب الغربية ، لم نوفّق للعثور على مزيد من المخطوطات ، وخاصة على مخطوط قديم ، ذكره البطريرك الدويهي ، وهو من السنة ١٣٢٩ نسخه المدعو حوشب من قرية شمتا [1] .

٢ ـ جدول بحسب الفئات

من بعد أن تفحصنا هذه المخطوطات وقارنا بعضها بالبعض الآخر وجدنا انها تنتمي إلى عائلات طقسية أربعة ، أستناداً إلى تشابهها في اتباع النسق الواحد في القداس . نذكر اولاً كل فئة على حدة ثم نعود إلى مميزات كل منها :

أ ـ الفئة الاولى

١ ـ باريس ٧١ (١٤٥٤)
٢ ـ فاتيكان ٣١ (القسم الأول ، الخامس عشر)
٣ ـ فاتيكان ٣٢ (القسم الأول)
٤ ـ حلب ٦١٩ (١٤٩٠)
٥ ـ فلورنسا لور . ٤٣٦ (١٥٤٣)
٦ ـ باريس ٨٥ (السادس عشر)
٧ ـ فاتيكان ٢٨ (الخامس عشر)

ب ـ الفئة الثانية

١ ـ بكركي ١١٥ (١٥٠١)
٢ ـ باريس ٧٧ ، السادس عشر
٣ ـ الديمان ٧ ، السادس عشر

(١) راجع الخوري ميخائيل الرجي في الطقس الماروني ، المشرق ٣٣ (١٩٣٥) ، ص ٥٠٢). للاطلاع على تفصيل هذه المخطوطات راجع كتابنا الافرنسي Avant-Messe Maronite ص ٤٣ ـ ٨٦ .

ـ الفئة الثالثة

١ — باريس ٧٣ (١٥٠٩)
٢ — ديبلن ١٥١٠ (١٥٥٤)
٣ — فاتيكان ٤٣٤ ، (١٥٤١)
٤ — باريس ٧٨ ، السادس عشر
٥ — فلورنسا لور ٤٠٩ السادس عشر
٦ — فلورنسا اهلية ٧٤ ، ٧٩ / ١٥٦٦
٧ — بكركي ١١٧ ، السادس عشر
٨ — بكركي ١١٨ ، (١٥٧٠)

ـ الفئة الرابعة

١ — فاتيكان ٢٩ ، (١٥٣٦)
٢ — فاتيكان ٣١ (الثاني) ، السادس عشر
٣ — فاتيكان ٣٢ (الثاني) ، السادس عشر
٤ — باريس ٧٩ ، (١٥٥٥)
٥ — باريس ٨٠ ، (١٥٥٧)
٦ — البندقية ٦٣ ، السادس عشر
٧ — مونيخ ٥ ، (١٥٤٨)
٨ — بكركي ١١٦ ، السادس عشر

أما ما تبقى عن القداس الماروني في المخطوط الفاتيكاني السرياني ٣٠٩ . اربع وريقات تعود إلى القرن الثاني عشر هي من نافور شرر وسنذكرها الكلام عن هذا النافور .

ات كل فئة

من الصعب جداً أن ندخل في تفاصيل كل مخطوط ، كما انه من غير

الممكن أن نقابل بين المخطوط والمخطوط اذ يتطلب عمل كهذا وقتاً وابحاثاً لسنا الآن في معرضها . ولا بد لنا ايضاً من أن نعرف ان المخطوطات المجموعة في فئة واحدة ليست نسخة طبق الأصل الواحد عن الآخر ، فالمخطوطات كالأشخاص تتشابه ولا تنطبق .

وفي كلامنا فيما بعد عن شرح القداس في تفاصيله سنعود إلى هذه المخطوطات نستوضحها لتنكشف الخفايا وتتوضح الملابسات بقدر الامكان أما الآن فيكفينا أن نأخذ فكرة عابرة عن كل فئة لتظهر لنا المعالم الاساسية للقداس الماروني قبل تثبيت نصّه النهائي بالطبع .

مميزات الفئة الاولى

تضم هذه الفئة أقدم مخطوطات القداس وتمتاز أكثرها عن القداس الحالي بأمرين :

١ — القسم الأول من القداس ، قبل القراءات ، أقصر من اليوم (فرض واحد) ، وتهيئة القرابين فيه بشكل أبسط .

٢ — استخدام نافور « شرر » الماروني في مقدمة النوافير .

مميزات الفئة الثانية

متأثرة أشد التأثير بالمخطوطات اليعقوبية ، مع استخدام صلوات وأناشيد غير معروفة في المخطوطات المارونية العادية . ربما كان ذلك بسبب انتقال بعض الموارنة إلى البدعة اليعقوبية ، وربما كان ايضاً لاستخدام نساخ يعاقبة لكتب مارونية .

مميزات الفئة الثالثة

من هذه الفئة اتخذت الطبعة الاولى التي هي شبيهة جداً من بالمخطوطات

في هذه الفئة . انها تمثل تطوراً للقسم الأول من القداس مع استعمال
ر من النوافير اليعقوبية ، وأكثرها قد أسقط استخدام شرر واكتفى
السريانية الانطاكية وحتى التي تحمل أسماء يعقوبية ظاهرة .

ئة الرابعة

شبيهة بالفئة الثالثة مع اضافة فعل اعتراف وصلاة الحل من الخطايا في
اس في رتبة توبة على الطريقة اللاتينية . وكانت هذه الرتبة قد أصبحت
ن القداس ، وقد بقي منها أثر اليوم في بدء القداس البطريركي ،
في « المنارة » .

ي أقدم مخطوط ماروني

تاماً لهذا الفصل عن القداس الماروني من خلال المخطوطات نقدم على
ال وصفاً لحالة القداس في أقدم مخطوط للقداس الماروني ، نتصفحه
رتأنٍّ مقابلين بين قداس اليوم والقداس الذي كان يشترك فيه اباؤنا
في منتصف القرن الخامس عشر ؛ انه القداس المحفوظ في باريس في
تحت الرقم ٧١ من السنة ١٤٥٤ .

٧

مجال طبعاً لأن نجد ولو كلمة واحدة من أصل المخطوط باللغة العربية ،
سريانية ، إلاّ ما ورد في الحواشي أو الهوامش من تاريخ متأخر .
فضول إلى التعرف على هوية الكاتب والكتاب ، فنجد على الصفحة
سم « الخوري يحنا (يوحنا) من قرية بان » ، فنعرف انه استخدم
الشمالي ، جهات بشري واهدن . ثم ننتقل فوراً إلى الصفحة الأخيرة

فنجد بالحرف الكرشوني ما يلي : « ان الفراغ من هذا الكتاب كان في خمسة أيام مضت من شهر كانون الأول في سنة الف وسبعماية وخمسة وستين سنة مضت من سنين الاسكندر اليوناني (١٤٥٤م) وكان تسطيره على يد الحقير جرجس من قرية حدشيت » .

ونقرأ أيضاً على الصفحة الأخيرة اسم « الخوري هلال بن جرجس من قرية قرحين » ، ثم نقلب الصفحات فنجد أن أوراقه ممزقة على الأطراف لكثرة الاستعمال وهي لا تزال تحمل اثار بصمات الاباهم ، كما ان نقط الشمع العسلي لا تزال ملتصقة بكثير من الصفحات .

نستدل من كل هذا أن الكتاب قد استخدم لاقامة القداس في احدى هذه القرى المارونية القريبة من الكرسي البطريركي في قنوبين ، في الوقت الذي كان البطريرك قد انتقل من ايليج إلى قنوبين سنة ١٤٣٩ .

نتساءل كيف كان الخوري جرجس من حدشيت أو الخوري حنا من بان يحتفل بالقداس الماروني حول السنة ١٤٥٤ ؟

١ — تهيئة القرابين على المذبح .

يبدأ القداس بهذا العنوان « الرتبة التي تسبق نافور بطرس رئيس الرسل » .

يلبس الكاهن ثياب رتبته ويأخذ القربان ويضعه في الصينية على المذبح ويقول علناً :

« بارك يا سيد ، ذكر ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح وكل تدبيره الخلاصي ... » [1] وينهي هذه الصلاة العلنية بعبارة يذكر فيها من تقدّم

---

(١) راجع الصلاة السرية الأولى التي يقولها الكاهن اليوم عندما يضع يديه فوق التقدمة عند « صلاتك معنا » .

الذبيحة لأجله قائلاً : « وخاصة من أجل عبيدك فلان وفلان الذين يقدم عنهم هذا القربان » .

ثم يأخذ الخمر ويصب في الكأس ويمزجها بالماء . ويقول هذه الصلاة سرّاً : « أيها الثالوث الاقدس ارحمني ... »

ثم « اجعل يا رب ذكراً صالحاً على هذا المذبح المقدس ... »

٢ — الفرض

يبدأ الكاهن بما نسميه اليوم الفرض الثاني ، أي الفرض الذي يتضمن : « ارحمني يا الله » ، على الشكل المعروف اليوم تماماً :

١ — المجد للاب والابن ...

٢ — من أجل امان وسلام ...

٣ — أهلنا أيها الرب الاله الرحيم يا محب البشر ...

٤ — ارحمني يا الله

٥ — الصلاة التي تلي « أرحمني يا الله » ...

٦ — فلنقف حسنا بالصلاة والطلبات ...

٧ — الافراميات (سدر واحد بالسريانية)

٣ — التقديسات الثلاث . والصلاة التي تتبعها

٤ — **قسم القراءات** ، مثل اليوم تقريباً مع وضع البخور الذي كان سائداً ، ترافقه الصلوات التي سقطت اليوم ، وبدون ذكر البركة قبل الانجيل .

ومن بعد الانجيل يقول الشماس الكرازة والكاهن الصلاة ثم يعلن عن اخراج الموعوظين : « اذهبوا بسلام ايها السامعون ، اذهبوا ايها السامعون

بسلام . تقدموا ايها المعمدون للسلام . اغلقوا الباب . وليعلن الكاهن النشيد » .

٥ – نقل القرابين

الا وجود لحركة نقل القرابين بل نشيد نقل القرابين في ثلاثة أبيات : البيت الأول بجوق الكهنة ، والثاني بجوق الشمامسة والثالث مقسوم بين الجوقين .

٦ – قانون الايمان

٧ – النافــور

ان النافور المدوّن في مقدمة النوافير مع الصلوات العامة كأنه النافور الرسمي هو نافور الرسل المسمى « شرر » او نافور بطرس . وهو وارد كما جاء تقريباً في آخر الطبعة الاولى ١٥٩٤ . وليس بالسهل عرض هذا النافور وشرحه لكثرة معضلاته الطقسية ولطول صلواته خاصة في القسم الاول منه ، ولكننا نود أن نعطي فكرة خاطفة عن مجموعة الصلوات والأعمال الطقسية التي يتضمنها .

يقسم نافور شرر إلى قسمين أساسيين : «النافور بحصر المعنى» ويبدأ بالصلاة التي تسبق « قدوس » حتى نهاية القداس، ثم قسم يسبق «النافور بحصر المعنى» ويمكننا أن نسميه « ما قبل النافور مباشرة » .

١ – ما قبل النافور مباشرة :

يتضمن هذا القسم :

١ – رتبة السلام

– المجد للاب ...

– صلاة ...

أ ــ شرح القداس في المواعظ المنسوبة إلى كيرلس الاورشليمي .

يقول البعض ان المواعظ عن الأسرار ليست من كيرلس بل من خلفه يوحنا . أكانت منه ام من الخلف ، فانها شرح للقداس الاورشليمي حول السنة ٣٨٥ وسنعود اليها لفهم بعض النقاط الطقسية الحالية في القداس . هذه الشروح هي قريبة جداً من شرح نافور مار يعقوب .

ب ــ شرح القداس في مواعظ تيودورس اسقف المصيصة

تيودورس هو من أئمة معلمي المدرسة الانطاكيةان لم يكن إمامها . وقد عين اسقفاً على المصيصة في منطقة ميليتينا البحرية لكنه شرح بالتفصيلالقداس القريب من القداس الكلداني . وكان ذلك حول السنة ٣٩٥ ، وقد اعطى الكثير من التفاصيل المفيدة لفهم القداس الحالي .

ج ــ نص القداس في المراسيم الرسولية

المراسيم الرسولية هي نصوص طقسية من البيئـــة الانطاكية في اواخر القرن الخامس ، وتتضمن في الكتاب الثامن نصاً مطولا للقداس منسوباً الى البابا اقليمس ولكنه بالواقع قداس قريب من القداس الملكي الانطاكي .

بهذه الشهادات الثلاث : كيرللس ، تيودورس، المراسيم الرسولية، لنا شروح وافية عن القداس الانطاكي الاورشليمي الذي ثبت في الطقس السرياني الانطاكي ، وشروح عن القداس الانطاكي الرهاوي الذي ثبت في القداس الكلداني ، ونصوص عن القداس الانطاكي الملكي وقـــد ثبت فيما بعد في الطقس الملكي .

أ ــ شرح القداس في المواعظ المنسوبة إلى كيرللس الاورشليمي .

يقول البعض ان المواعظ عن الأسرار ليست من كيرللس بل من خلفه يوحنا . أكانت منه ام من الخلف ، فانها شرح للقداس الاورشليمي حول السنة ٣٨٥ وسنعود اليها لفهم بعض النقاط الطقسية الحالية في القداس . هذه الشروح هي قريبة جداً من شرح نافور مار يعقوب .

ب ــ شرح القداس في مواعظ تيودورس اسقف المصيصة

تيودورس هو من ائمة معلمي المدرسة الانطاكيةان لم يكن إمامها . وقد عين اسقفاً على المصيصة في منطقة ميليتينا البحرية لكنه شرح بالتفصيل القداس القريب من القداس الكلداني . وكان ذلك حول السنة ٣٩٥ ، وقد اعطى الكثير من التفاصيل المفيدة لفهم القداس الحالي .

ج ــ نص القداس في المراسيم الرسولية

المراسيم الرسولية هي نصوص طقسية من البيئــة الانطاكية في اواخر القرن الخامس ، وتتضمن في الكتاب الثامن نصاً مطولا للقداس منسوباً الى البابا اقليمس ولكنه بالواقع قداس قريب من القداس الملكي الانطاكي .

بهذه الشهادات الثلاث : كيرللس ، تيودورس، المراسيم الرسولية، لنا شروح وافية عن القداس الانطاكي الاورشليمي الذي ثبت في الطقس السرياني الانطاكي ، وشروح عن القداس الانطاكي الرهاوي الذي ثبت في القداس الكلداني ، ونصوص عن القداس الانطاكي الملكي وقــد ثبت فيما بعد في الطقس الملكي .

بسلام . تقدموا ايها المعمدون للسلام . اغلقوا الباب . وليعلن الكاهن النشيد » .

٥ – نقل القرابين

الا وجود لحركة نقل القرابين بل نشيد نقل القرابين في ثلاثة أبيات : البيت الأول لجوق الكهنة ، والثاني لجوق الشمامسة والثالث مقسوم بين الجوقين .

٦ – قانون الايمان

٧ – النافـــور

ان النافور المدوّن في مقدمة النوافير مع الصلوات العامة كأنه النافور الرسمي هو نافور الرسل المسمى « شرر » او نافور بطرس . وهو وارد كما جاء تقريباً في آخر الطبعة الاولى ١٥٩٤ . وليس بالسهل عرض هذا النافور وشرحه لكثرة معضلاته الطقسية ولطول صلواته خاصة في القسم الاول منه ، ولكننا نود أن نعطي فكرة خاطفة عن مجموعة الصلوات والأعمال الطقسية التي يتضمنها .

يقسم نافور شرر إلى قسمين أساسيين : «النافور بحصر المعنى» ويبدأ بالصلاة التي تسبق « قدوس » حتى نهاية القداس، ثم قسم يسبق «النافور بحصر المعنى» ويمكننا أن نسميه « ما قبل النافور مباشرة » .

١ – ما قبل النافور مباشرة :

يتضمن هذا القسم :

١ – رتبة السلام

– المجد للاب ...

– صلاة ...

من هذه الشروح عن القداس الكلداني الشرح المنسوب الى ابراهيم برل
(القرن الثامن) والى المعروف باسم جرجس الاربلي (الحادي عشر) [1] .

٣ — الموارنة والملكيون

الموارنة هم ايضاً من الذين حملوا لقب «الملكيين » من بعد المجـ
الخلقيدوني لارتباطهم بعقيدة « الملك » اي امبراطور القسطنطينية . وقد غلـ
اللقب فيما بعد على المعروفين اليوم بالروم الكاثوليك في بطريركية انطاكية. ولكـ
قبل ان يأخذ الروم طقوس بيزنطية ، كانت لهم طقوسهم الانطاكية الخاصـ
وكان لهم للقداس نافور مار يعقوب الاورشليمي الأصل . وفي مدة من الزمـ
كانت طقوسهم بالسريانية وشبيهة بالطقس الانطاكي السرياني . ولا تزا
كتبهم الطقسية القديمة تتضمن صلوات انطاكية سريانية غير معروفة في الطقـ
البيزنطي ، كما انها تتضمن ايضاً الصلوات والطقوس البيزنطية بأكملها مترجـ
الى اللغة السريانية [2] .

ولم ننسَ رأي العالم كورولوفسكي القائل بانه قبل القرن العاشر « كانـ
الطقوس الملكية واليعقوبية والمارونية واحدة » [3] .

ونعرف من تاريخ التلمحري ان الموارنة والملكيين في حلب انقسموا فيـ
بينهم في القرن الثامن وقسموا الكنيسة الى شطرين ثم نصبوا مذبحاً لجهة الغرب

---

(١) .H. Connolly, Anonymi auctoris Expositio... Paris-Rome, 1913-1915, CSCO, Syri. t. 91-92.

(٢) Avant-Messe Maronite, pp. 242-244, 248 note 1.

(٣) راجع ص ٩١

« وكان الموارنة يقيمون القداس على المذبح الشرقي (والملكيون) على المذبح الغربي» فهل كانت قداساتهم جد مختلفة ؟ (١)

ليس بالامكان تأكيد امر وحدة الطقوس اذ تنقص الشواهد المباشرة لكن التقديرات محتملة جداً .

على كل ، ما زلنا نحتفظ بمخطوط نفيس يتضمن ليتورجية مار يعقوب الملكية كما كانت تقام في دمشق في القرن التاسع – العاشر ، ومن الضروري جداً الا نجهل هذه الليتورجية اذا ما اردنا ان نفهم قداسنا الماروني (٢) .

٤ – الشروح والنصوص للقداس الاورشليمي والانطاكي قبل القرن الخامس

من يسعى الى فهم القداس الحالي عليه ان يعود الى الأصل لتنجلي له الأمور على غوامضها . ولذلك فان العود الى النصوص الطقسية القديمة من القرن الأول حتى القرن الخامس ليس محبذاً فقط بل ضرورياً. كما انه علينا الا نكتفي بالنصوص الطقسية وحسب بل علينا ان نستفيد من الشروح التي وضعها آباء الكنيسة للقداس .

من الصعب ان نعدد هنا جميع النصوص المتعلقة بالقداس . نكتفي بذكر اهمها وخاصة المتعلق منها بالقداس الاورشليمي والانطاكي (٣) .

---

(١) Chronique de Michel le Syrien, éd. Chabot, Paris 1901, t II, pp. 495-496.

(٢) نشر هذا القداس باليونانية ونقله إلى اللاتينية الأب مرسيه .
B.-Ch. Mercier, La liturgie de Saint Jacques. Patrologia Orientalis XXVI (1946) pp. 115-256.

(٣) لكل هذه النصوص القديمة راجع : Lettres Chrétiennes, nn. 5, 7.

وقد تبعه الكثيرون من اليعاقبة في شرح القداس كل في زمانه . نذكر منهم

– جرجس اسقف العرب (+ ٧٢٤)[١] وقد ترك شرحاً للقداس بحسب نافور مار يعقوب .

– يوحنا اسقف دارا (+ ٨٤٧)[٢] وله شرحان في القداس .

– موسى بركيفا (+ ٩٠٧)[١] وله ايضاً شرح في القداس .

يضاف الى هؤلاء يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) في رسالته الى الكاهن توما[٣].

لا شك ان الاطلاع على كل هذه الشروح مع ما يتضمنه المتحف البريطاني من مخطوطات سريانية لكتب القداس قبل القرن العاشر تساعد كثيراً على تفهم القداس الماروني القديم والحالي .

٢ ــ الموارنة والسريان المشرقيون (الكلدان)

وما علاقة الموارنة الانطاكيين بالكلدان ؟

للكلدان اليوم نوافير ثلاثة للقداس اكثرها استعمالا النافور المنسوب الى الرسل والمعروف باسم نافور «اداي وماري» . وان الشبه في التنسيق والصلوات بين هذا النافور وبين النافور الماروني القديم «شرر» لا يقبل الشك . ويذهب العلماء الى القول بان النافورين من اصل واحد يعود اكثر الظن الى نحو الس

(١) .H. Connally, H.W. Cordington, two commentaries on the jacobite liturgy by George bishop of the Arab tribus and Moses bar Kepha.

(٢) Voir Avant-Messe Maronite, pp. 154-156.

(٣) Rahmani, I fasti della chiesa, 1920 p. XIX.

٤٣٠ ، وبان النص الماروني اقدم من النص الكلداني [١] .

وهناك نقاط مشتركة في الطقوس بين الموارنة والكلدان خارج القداس ، في الرتب الطقسية وفي الفرض اذ نجد اناشيد غير معروفة في الطقس السرياني الانطاكي وهي مشتركة بين الكلدان والموارنة [٢] .

الى متى تعود هذه الطقوس المشتركة ؟

ألى بدء القرن الخامس عندما اتخذ الكلدان بعض الطقوس الانطاكية ، في مجمع سلوقية كتازيفون (المدائن) [٣] ؟

ام كان هناك تأثير مباشر من الطقوس الكلدانية على المارونية من بعد علاقات البطريرك صليبا زخا (٧١١ – ٧٢٨) وتيموتاوس الأول من بعده ؟ [٤] .

ان الوثائق التاريخية غير كافية للجزم في الموضوع ، انما يظهر جلياً ان الصلة الوثيقة بين النافورين الكلداني والماروني هي أقدم من القرن الثامن وهي تعود الى اصل واحد في البداية اي الى القرن الخامس كما ذكر العارفون .

ومما لا شك فيه هو ان القداس الماروني الحالي متأثر بالنافور الماروني القديم « شرر » ، وان « شرر » قريب جداً من النافور الكلداني المنسوب للرسل ، فاذا ما عدنا الى شرح هذا النافور اتضحت لنا امور كثيرة في « شرر » وفي القداس الماروني الحالي .

---

(١) A. Raes, Le récit de l'Institution eucharistique dans l'anaphore chaldéenne et malabare des Apôtres, Orient. Christiana Periodica X, (1944), p. 221.

(٢) Avant-Messe Maronite, pp. 202-204.

(٣) cf Synodicon Orientale, éd. Chabot, Paris 1902, p. 266.

(٤) R. Bidawid, Les lettres du patriache nestorien Timothée I, Studi e Testi, No. 187, Rome, 1956, p. 91.

نضيف الى درس هذه الطقوس درس القداس الانطاكي من قبل القر
الخامس اي قبل انفصال الطوائف بعضها عن بعض . كل هذه المصادر مر
شأنها ان تساعدنا على شرح القداس الماروني شرحاً وافياً .

١ – الموارنة والسريان الانطاكيون

من المعروف ان الطائفة المارونية قد تكونت حول دير مار مارون الذي
كان بالقرب من افاميه في سوريا الثانية . عن هذا الدير يقول المسعودي « كان
شرقي شيزر ... قرب العاصي »[١] . فشيزر هذه هي شيجر الحالية بين حما
وافاميـــه .

كانت اكثر اديار الموارنة في سوريا الثانية حول دير مار مارون . لكن
المنطقة لم تكن خاصة بالموارنة ، بل كان اليعاقبة ايضاً من سكانها ، ودير
مار باسوس اشهر اديار اليعاقبة الذي كان يضم نحو اربعة آلاف راهباً كان
في سوريا الثانية [٢] .

ربما كان لكل دير من الأديار الكبرى تقليد طقسي خاص وربما تميّز
دير مار مارون عن سائر الأديار السورية ولكن التاريخ لا يذكر فوارق بين
الطائفتين الا الفوارق العقائدية اذ كان البعض من تباع مجمع خلقيدونيا والبعض
الآخر ضده . ولا نظن ان الانقسامات الأولية قد جرّت معها انقسامات في
طريقة اقامة الطقوس الدينية . ولذلك فاننا لا ندهش بان نقرأ للمؤرخين
الطقسيين مثل هذا القول :

---

(١) المسعودي ، المرجع المذكور .
(٢) لامنس ، تصريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار ، ٢ ، ص ٨٤ .

« كثير من المؤرخين والباحثين يظنون انه حتى حوالى القرن العاشر بقي طقس انطاكية واحداً تقريباً عند الطوائف الثلاثة التي اتبعته : الملكيين ، واليعاقبة والموارنة ...[1]

على غالب الظن ان الطقس الماروني كان قريباً من الطقس السرياني الانطاكي ، هذا ما نتلمسه في المخطوطات الطقسية المارونية الاكثر قدماً والتي تعود الى القرن الثاني عشر ، ولا مجال للشك بانه لو كان لنا مخطوطات اكثر قدماً لوجدنا تقارباً محسوساً بين الطقسين . على كل ان بعض الأمور تؤكد ذلك ، فنافور مار يعقوب الذي يستخدمه الموارنة اليوم هو ترجمة سريانية عن اليونانية قام بها يعقوب الرهاوي اليعقوبي (+ ٧٠٨) ، كما ان نص نافور الرسل الاثني عشر هو معروف ايضاً في الطقس اليعقوبي . وكلا النافورين قديمان ، فنستغرب ان يكون الموارنة لم يستخدموا هذين النافورين قبل القرن العاشر .

ان كانت الحال هكذا فعلينا ألاّ نجهل الطقس السرياني قبل القرن العاشر اذا ما اردنا ان نتفهم قداسنا الماروني ، خاصة وان لهذا الطقس سلسلة من شروح للقداس ، اهمها :

١ — شرح القداس في المراتب الكنائسية المنسوب الى ديونسيوس الاريوباجي الذي هو بحسب زعم الباحثين من ناحية انطاكية ومن المونوفيزيتين ، وربما كان البطريرك المونوفيزيتي بطرس القصار (+ ٤٨٨)[2] .

---

(١) رسالة وجهها مستشار المجمع الشرقي الأب كورولفسكي إلى الخوراسقف مخايل رجي — منشورة في مقال الرجي — في الطقس الماروني :

M. Rajji, de la liturgie Maronite, dans Proche-Orient Chrétien, I (1951), p. 73, lettre du 21 Déc. 1936.

(٢) E. Boularand, l'Eucharistie d'après le Pseudo-Denys l'Aréopagite, Bulletin de littér. Ecclés. LVIII (1957) pp. 193-217. LIX (1958), pp. 129-169.
— Maurice de Gandillac, Oeuvres complètes du Pseudo-Denys l'Aréopagite, Paris 1943.

تضاف الى مخطوطات نصوص القداس شروح طقسية عن القداس و
صلواته واعماله الطقسية نذكر منها لهذه الحقبة تفسير القداس للمط
ديونيسيوس برصليبي (+ ١١٧١) الذي يتتبع شرح القداس صلاة ص
وعملاً عملاً [١] .

(١) r-Salibi, Expositio Missae (texte syriaque et traduction latine par H. Labour. CSCO syr., ser. 2, t. 93) 2 vol. Paris 1903.

الفصل الخامس

القداس الماروني من قبل القرن العاشر

ليست لنا شواهد طقسية مارونية عن القداس قبل القرن العاشر ، فهل يعني ذلك اننا نجهل كل الجهل حالة القداس الماروني في تلك الحقبة ؟

من المعلوم ان الحدثان قد جارت على الكتب الطقسية المارونية لكن هذا لا يعني انه من غير الممكن التوصل الى بعض الاستنتاجات الطقسية الصحيحة بفضل العودة الى التاريخ ودرس الطقوس الشرقية الشقيقة التي كان معمول بها في البيئة نفسها التي عاش فيها الموارنة ثم المقابلة بينها . ان دير مار مارون ، مركز الموارنة الأساسي ، لم يهدم نهائياً إلا في النصف الأول من القرن العاشر وقد كان ذلك في ايام المؤرخ العربي المسعودي الذي شهد عن ذلك بنفسه ، وقد توفي سنة **٩٥٦** (١) .

فالنزوح النهائي من سوريا لم يكن قبل هذا التاريخ . فعندما ندرس الطقوس السورية آنذاك ، وخاصة الطقس السرياني الانطاكي ، والطقس السرياني المشرقيّ ، والطقس الملكي الانطاكي – ولنا عن هؤلاء شواهد – تتبين لنا معالم الطقس الماروني قبل القرن العاشر .

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، الطبعة الفرنسية C. Barbier de Meynard باريس ١٨٨٧ المجلد التاسع ، ص ٣٧٦ .

بالواقع ، تتبع هاتان الرتبتان تقسيم القداس جزءاً جزءاً لا بـــل صـ
صلاة ! فهناك القسم السابق للقراءات ، ثم قسم القراءات وقسم التقديس
نسق النافور . ولحسن الحظ نجد لهاتين الرتبتين مخطوطات اقدم من مخطوطا
القداس . فرتبة تقديس الميرون لا تزال محفوظة في كتاب السيامات الموجـ
في مكتبة بكركي (رقم ١٠٢) وهو من السنة ١٣١١ .

اما رتبة تقديس الماء ، وهي لتقديس ماء العماد يوم الغطاس ، فـ
محفوظة في مخطوطين قديمين موجودين ايضاً في بكركي ، الرقم ٩٨ من السـ
١٣٥٤ والرقم ٩٤ من السنة ١٤١١.[١] تتبع الرتبتان نسق صلوات النافو
القديم المعروف « بشرر » وتختصر القسم الاول من القداس كما وانها تكثر
القراءات في القسم الثاني .

مع هذه الرتب ، نستطيع ايضاً ان نتفحص رتب السيامات الكهنوتية
فتنفتح امامنا ابواباً اوسع لتفهم بعض الصلوات الخاصة وبعض الاعمـ
الطقسية وبنوع خاص «الكرازات» « والزياحات » .

لا تزال السيامات محفوظة في مخطوطات من السنة ١٢٩٦ (الفاتيكا
السرياني ٣٠٩) ومن السنة ١٣١١ (بكركي ١٠٢) .

كما واننا نستفيد افادة كبرى من الاطلاع على مجموعات الأناشيد المارو
العامة منها والخاصة مثل اناشيد الفرض المحفوظة منذ بداية القرن الثالث عشـ
(المتحف البريطاني الرقم ١٧٢٣٥ والرقم ١٤٧٠٧ : قبل السنة ١٢٣٩) او اناشـ
الجنازات من السنة ١٢٦٦ (الفاتيكاني السرياني ٥٩) .

(١) عن هذه الرتبة وعن نصوصها راجع المقال :

— M. Sauget, Bénédiction de l'eau dans la nuit de l'Epiphanie selon l'ancienne tradition de l'Eglise Maronite, Introduction, Traduction, Orient Syrien IV, 3, pp. 319-378.

٢ – الكتب التاريخية المنسوبة إلى الموارنة

من هذه الكتب المعروفة في التقليد الماروني والمنسوبة عملياً وتاريخياً الى الموارنة « كتاب الهدى » وهو من السنة ١٠٥٩ ، وفية فصل خاص ومعلومات مبعثرة هنا وهناك عن القربان والقداس في تلك الحقبة [١] . كما وانه بالامكان الاستفادة من « المقالات العشر » المنسوبة الى توما الكفرطابي وهي من السنة ١٠٩٩ [٢]

٣ – المراجع السريانية الانطاكية

ذكرنا ان المخطوط الفاتيكاني السرياني ٣٠٩ لا يزال يحفظ اربع وريقات من القرن الثاني عشر تتضمن قسماً من القداس الماروني القديم بعضه من نافور « شرر » وبعضه من النافور السرياني المنسوب الى يوحنا فم الذهب . وبالواقع . هذا النافور الأخير هو سرياني يعقوبي بحسب النسق السرياني الانطاكي . ومما لا شك فيه ان الموارنة كانوا في تلك الحقبة يستخدمون ايضاً نوافير بحسب النسق الانطاكي المذكور . فاذا ما اردنا ان نتعرف على تفاصيل القداس السرياني الانطاكي من القرن الحادي عشر حتى الخامس عشر فاننا نجد مجموعة من كتب القداس لا تزال محفوظة في مختلف دور الكتب وأهمها مجموعة المتحف البريطاني [٣] .

---

(١) كتاب الهدى ، نشر بطرس فهد ، حلب ١٩٣٥ .

(٢) المقالات العشر ، نشر الأب فيليب السمراني ، مجلة المنارة ٧ (١٩٣٦) ص . ٣٤٧ ، ٤٠١ ، ٦٤٧ ، ٨١٥ .

(٣) أهمها المخطوطات الآتية :

القرن التاسع – العاشر	— Add. 14.494.
القرن العاشر	— Add. 14.493, 14.496
القرن العاشر – الحادي عشر	— Add. 14.495
السنة ١١٨٢	— Add. 14.690
السنة ١٢٣٠	— Add. 14.691
القرن الثالث – الرابع عشر	— Add. 14.493

يضاف إليها مخطوطات المكتبة الأهلية في باريس ومن بينها الرقم ٧٠ من السنة ١٠٥٩ والرقم ٧٢ من السنة ١٤٦٢ .

يتألف الكراس من اربع وريقات نجت من الفقدان ، وهي مكتوبة
الصفحتين وتتضمن بعض الصلوات من نافورين : شرر ونافور سري
منسوب الى يوحنا فم الذهب وهو معروف بين النوافير التي تتبع النسق السري
اليعقوبي .

نستدل من هنا ان الموارنة كانوا حتى في القرن الثاني عشر يستخدم
شرر مع غير النوافير ، ربما شرر بالدرجة الاولى ، ولكنه لم يكن الوحيد .

الفَصْلُ الرابع

القداسُ الماروني
بَينَ القرن الحَادي عَشر وَالقرن الخامِسْ عشر

تعود بنا مخطوطات القداس الماروني الى منتصف القرن الخامس عشر (١٤٥٤) فهل من الممكن معرفة حال القداس قبل هذا التاريخ ؟ هل هناك من مصادر غير كتب القداس تساعدنا على التعرف على القداس وإن لم يكن بالتفصيل ؟ بالواقع ، لدينا مستندات ومراجع مارونية حتّى القرن الحادي عشر ، يتمكن المطّلع عليها من بعض الاستنتاج الصحيح عن واقع القداس في تلك الحقبة ، لكنها طبعاً لا تدخل في التفاصيل . وهذه المراجع هي على نوعين منها مخطوطات طقسية عن سائر الرتب المارونية غير القداس ، ومنهـا شروح تاريخية ، طقسية وقانونية محفوظة في مصادر تقول إنها مارونية وتعود الى القرن الحادي عشر . كما واننا نستطيع ان نضيف الى هذه المراجع المارونية مراجع اخرى سريانية انطاكية عن كتب قداس محفوظة منذ القرن الحادي عشر . او عن شروح للقداس منذ تلك الحقبة .

١ — **المخطوطات الكنسية المارونية** : من المعروف ان بعض الرتب الطقسية مثل « تقديس الميرون » «وتقديس الماء » تشابه بنسقها وترتيبها رتبة القداس . حتى ان الاسم الذي تحمله انما هو بالسريانية « قودُشُا دميرُون» و « قودُشُا دمَيُا » اي «قداس الميرون » « وقداس الماء » .

– تذكارات من جديد

« يسجد بشكل صليب ... »

– تذكارات متعددة عمّن يقدم القربان من اجلهم تنتهي بقول الشعب : انه لواجب ولائق .

– بركة الشعب بالصليب

– وضع البخور مع صلاة عن تقديم البخور

ثم صلوات تعود الى التذكارات على القربان الموضوع على المذبح .

بعد هذه المقدمات التي سميناها «ما قبل النافور مباشرة» نقرأ ما يلي
« هنا يبدأ نافور بطرس » .

٢ – النافور

– صلاة ما قبل قدوس ثم قدوس ...

– صلاة تنتهي بالكلام الذي نسميه اليوم « الجوهري » حيث يض
النافور الكلام بشكل قصصي على لسان الكاهن مخاطباً المسيح : « في الليلة ال
أسلمتَ فيها ، اخذتَ خبزاً بيديك المقدستين ، وباركتَ ... »

– تذكار المسيح ،

– تذكار العذراء ثم تذكارات عامة .

– دعوة روح القدس

– الكسر والرشم : « يحمل الخبز على يديه ويكسر ويرشم قائلا : آ
وقدمنا ، نختم ونكسر ... ، يكرز الشماس بروديقي » ...

ما تبقى من القداس هو شبيه جداً بالقداس الحالي حتى مع الكسر والرشم قبل المناولة ثم مع المناولة والشكر .

وبانتهاء نافور شرر يتضمن المخطوط ستة نوافير اخرى على النسق السرياني الانطاكي المشترك مع اليعاقبة ، لا بل نجد بعضاً من هذه النوافير المذكورة تحمل اسماء يعقوبية . والجدير بالذكر هو ان الصلاة الاولى في هذه النوافير قد دعيت «صلاة شرر» ويعني ذلك ان النافور الماروني الاساسي بنظر هذا المخطوط هو نافور شرر وان باقي النوافير قد سوّيت لتطابق شرر .

والنوافير المذكورة هي :

١ – نافور مار غريغوريوس مطران المشرق وتغريت .
٢ – نافور مار يعقوب مطران مدينة الرها .
٣ – نافور مار يعقوب مطران بطنان سروج .
٤ – نافور مار فيلوكسنوس اسقف منبج .
٥ – نافور مار يعقوب اخي الرب .
٦ – نافور الرسل الاثني عشر .

هل كانت هذه النوافير مستخدمة مع نافور شرر ؟

لا شيء يدل على العكس . بل كل شيء يدل على ان الموارنة قد استخدموا منذ القديم عدة نوافير : شرر وغيره . لا بل عندنا ادلة اثباتية في هذا الموضوع وهو المخطوط الفاتيكاني ٣٠٩ . ففي آخر هذا المخطوط ، الذي هو كتاب السيامات من السنة ١٢٩٦ ، كراس صغير بغير خط وغير زمن الصق بالمخطوط الاساسي . ويتبين للفاحص ان الكراس قد كتب بخط « ملكي» قديم يعود الى القرن الثاني عشر على الأقل .

وإذا ما أضفنا الى هذه الشروح والنصوص الشذرات الطقسية التي نجدها
القداس عند سائر الآباء مثل افرام وباسيليوس وفم الذهب وغيرهم ،
ذا ما أضفنا اليها ما ورد في النصوص الطقسية القديمة مثـل نصوص
تينوس والتقليد الرسولي والدسقلية انفتحت امامنا بعض مغاليق الاسـرار
صبح بامكاننا الخوض في شرح القداس الماروني .

الخاتمة

لفهم القداس الماروني وشرحه لا يكفي ان يطلع الباحث على المخطوطات
رونية وحسب بل عليه ان يتعدى الطائفة والطقس ليطلع على سائر الطقوس
ريانية والانطاكية ليقابل بينها ويوازي ، فتكمل الأمور بعضها بعضاً ،
ضح بعض الغوامض في طقس ما ببعض ما هو ظاهر في طقس ثانٍ ، فيسير
حث على هدى ولا يتعثّر في طريقه وخاصة ان عرف كيف يعود الى الاصول
، بالعودة فائدة جلّى تسلّط الاضواء على الحاضر فتنيره وتكشف غوامضه .

– فلنقف حسناً ...

– صلاة ... ثم صلاة ...

– اعطاء السلام «السلام لك يا مذبح الله ... »

– رفع النافور [1] عن القرابين

– فلنقف حسناً بالصلاة ولنقف بخوف ...

– بركة الشعب بالنافور « محبة الله الآب ... »

– المجد للاب والابن والروح القدس ، السر المسجود له ...

– صلاة سجود ثم صلاة بركة على الشعب

– التذكارات : تذكارات طويلة تسمّى «ديبتيكا» وتتضمن ذكر الاحياء والأموات على مختلف فئاتهم :

– تذكار المسيح ... العذراء، القديسين

– تذكار الآباء والرسل والملوك ... وقسطنطين ...

– تذكار مار مارون ومار سمعان العمودي

– تذكار البطريرك ، المطران ...

– تذكار الموتى

– تذكار من قدموا القرابين

ختام بصلاة تعود الى السلام

(١) النافور هنا بمعنى المنديل الكبير الذي يغطي القرابين .

ـ فلنقف حسناً ...

ـ صلاة ... ثم صلاة ...

ـ اعطاء السلام «السلام لك يا مذبح الله ... »

ـ رفع النافور (١) عن القرابين

ـ فلنقف حسناً بالصلاة ولنقف بخوف ...

ـ بركة الشعب بالنافور « محبة الله الآب ... »

ـ المجد للاب والابن والروح القدس ، السر المسجود له ...

ـ صلاة سجود ثم صلاة بركة على الشعب

ـ التذكارات : تذكارات طويلة تسمّى «ديبتيكا» وتتضمن ذكر الاحياء

والأموات على مختلف فئاتهم :

ـ تذكار المسيح ... العذراء، القديسين

ـ تذكار الآباء والرسل والملوك ... وقسطنطين ...

ـ تذكار مار مارون ومار سمعان العمودي

ـ تذكار البطريرك ، المطران ...

ـ تذكار الموتى

ـ تذكار من قدموا القرابين

ختام بصلاة تعود الى السلام

(١) النافور هنا بمعنى المنديل الكبير الذي يغطي القرابين .

وإذا ما أضفنا الى هذه الشروح والنصوص الشذرات الطقسية التي نجدها عن القداس عند سائر الآباء مثل افرام وباسيليوس وفم الذهب وغيرهم ، وإذا ما أضفنا اليها ما ورد في النصوص الطقسية القديمة مثــل نصوص بوستينوس والتقليد الرسولي والدسقلية انفتحت امامنا بعض مغاليق الاســرار واصبح بامكاننا الخوض في شرح القداس الماروني .

الخاتمة

لفهم القداس الماروني وشرحه لا يكفي ان يطلع الباحث على المخطوطات المارونية وحسب بل عليه ان يتعدى الطائفة والطقس ليطلع على سائر الطقوس السريانية والانطاكية ليقابل بينها ويوازي ، فتكمل الأمور بعضها بعضاً ، وتتضح بعض الغوامض في طقس ما ببعض ما هو ظاهر في طقس ثانٍ ، فيسير الباحث على هدى ولا يتعثر في طريقه وخاصة ان عرف كيف يعود الى الاصول لأن بالعودة فائدة جلّى تسلّط الاضواء على الحاضر فتنيره وتكشف غوامضه .

القسم الثاني

شرح القداس الحالي

مُقدمات

أ ـ أقسام القداس ـ

من بعد أن سايرنا كتاب القداس الماروني منذ تكوينه حتى حالته الحاضرة ، علينا الآن أن نفهم مضمون القداس جملة وتفصيلا .

يقسم القداس الحالي إلى ثلاثة أقسام أساسية يتفرّع فيما بعد كل منها إلى أجزاء مختلفة .

القسم الاول : استعداد لاقامة القربان ـ منذ بدء القداس حتى ما قبل القراءات ، عند نهاية الصلاة التي تلي التقديسات الثلاث . يدخل في هذا القسم كل ما يعود إلى تهيئة القرابين وإلى استعداد الكاهن والمؤمنين بالصلوات والأناشيد ، مع ما يتضمن هذا الاستعداد من دخول إلى الهيكل والوقوف أمام المذبح .

القسم الثاني : تلاوة الكتاب المقدس وشرحه ـ غـايته تعليم الشعب سماع كلام الله والعظة . يتضمن هذا القسم تلاوة الرسائل والانجيل وما سبقهما ويليهما من مقدمات وطلبات حتى آخر « فلنقف كلنا مصلين ... » أي ما قبل نشيد القرابين وقانون الايمان .

القسم الثالث : اقامة القربان او الافخارستيا . اعادة العشاء السري وذكر الرب في موته وقيامته . هذا ما نسميه « النافور » أي التقدمة . وهو منذ نشيد

القرابين قبل قانون الايمان حتى نهاية القداس .

لكل من هذه الأقسام معناه وأصله وتاريخه وتطوره ، ان من الناحية العامة لسائر الطقوس وإن من الناحية الخاصة بالطقس الماروني .

كما وانه لكل من هذه الأقسام أعماله الطقسية الأساسية والمتفرعة ، ثم رموزه وصلواته وأناشيده .

المطلوب هو عرض واضح للأعمال الطقسية المتابعة في كل من هذه الأقسام ثم شرح منطقي وتاريخي لهذه الأعمال وأخيراً شرح تفصيلي للصلوات والأناشيد التي ترافق الأعمال الطقسية هذه .

لا بدّ لنا لتوضيح هذا الشرح من مقدمة ثانية عن هندسة الكنيسة المارونية في الداخل كيما يتسنى لنا متابعة تفسير أقسام القداس الثلاثة .

ب ــ الشكل الهندسي للكنيسة المارونية في الداخل .

من يدخل اليوم كنيسة مارونية عادية يجدها مقسومة إلى قسمين أساسيين : الدار ، حيث يجتمع المؤمنون ، ثم الهيكل حيث المذبح . انما نجد أيضا بين الدار والهيكل « طاولتين » عن اليمين والشمال هما « القرايتان » لتلاوة الصلاة والقراءات . ثم نجد في آخر الكنيسة لجهة الشمال جرن المعمودية في قلب الحائط . يدفعنا هذا إلى البحث عن هندسة الكنيسة المارونية في القديم . فاذا عدنا إلى الكنائس القديمة الباقية من القرن الثاني عشر والثالث عشر مثل كنائس : اده جبيل ، اده البترون ، جبيل ، معاد ، حاقل ، ايليج الخ [1] ، يتبين لنا ان الكنيسة المارونية كانت تقسم إلى أربعة أقسام :

---

(١) راجع لامنس ، تصريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ، ١ ، ص ٨١ .. (كنائس لبنان القديمة) .

١) **الرواق** في الخارج ، على مدخل الكنيسة ، حيث جرن العماد ، وهو مفصول عن الدار .

٢) **الدار** ، صحن الكنيسة وقاعة الاجتماع ، يقوم فيها المؤمنون وقوفاً للصلاة ما عدا المرضى والعجزة وغير القادرين على الوقوف اذ كانوا يجلسون على حصير أو على مقعد .

٣) **الخورص** وهو بين الدار والهيكل ، حيث كان يجتمع الشمامسة والمرتلون لاقامة الصلوات وتلاوة القراءات وانشاد المزامير والتسابيح .

٤) **الهيكل** حيث المذبح ، مفصول عن الخورص وعن الدار بدرجة أو أكثر وبحجاب من قماش أو خشب مشبك .

في وسط الهيكل ينتصب المذبح بشكل مربع تعلوه قبة صغيرة على أربعة أعمدة . في أعلى الهيكل نحو الشرق طاقة تدخل نور الشمس إلى المصلين رمزاً إلى المسيح الآتي من الشرق .

لكل من أقسام الكنيسة هذه دوره في الاحتفالات الطقسية : فالمعمودية في الرواق ، واجتماع المؤمنين في الدار ، والصلوات والقراءات في الخورص ، والقربان في الهيكل .

هذا ، وان درساً للكنائس السريانية القديمة الموجودة في سوريا والتي تعود إلى عهد نشأة الموارنة وحياتهم الأولى يظهر ان هذه الكنائس غالباً ما كانت تضم في وسط الدار منبراً وسيعاً يجلس عليه الأسقف والكهنة والمرتلون في أوقات القداس التي تسبق الافخارستيا أو النافور . وكان هذا المنبر المسمّى « بيما » في وسط الدار بين المكان المخصص للرجال ومكان النساء ، وبذلك كانت الكنيسة بأجمعها تشترك في الصلوات والأناشيد والقراءات بألحان وصلوات تتجاوب معها وتتفهمها . وعند بدء قسم الافخارستيا ، أي من

بعد القراءات ، كان الأسقف والكهنة والشمامسة ينتقلون إلى الهيكل حول المذبح حيث يشتركون جميعاً في الافخارستيا الواحدة [١] .

يضاف إلى تقسيم الكنيسة الهندسي هذا ما يلحق بالكنيسة لجهة الشرق عن جوانب المذبح من بناء اضافي يتضمن غرفتين صغيرتين عن يمين المذبح وشماله، في غرفة اليمين تحفظ الأسرار المقدسة والذخائر : القربان ، الميرون ، ماء العماد ، وفي غرفة الشمال حيث تحفظ الآنية المقدسة والثياب البيعية . كان خدام المذبح يتشحون بثيابهم ثم ينتقلون إلى الخورص والدار للصلاة والقراءات ومن بعدها يلتفون حول المذبح للقربان .

نشدد على ذكر التقسيم الهندسي هذا لأن القداس الحالي لا يزال يتضمن اثاراً لهذا التقسيم سنوضحها في حينها . وتكفي الاشارة الآن إلى القداس الحبري الحالي حيث يجلس الاسقف على عرشه في الخورص من البدء حتى قسم الافخارستيا .

(١ — **A. Raes,** la liturgie eucharistique en Orient, son cadre architectural, La Maison-Dieu, 70 (1962) pp. 49-66.
— **J. Dauvillier,** l'ambon ou bêma dans les textes de l'Eglise Chaldéenne et de l'Eglise syrienne au Moyen-Age, Cahiers archéologiques, VI, 1952, pp. 11-30.
— **J. Lassus,** Sanctuaires Chrétiens de Syrie... Paris 1947.
— **G. Tchalenko,** Villages antiques de la Syrie du Nord, I, II, III, Paris 1953-58.

القِسْمُ الأول مِن القدَاس : الاسْتِعدَاد

يتبين لمن يتابع عن قرب هذا القسم الأول من القداس – منذ البدء حتى
ـدر التقديسات الثلاث – أنه يقع على أعمال مختلفة وعلى مجموعة من الصلوات
ستغفارية المتشابهة . ويتضح لمن يتفحّص الأمور عن كثب أنه يستطيع أن
ـزّ في هذا القسم الأعمال والصلوات الآتية :

١ – الانتشاح بالملابس الكهنوتية .

٢ – إضاءة الشموع .

٣ – رتبة الصعود إلى المذبح ، مع البخور .

٤ – تهيئة القرابين على المذبح .

٥ – رتبة الصعود إلى المذبح (ثانية) مع البخور .

٦ – الفرض الأول (مجموعة صلوات وأناشيد) .

٧ – التذكارات على القرابين .

٨ – رتبة الصعود إلى المذبح (ثالثة) مع البخور .

٩ – الفرض الثاني (مشابه للفرض الأول) .

١٠ – التقديسات الثلاث مع البخور .

قبل أن نعطي الفكرة الأساسية عن هذا القسم اجمالاً ، نسعى أولاً إلى تحليل كل من هذه العناصر واحداً واحداً ثم نتطرّق إلى الصلوات والأناشيد التي ترافق كلاً من هذه الأمور المذكورة . وفي نهاية التحليل والدرس سنسعى إلى تكوين فكرة عامة عن هذا القسم الذي هو ولا شك من أصعب أقسام القداس الماروني شرحاً وتوضيحاً .

١ – الاتشاح بالملابس الكهنوتية

لماذا يتشح الكاهن بملابس خاصة في القداس وما هو تاريخ هذه الملابس ومعانيها ؟

اعتاد الكهنة المسيحيون منذ القرن الرابع أن يلبسوا ثياباً خاصة بالقداس غير التي يرتدونها في الشارع . انما الواقع هو أن هذه الثياب نفسها كانت بالأساس ثياب الشارع العادية عند الرومان . اذ كان الروماني يخلع فوق قميصه القصير رداء فضفاضاً يلفّ به جسمه لفّاً بعد أن يدخله في رأسه ، هذا هو الرداء الكهنوتي المعروف « بالغوطي » والذي هو أقدم الحلل الكهنوتية .

أما سائر الملابس التي يتشح بها الكاهن الماروني في القداس فهي :

١ – القميص أو الكتونة

٢ – الزنار

٣ – المنصفة على الرأس

٤ – البطرشيل

٥ – الأكمام

٦ – الرداء

وان الكتب التقليدية عن القداس تحفل بالشروح الرمزية لكل من هذه
سياء ، لكن المعنى الأول والأساسي هو الآتي :

١ – **القميص** : اللبس العادي الذي يتشح به الرجل في بيته ، إذ لا
تبل به إلاّ المقرَّبين ولا يخرج به في الشارع العام .

٢ – **الزنار** : يشد به القميص عند الوسط .

٣ – **المنصفة** : توضع على الرأس بشكل أسكيم ، وقد كانت بالأساس
سبان فقط وقد جعلت لتغطي الاسكيم الأسود بلون الحلّة الكهنوتية .

٤ – **البطرشيل** ، الكلمة يونانية وتعني « ما على الأكتاف » وكان بالأساس
ة قماش مطرّزة تتميّز بها درجات الناس وفئاتهم وأصبحت فيما بعد
سة بتمييز الدرجات الكهنوتية .

٥ – **الاكمام** ، قطعتان من قماش ، من لون الحلّة الكهنوتية ، يدخلهما
هن في يديه كي لا يظهر كمّي القميص البيضاء .

٦ – **الرداء** ، وهو الحلّة التي يتوشح بها المرء عندما يقابل الناس أو يغادر
إلى الشارع العام وهي تستر كلّ ثيابه الباقية ، تقابل العباءة عند الشرقيين .

أما اللبس الماروني الحالي فهو ما ذكرنا آنفاً ، مع العلم ان الكثير من
ئس لا تزال تحتفظ بالرداء اللاتيني الذي انتقل إلى الموارنة عن طريقة
شبه بالكرام » .

اننا نجهل تاريخ تطور اللبس الكهنوتي عند الموارنة منذ البدء ، لكنه
ن لنا معرفة بعض الأمور التي تلقي أضواء كثيرة على الماضي .

أ – يظهر من تصاوير على كتاب السيامات للسريان الأورثوذكس عائد

إلى القرن الثالث عشر ان الأسقف والكاهن كانا يتشحان بالرداء الذي نسمّيه اليوم « الغوطي » [1] .

ب – سنة ١٥٩٦ زار الموارنة القاصد الرسولي دنديني وترك لنا في كتاب رحلته وصفاً عن اللبس الكهنوتي الماروني ، قال :

« يبدأ الكاهن باللبس : فيلبس أولاً القميص ثم المنصفة . انهم (الموارنة) لا يستعملون الزند ولا البطرشيل أو الرداء مثلنا – إلاّ إذا ما كانوا قد أرسلوا اليهم من روما – لكنهم يلبسون بدل الزند أكماماً في أيديهم من حرير أو صوف ، مخاطة بالقميص أو منفصلة عنه . أما البطرشيل فيدخل في العنق بفتحة فيه ، وما تبقى فأنه من قطعة واحدة على طوله ، وعرضه أوسع من راحة الكف ، ثم أنه ينزل على الصدر حتى الاقدام . ويتشح الكاهن بالرداء الذي لا يدخل في العنق ولا ينزل من الأمام والوراء ، لكنه مشدود على الأكتاف نحو الصدر ، يلبس نوعاً ما مثل الغفّارة عندنا ، مع الاشارة إلى أنه ينحدر نحو الأرض من الوراء لا من الامام . بعد أن يتشح الكاهن بهذا الشكل يتقدم من المذبح... ويظل رأسه مغطّى بالمنصفة حتى كلام التقديس » [2] .

ج – فيما بعد ترك الموارنة الغفارة « المارونية » واتشحوا بالثياب اللاتينية منذ المدرسة الرومانية سنة ١٥٨٤. وكانوا محتاجين إلى ثياب للكنائس فكانت روما ترسل لهم مما عندها وكانوا يعتزون بالاتشاح بها . وقد عمّت الثياب اللاتينية الكنائس منذ السابع عشر ولا تزال . وعندما عاد اللاتين إلى اللبس الغوطي في الأيام الأخيرة عدنا نحن أيضاً معهم .

متى يتشح الكاهن بالثياب الكهنوتية ولماذا ؟

---

(١) مكتبة باريس الأهلية ، المخطوط السرياني ، رقم ١١٢ من السنة ١٢٣٥ (صفحة ٦١ ، ٦٩)

(٢) دنديني (الطبعة الايطالية) .Missione Apostolica... Cesena 1656 ، ص » ٧٩ – ٨٠ .

ان الثياب الكهنوتية الخاصة هذه هي ثياب «القربان» أي ثياب الوقوف أمام المذبح في قدس الأقداس . وما دام الكاهن في خدمة خارج المذبح فهو في جبته السوداء يلبس فوقها عند الحاجة بطرشيل الكهنوت . وهذا ما يحدث مثلاً عند صلاة الفرض أو عند الجناز أو عند سائر الرتب التي هي غير القداس . وحتى في القداس نفسه لم يكن الكاهن قديماً يرتدي الثياب الكهنوتية منذ بدء القداس بل فقط عند صعوده إلى المذبح . ولنا على ذلك شواهد كثيرة . فعند الكلدان الأقدمين مثلاً كان رئيس الشمامسة يعيّن كاهنا من بين الكهنة لاقامة الذبيحة من بعد القسم التعليمي وفي بدء النافور فقط فكان الكاهن المعين يتشّح بالثياب الكهنوتية ثم يبدأ بالنافور [١] . وقد انتقل الاتشاح بالحلّة الكهنوتية عند الكلدان من بدء النافور إلى ما قبل تلاوة الانجيل ، وكانت هذه العادة موجودة عند السريان الاورثوذكس في القرن العاشر كما يتضح من مخطوطات كتب القداس [٢] . أما عند الموارنة فيظهر من عادات القرن السادس عشر أن بعض الكهنـــة لم يكونوا يرتدون الثياب الكهنوتية إلاّ من بعد تهيئة القرابين على المذبح اذ كانوا يقومون بهذه الخدمة وهم بالجبة السوداء . وقد صدر في المجمع الذي عقده دنديني سنة ١٥٩٦ في قنوبين ، في القانون الأول ، أمر إلى كل الكهنة بأن يتشحوا بالملابس الكهنوتية منذ بدء القداس وقبل تهيئة القرابين ، ليقدس كل الكهنة بذات الشكل والطريقة . ومعروف أن السريان حتى اليوم يقومون بالخدمة الأولى من القداس ، أي تهيئة القرابين ،

---

(١) ورد هذا في قوانين يشوعياب الأول من السنة ٥٨٥ (Synodicon orientale, éd. Chobok, p. 430.) ونتساءل اذا لم تكن العادة المارونية القديمة بأن يترك الكاهن الغفارة قبل « قدوس » ويتشح بالحلة اللاتينية ذكراً قديماً لهذه العادة الكلدانية ، وليس فقط لتبديل الغفارة « الثقيلة » بحلة « خفيفة » كما يشرح ذلك بسهولة .

(٢) راجع : Gemayel, Avent-Messe, p. 263-64.

بالجبة السوداء . وربما كان ذلك لأن رتبة تهيئة القرابين لم تكن قديماً على المذبح نفسه بل خارجه .

نستنتج إذاً ان الاتشاح بالملابس الكهنوتية هو من الأمور التي تهيء الكاهن للوقوف أمام المذبح . وهذا ما يحتم على الكاهن الماروني الاتشاح بها منذ البدء اذ هو الآن منذ البدء أمام المذبح .

٢ ــ اضاءة الشموع

كان المذبح بالأساس طاولة مربعة او مستطيلة لا يوضع عليها إلاّ القرابين والبخور وكتاب القداس . وكان منفصلاً عن حائط حنية الكنيسة يحيط به الكهنة من كل جوانبه . وقد ورد في منارة الاقداس للدويهي ما يلي : « لم يأذن الآباء ان يكون المذبح لاصقاً بالحائط بل اوجبوا ان يكون قائماً بمعزل عنه ليكون اولا كالحجر الذي اقامه يعقوب ... ، ثانياً لاجل الزياحات التي تجري حول المذبح في تقديسه وفي رسامة الشماس الرسائلي وتجنيز من يموت من الكهنة» الخ ...[1] .

لذلك لم تكن الشموع توضع بالاساس على المذبح ولا هي توضع على المذبح حتى الآن بل على الدرجات التي ارتفعت وراء المذبح والصقت المذبح بالحائط . وهذه الدرجات هي نسبياً حديثة في الطقس الماروني اذ هي من تأثير الغرب ، من بعد المجمع التريدنتيني الذي شدّد على هذا النوع من المذابح تكريماً للقربان ودفاعاً عن العبادة له ضد البروتستانت .

يظهر من التقليد الكلداني القديم في القرن الحادي عشر ان الشدايقة اي

(١) منارة الأقداس ، نشر الشرتوني ، الجزء الأول ، ص ١٤٤ .

الايبودياقن ، هم الذين كانوا يحملون الشموع المضاءة وقت القداس ، وكانوا يظلون واقفين خارج الهيكل ، على ابوابه .

اما مخطوطات القداس الماروني فلا تذكر تقريباً شيئاً عن اضاءة الشموع إلا المتأخرة منها ، من القرن السادس عشر ، والمتأثرة بالمخطوطات اليعقوبية ، وهي تنقل عادة ما ورد في هذه المخطوطات وهو بالواقع ما طبع في كتاب القداس الماروني : اي ان الخادم يضيء الشموع عن اليمين اولا ثم عن الشمال بينما يرتل « بنورك ربنا يسوع نستنير ... » . وقد جاء هذا النشيد في صباح الاثنين من الصلوات الاسبوعية مع التسبحة المعروفة « بنور الابرار » .

نستنتج اذاً ان الشموع كانت توضع على جانب المذبح او امامه لا عليه .

٣ – الصعود إلى المذبح مع البخور

يتبين للعارف في الطقوس الشرقية امران مهمان بما يختص بالصعود الى المذبح :

أ – كان الكاهن يصعد الى المذبح ، اي يقف على الدرجة المقدسة امام المذبح ، في بدء النافور لتقديم الذبيحة .

ب – كان الكاهن يعدّ هذا العمل الذي يخوله تقديم الذبيحة مهمّاً ورهيباً فيستعد له بالصلاة والاستغفار ليكون اهلا للخدمة التي سيقوم بها .

ومن الأعمال الطقسية التي كانت تهيء للصعود الى المذبح غسل اليدين علامة التطهير ، والاتشاح بالملابس المقدسة. اما الآية التي كانت تصدر من فم الكاهن عفواً فهي بمعنى ما يرد اليوم في مختلف الطقوس « سآتي الى مذبح الله والى الله الذي يبهج شبابي » (مز ٤٣/٣) .

اما ما يتبع صعوده الى المذبح فهو تكريم للمذبح بتقبيله او السجود امامه من الجهات الاربع او تبخيره من جهاته الاربع والدوران حوله مع البخور.

بالمختصر، تتكوّن رتبة الصعود الى المذبح من مجموعة اعمال طقسية تسبق الصعود او تهيئه او تتبعه وتكمله.

فاذا ما القينا نظرة على القداس الماروني الحالي لتبين لنا بوضوح ان الكاهن يقوم برتبة الصعود الى المذبح اربع مرات على الأقل مع العلم انه لا يقوم بالعمل الا مرة واحدة، وما تبقى تكرار وتمثيل. وهذا ظاهر من الآية التي ترافق الصعود وهي: «سآتي الى مذبح الله، والى الله الذي يبهج شبابي» والتي ترد في المواضع الآتية من القداس:

١ – في بدء القداس، عند صعود الكاهن الى المذبح

٢ – بعد «اقبل يا واد التائبين» وقبل الفرض الاول

٣ – قبل الفرض الثاني

٤ – من بعد قانون الايمان «قبل النافور».

هذا مع العلم ان النافور نفسه ايضاً يتضمن صلاة استعدادية للوقوف امام المذبح هي الصلاة الثالثة، نذكر التي ترد في نافور الاثني عشر: «نسجد لك يا ملك الملوك... ونطلب منك... ان تؤهلنا لندنو من مذبحك المقدس بقلب نقي ونفس طاهرة». ولهذه الصلاة مقابل في نافور «شـَرَر» يتألف من رتبة طويلة تتعلق بالصعود الى المذبح [1].

اما اذا سألنا عن سبب تعداد هذه الصلوات المتعلقة بالصعود الى المذبح

---

(١) راجع: Avant-Messe Maronite, p. 221-225.

الجواب هو انتقال حركة الصعود هذه من مكان الى مكان : كان الكاهن صعد الى المذبح قبل صلاة الشكر ، فصار قبل النافور ، ثم قبل الفرض الثاني ، م قبل الفرض الأول ، ثم قبل تهيئة القرابين . ولا مجال هنا لسرد الاسباب الظروف والتواريخ التي رافقت كل هذا التطور ، فقد سبق وتكلمنا عن هذا طولا في بحثنا عن القسم الاول من القداس الماروني [1] .

يكفينا الآن ان نعود الى الرتبة الاولى للصعود الى المذبح في بدء القداس ، نرى مما تتألف وكيف تصير في الوقت الحاضر .

الصعود الى المذبح (الرتبة الاولى) .

اذا ما راجعنا كتاب القداس الحالي نجد ان ثياب التقديس موضوعة على المذبح نفسه ، وأن الكاهن كان يستعد للصعود الى المذبح قبل ذلك ثم يتابع تكريم المذبح من بعد ان يتشح بالثياب . ولذلك تتألف الرتبة بكاملها من لامور الآتية :

أ ـ غسل اليدين مع تلاوة آيات استغفار : « اغسلني كثيراً من اثمي ومن خطيئتي طهرني » (مز ٥١ ، ٤ ، ٩)

ب ـ نزع الرداء الخارجي او الجبّة .

ج ـ تلاوة صلاة استغفار كانت تتعلق بالأساس بغسل اليدين : «اهلنا يها الرب الاله ، وقلوبنا مطهّرة منقّاة ... »

د ـ الاتشاح بالملابس المقدسة .

---

(١) الفكرة الأساسية لكتابنا .Avant-messe mar هي توضيح معنى القسم الأول وكيفية نزوح رتبة صعود الكاهن إلى المذبح من بدء النافور حتى بدء القداس .

هـ – التقدم من المذبح « والتبارك به » شكل صليب .

يتطلب شرح كل هذه الأمور بالتفصيل وقتاً وصفحات . نكتفي الآ
بما يلي :

أ – ان رتبة غسل اليدين للتطهير دخلت المسيحية عن طريق الطقوس
اليهودية ، ويشدد كتاب « الهدى» عند الموارنة على ضرورة التطهير بالماء قبل
كل صلاة . كما ان الكنائس المارونية القديمة كانت تتضمن احواضاً على مداخله
ويذكر الدويهي ان كنيسة مار جرجس في اهدن كانت تتضمن مغسلة للكهن
في الخزانة [١] .

عملياً ، ابطل اكثر الكهنة عادة غسل اليدين قبل القداس ولم يحافظ عليه
إلاّ في بعض الاديار وفي قداس الاسقف . وظل غسل اليدين « الثاني » في بد
النافور في المكان الاقدم .

ب – نزع الرداء الخارجي او الجبّة : استعداداً للاتشاح بالملابس الكهنوتية

ج – الصلاة : « اهلنا ايها الرب الاله وقلوبنا مطهّرة منقاة ... » . بطلت
عملياً عند اكثر الكهنة وهي من اقدم الصلوات الاستغفارية المعروفة عند الطوائف
السريانية الثلاث : المارونية والسريانية والكلدانية . وقد وردت قديماً في
مخطوطات القرن التاسع والعاشر في بدء النافور ، كما هي اليوم عند الكلدان
ولكنها نزحت الى القسم الاول من القداس ، عند السريان اولا ثم نقلها الموارنة
عن المخطوطات السريانية ، في القرن السادس عشر . [٢]

د – الاتشاح بالملابس المقدسة . سبق وقلنا ان الكاهن كان يقوم ...

(١) راجع .Avant-messe, p. 256-258

(٢) Ibidem, p. 258-260.

ستعداداً للتقدم من المذبح . اما وقد اصبح المذبح فيما بعد يستخدم كطاولة وضع الثياب عليها ، فهذا من التطورات غير الموفقة .

هـ – « التبارك » بالمذبح بشكل صلب . تشير «الروبريكه » الى ان الكاهن نحني رأسه بشكل صليب امام المذبح . ويعني ذلك انه كان بالاساس يقبل لمذبح او ينحني امامه من الجهات الاربع . وذلك لأن للمذبح تكريم خاص اعتبار انه رمز للسيد المسيح .

من بعد ذلك يضع الكاهن بخوراً ليطهر الآنية والقرابين ثم يبدأ برتبة عداد الخبز والخمر .

٤ – تهيئة القرابين على المذبح

تتناول هذه الرتبة الامور التالية :

أ – وضع البخور

ب – انتقاء الخبز او «البرشان » وتقدمته

ج – صب الخمر في الكاس ومزجها بالماء

د – تغطية القرابين

ترافق كل هذه الاعمال الطقسية صلوات للكاهن وأناشيد للشعب .

أ – وضع البخور .

هي المرّة الاولى التي يضع فيها الكاهن البخور في القداس، وسيتولى وضع البخور اربع مرات أُخر . وبحسب الدويهي كان الكاهن الماروني يضع البخور « عشر مرات في القداس » اذ يضاف الى ما يصنع اليوم وضع البخور في الفرض الاول ، وقبل الانجيل ، وبعد السلام ، وبعد الكلام الجوهري ، وفي آخر القداس لتذكار الموتى [١] .

---

(١) المنارة ، الأول ، ١٦٩ – ١٧٠ .

ويوضع البخور هنا لتطهير القرابين والآنية والاغطية وكل ما سيستخدم للقداس . وربما كان هذا البخور من بقايا الزياح الذي كانت تحمل فيه القرابين الى المذبح على ايدي الشمامسة .

ب ـ انتقاء الخبز أو «البرشان» وتقدمته

يطلق اسم القرابين عامة على الخبز والخمر ولكنه يطلق خاصة على الخبز فقط . وكانت تقوم رتبة اعداد القرابين بتهيئتها ثم بتغطيتها بالمنديل الكبير المسمّى النافور . وان الرتبة البسيطة التي يقوم بها الكاهن الماروني اليوم لا تزال تحمل معها كل رواسبها التاريخية ، فلقد كانت تتضمن اعمالاً متعددة منها تقديم الخبز والخمر من المؤمنين ، ومنها مباركة القرابين ومنها وضعها بالاساس في الخزانة ثم اختيار ما يلزم للقداس، كل هذه الاعمال قد اندمجت في الرتبة الحالية بشكل يتعذر اكتشافه على غير الباحث .

فالرتبة الحالية تستخدم الخبز الفطير اللاتيني وهذا طبعاً من التأثير الغربي ، ربما ابتدأ أول الأمر مع المرسلين الفرنسيسكان في القرن الخامس عشر اذ يكتب فرا غريفون قائلا أن الموارنة يستخدمون خبزاً مثلنا ...[١] ولكن العادة كانت لا تزال باستخدام الخبز الخمير في كثير من الكنائس في بدء القرن السابع عشر[٢] . في موضوع الخبز قديماً في القداس الماروني يشهد كتاب الهدى أن الموارنة في القرن الحادي عشر كانوا يستخدمون خبزاً خميراً مخبوزاً بشكل خاص في الكنيسة على يد الكاهن او امرأة مسنّة ، ممهوراً بخاتم خاص وبصلبان متعددة . شأن الخبز هذا شأنه اليوم في الطقس السرياني الاورثوذكسي ، وكان خبزاً سميكا ربما داخله ملح وقليل من الزيت .

واذا ما توغلنا في درس الأمر عند سائر الطقوس لوجدنا أن الأشوريين لا يزالون يخبزون الخبز في فرن خاص معدّ في الخزانة، قبل القداس مباشرة، إذ لا يجوز

---

(١) P. Dib. Eglise maronite, 1930, p. 230.

(٢) راجع محفوظات مجمع انتشار الايمان عن نصرالله شلق . Avant-messe, p. 334.

يقدس الكاهن على خبز بائت ، كما أن الأحباش يحملون الخبز سخناً من الفرن صينية كبيرة مزينة مزركشة يحملها الشماس على رأسه بزياح وتراتيل ويسير فيها الفرن في الخزانة الى المذبح .

أما في التقاليد القديمة في أوائل عهد الكنيسة فكان الشعب يقصد الكنيسة ملاً معه بعض التقادم والحسنات من خبز وخمر وزيت وجبن ...[1] فيتسلم سامسة هذه التقادم ويضعونها في الخزانة ، فيؤخذ منها ما لزم للقداس ثم يوزع قي على الفقراء بعد القداس .

وهناك تقليد اتفقت عليه كل الطقوس قديماً وهو أن القرابين لا تهيأ مباشرة المذبح الخاص بالذبيحة ، بل تهيأ خارج المذبح وتنقل قبل النافور مباشرة الى بح لتقدم وتقدّس .

وتنقصنا الشهادات المباشرة عند الموازنة لنعرف في أية حقبة ابتدأ الكاهن يهيئ رابين مباشرة على المذبح لا خارجه .

من المعلوم أيضاً أن خادم التهيئة أي المسؤول عن اعـداد القرابين للقداس س هو الكاهن نفسه انما هو الشماس أي الخادم . وتاريخ الطقوس واضح في خادم التهيئة على الطاولة أو في الخزانة كان الشماس اذ لم يكن مسموحاً له أن سعد الى المذبح ، فالمذبح للكاهن وحده. لكن الظروف والتطورات الطقسية محت للشماس أن يهيئ القرابين على المذبح . ولنا قـول كتاب الهدى في وضوع : « وان احب الشماس ان يصمد القربان أو الشراب على المذبح ويغطيه نافور في ابتداء التقديس فجايز له ذلك ...»[2] .

أما رتبة اليوم فلا تكتفي بالتهيئة فقط لكنها تتضمن تقدمة الخبز لله وهو

---

(١) راجع التقليد الرسولي والدسقلية .

(٢) الهدى ، ص. ٧١ .

عمل كهنوتي لا يستطيع الشماس أن يقوم به ، كما أنها تبدأ مع وضع البخور وتطهير الآنية ، ووضع البخور عمل كهنوتي في الطقس السرياني الماروني لا يقوم به الشماس. وفي العودة الى الرتبة الحالية افادة قبل شرحها .

فمن بعد أن يضيء الخادم الشموع ويصعد الكاهن الى المذبح ، يضع الكاهن بخوراً ويبخر الكاس والصينية ثم يرسم شكل صليب على البرشانة ويقول: اللهم العظيم العجيب ...» ويبخر البرشانة « ويعود بها الى وسط المذبح ويضبطها بيديه ويرفعها قليلا قائلاً : اللهم يا من قبلت قربان هابيل...»

ومن بعد أن يضع البرشانة في الصينية يصب الخمر ثم يمزجه بالماء ويغطي الكأس والصينية بالنافور الكبير .

فقبل أن نشرح هذه الرتبة نود أن نذكر كيف وردت في المخطوط الثاني لأقدم المخطوطات المارونية عن القداس المحفوظ في مكتبة مطرانية حلب تحت الرقم ٦١٩ من السنة ١٤٩٠ :

«يقف الشماس تحت درج المذبح وهو يحمل بيده شمعة مضيئة وباليد الثانية القرابين . يلتفت الكاهن نحو الشعب ويأخذ القرابين ويرسم عليها صليباً قائلاً : اللهم العظيم العجيب ...» ثم يختار ما يريد من الخبز ويلتفت نحو المذبح قائلاً : «مثل حمل سيق الى الذبح» ويحمل القرابين على يديه قائلاً : «اللهم يا من قبلت قربان هابيل ...»).

واذا ما راجعنا مجموعة مخطوطاتنا المارونية استنتجنا ما يلي :

يتقدم الخادم من الكاهن حاملاً الخبز على الصينيــة ، فيختار الكاهن ما يلزم للذبيحة . ومن هنا كلمة «برشان» من«فرَش ْ ــ فورشنا» أي الخبز المختار للقربان . ثم يحمله بزياح صغير نحو المذبح قائلاً :« كحمل سيق الى الذبح» ومن بعده يقدمه لله قائلا صلاة التقدمة :«اللهم يا من قبلت...»

اما البخور وتبخير الكأس وتغطيتها بالصينية فهذا وارد أولا بسبب البخور

ـي يحمله الشماس وهو يقدم الخبز للكاهن . يبخر الكاهن الآنية التي سيضع
ها التقادم .

ج – الخمر والماء

يسمّى وعاء الخمر في لغتنا الطقسية «المزكي» أو المزغي»، ومعنى ذلك
لخمر الممزوج ماء» ، وكان الشماس يقدم للكاهن كأساً مزيجاً خمراً وماء
أخذها الكاهن كما هي .

أما عن السؤال : لماذا يقدم الكاهن الخبز ولا يقدم الخمر فانما الجواب عليه
ـوط بالعودة الى المخطوطات التي تذكر أن الكاهن من بعد تهيئة الخبز وتقدمته
ـان يحمل الكأس بشماله والصينية بيمينه ثم يضع اليمين فوق الشمال ويقول
تذكارات المخصصة للقرابين بصوت عال على مسمع من الشعب .

هذا مع العلم أن الرموز الطقسية غالبا ما تشير الى الخبز كأنه خبز التقدمة
تعني الجزء بمعنى الكل عندما تكتفي بتقدمة الخبز .

يبقى أن نذكر أن اليعاقبة يجهلون وجود الصلاتين المذكورتين على الخبز في
ـداسنا ، ولكنهم كانوا يستخدمون هاتين الصلاتين للبركة على القرابين
النذور التي تقدم الى الكنيسة فيباركها الكاهن بقوله احدى هاتين الصلاتين
لاختيار، وقد وردتا بالحرف الواحد مع الاشارة الى أنه تقال الأولى «أو»
ثانية في الكتب الطقسية العائدة الى القرن العاشر [١] .

د – تغطية القرابين

ترمز تغطية القرابين بالمنديل الكبير الى أن هذه الرتبة قد انتهت . وبأن
لكاهن ينتقل الى عمل طقسي آخر . انما لا يزال القسم الأول من القداس
تضمن «تذكارات على القرابين» يقولها الكاهن اليوم سراً بينما ينشد الشعب :
صلاتك معنا». ففي أي وقت كان الكاهن يغطي القرابين ؟

---

(١) Avant-messe, p. 270-274

كل المخطوطات المارونية تترك تغطية القرابين الى ما بعد التذكارات ، اذ لم يكن يعقل أن يتلو الكاهن التذكارات على قرابين «مغطاة». انما حصلت تغطية القرابين بعد اعدادها وقبل التذكارات عند الطبعة الأولى لكتاب القداس ١٥٩٤ ، ربما تشبها بالطقس اللاتيني حيث تبقى القرابين مغطاة على المذبح .

٥- رتبة الصعود الى المذبح (ثانية) مع البخور.

تتناول هذه الرتبة : صلاة الاستغفار ، آيات الصعود ثم البخور.

أ - صلاة الاستغفار : اللهم اسألك

اعتاد العامة أن يسموا هذه الصلاة «التقدمة»، وربما يعنون بذلك «تقدمة القربان» لأن الصلاة تتضمن عبارة «قدّس هذه التقدمة وامنح بها غفران الذنوب لمن تقدم من أجلهم...» . ولا نظن أن اللفظة «تقدمة» تطلق بمعنى «تقدّم من المذبح» على حسب ما ورد في بدء الصلاة «اللهم أسألك أن تجعلني مستحقاً للتقدم من مذبحك الطاهر...».

ما هو معنى هذه الصلاة وهل هي حديثة ام قديمة في القداس الماروني ؟

معناها الاستغفار والاستعداد قبل الصعود الى المذبح ، وهذا المعنى واضح منذ العبارة الأولى . ولذلك كان الكاهن،قبل أن يصعد الى المذبح ، يتلو صلاة استعدادية استغفارية .

يدل تاريخ هذه الصلاة أنها كانت في البدء سريّة وخاصة بالكاهن على غرار الصلوات السابقة للقداس الموضوعة بين مقدمات الكتاب . وبالواقع فأول ما نجدها في المخطوطات المارونية فهي في المخطوط الفاتيكاني ٢٩ من السنة ١٥٣٦ ، مدونة على الورقة البيضاء في أول الكتاب كأنها متخفية متسترة، مع العنوان «طلبة يقولها الكاهن قبل أن يلبس . يجلس قدام المذبح على ركبتيه

ويقول : اللهم أسألك ...» ويعطي المخطوط النص بكامله . ثم من جديد على الأوراق التابعة يعود فيعطي الصلاة نفسها مختصرة ثم يكتبها ويتركها ناقصة بخط غير خط الناسخ الأصيل. ومن بعد ذلك يترك ورقة بيضاء ويبدأ نص القداس من بعد تصاوير البدء والعبارة الافتتاحية: «بقوة الثالوث نكتب رتبة القداس من البدء».

نقلت هذه الصلاة الموجودة خارج القداس الى ما بعد التصاوير الافتتاحية في مخطوطات لاحقة . وكانت سرية الى أن أصبحت علنية ولكنها ظلت في البدء قبل تهيئة القرابين أي قبل صعود الكاهن الى المذبح . ولم تنقل الى مكانها اليوم الا في الطبعة الثانية سنة ١٧١٦ ونظن أن ذلك كان للتشبه بالكاهن اللاتيني الذي يصعد الى المذبح أولا ثم يعود ينزل فيقول صلوات استغفارية ليصعد من جديد . (١)

أما تاريخها القديم فهو واضح وهي مأخوذة من مجموعة صلوات يعقوبية . والبراهين هي هذه :

– أنها غير معروفة في كل المخطوطات المارونية العائدة الى القرن الخامس عشر وفي قسم من مخطوطات السادس عشر .

– انها محفوظة حرفياً في كتاب صلوات يعقوبية من بدء القرن السادس عشر. (٢) ولاشك في نسب هذا المخطوط الى اليعاقبة اذ هو متأت من دير السريان في مصر ويتضمن عبارات مهينة ضد المجمع الخلقيدوني الملقب «بمجمع القرود والشياطين» وقد وردت هذه الصلاة ، لا في كتاب القداس بل في مجموعة تقوية تحت عنوان: «تضرع يقوله الكاهن قبل الاتشاح بالملابس الكهنوتية ،

---

(١) ان مخطوط مونيخ رقم ٥ (١٥٤٨) يشير الى مكان هذة الصلاة في مكانها الحالي لكنه كان يفترض تهيئة القرابين بالحبة السوداء ثم الاتشاح بالملابس الكهنوتية ثم تلاوة هذه الصلاة والصعود الى المذبح .

(٢) Vat. ar. 424 II (fol. 175 v.)

يكشف رأسه ويبسط يديه ، يعمل ثلاث مطانيات ويقول : اللهم أسألك ...» وقد وردت كما هي اليوم بالحرف الواحد .

أما القول السائد بأنها من أصل لاتيني فهو بدون أساس ، الا مكانها وكيفية تلاوتها في القداس الحاضر فهو واقع تحت التأثير اللاتيني .

ويأتي السؤال الثاني : لماذا جاءت هذه الصلاة وحدها في اللغة العربية في كتاب القداس بينما وضعت سائر الصلوات في اللغتين العربية والسريانية ؟ أو تكون هذه الصلاة قد ألّفت فقط في اللغة العربية بدون أساس في اللغة السريانية ؟

الجواب هو أن مخطوطات القداس الماروني واليعقوبي والملكي تتضمن صلاة استغفار واستعداد بالسريانية ، تقال قبل اللبس ، شبيهة جداً بالصلاة هذه دون أن تكون مطابقة لها تماماً . وقد قابلنا النصين العربي والسرياني في درسنا الافرنسي وأضفنا اليها نصاً يونانياً ثالثاً ورد في مقدمة قداس مار يعقوب الملكي . وكانت مخطوطة الطبعة الأولى تتضمن هـــذا النص السرياني المشابه لكن قلم المصلح ضرب عليه اذ لم يجد فائدة من طبعه [1] .

مختصر القصة : صلاة يعقوبية دخلت صلاة سرية استعدادية واصبحت فيما بعد علنية الى أن احتلت مكانها الحالي تحت التأثير اللاتيني .

ب ـ آيات الصعود إلى المذبح

يعود الكاهن من جديد فيتلو الآيات التي ترافق الصعود إلى المذبح :

---

(١) Avant-messe, pp. 279-280.

« سآتي إلى مذبح الله ... » : ورد الكلام عنها سابقاً . لكنه يضيف عبارة ثانية لم تذكر آنفا وهي حرفياً بالسريانية : « صلّوا عليّ من أجل المسيح » فيجيبه الشعب : « فليقبل الله قربانك وليرحمنا بصلواتك » . وبينما هو يقول : « صلوا علي .. » يضع يديه على صدره ويلتفت عن يمين المذبح وشماله كأنه يستغفر ممن هم حواليه . ما معنى كل هذا ؟ لا بدّ لذلك من العودة إلى ما ورد في المخطوطات القديمة :

أكثر المخطوطات القديمة تسبق هذه الحركة والآية بالتوجيه التالي : « يتبارك الكاهن من المذبح ومن الكهنة الذين هم حوله ويقول : صلّوا علي ...» فيجيبونه : « فليقبل الله قربانك .... » .

ما معنى « صلّوا علي » ؟ هل يعني ذلك « صلّوا من أجلي » ؟ كلا ، بل تعني العبارة السريانية «بارك» . ومن هنا العبارة الدارجة التي تطلب فيها الأم من الكاهن مباركة ولدها قائلة « صليّ لي على راسو » . كما وان العبارة القرآنية « صلّوا على النبي » أو « ملائكة الله يصلّون على النبي » ، تعني البركة . ولذلك فقد كان الكاهن ، بالأساس ، « يتبارك من المذبح ومن الكهنة الذين حواليه ...» أي يقبّل المذبح ثم يطلب البركة من الكهنة الذين يحيطون بالمذبح قائلاً لهم : «بركتكم» فيجيبونه «فليقبل الله قربانك...» أما تبديل التوجيه القديم من مخاطبة الكهنة إلى مخاطبة الشعب قائلاً لهم « صلّوا علي» فقد صار عندما أصبح الكاهن وحيداً على المذبح ولا من كهنة حوله يخاطبهم ، وذلك بعد دخول عادة القداس اليومي والفردي ، ولم تتبدل الروبريكه رسمياً إلاّ في طبعة كتاب القداس الثانية سنة ١٧١٦ .

ج ـ البخور : اقبل يا واد التائبين

بحسب العادة الطقسية العريقة ، على الكاهن عندما يصل إلى المذبح أن يكرِّم هذا المذبح بالبخور وبالاحترام لأن المذبح يمثل السيد المسيح . وليست العادة مقصورة على الطقس الماروني بل هي تشمل سائر الطقوس الشرقية والغربية .

أما تبخير المذبح في هذا الوقت بالذات من القداس الماروني فهو نسبياً حديث لا يتعدى القرن السادس عشر وقد ظهر للمرّة الأولى بوضوح في المخطوط العائد إلى السنة ١٥٠٩ (باريس ٧٣) .

وعلى ذكر نشيد « اقبل يا واد التائبين » علينا أن نميّز بين كلام النشيد بحد ذاته وبين مكانه في هذا الموضع من القداس . مكانه حديث ، أما كلامه فقديم[١] . نجد غيره في هذا الموضع بالذات من القداس ، إما نشيداً آخر وإما بدء المزمور ٩٥ : « هلموا نرنّم للرب ... هلموا نسجد ونركع له » .

من بعد صعود الكاهن إلى المذبح وتبخير المذبح يبخر الكنيسة والشعب ثم يبدأ بمجموعة من الصلوات أطلق عليها لقب « الفرض » [٢] ، وهو الفرض

---

(١) الفرض الأسبوعي ، صباح الاثنين ، نشيد البخور . لاحظ في نص هذا النشيد الألفاظ القديمة المستخدمة ، مثل تقديم البخور : « لرضى الرب » « وراحة لاهوته » ... ربما يعود هذا النشيد إلى ما قبل القرن الثامن . المجلة الكهنوتية ، ١٩٦٠ – ص ١٤١ – ١٦٤ .

(٢) نعني بكلمة « فرض » مجموعة من الصلوات والأناشيد تتبع نسق الصلاة الفرضية وتتضمن العناصر الآتية : (أ) المجدلة ، (ب) الطلبات : من أجل امان... (ج) صلاة البدء (د) التسبحة أو المزمور ، (ﻫ) صلاة الغفران : الفروميون ، السدر (و) نشيد البخور (ز) صلاة البخور او العطر .

الأول . ثم يعود فيتلو التذكارات على القرابين وينتقل إلى رتبة أخرى للصعود إلى المذبح ومن ثمّ إلى « الفرض الثاني » .

٦ — الفرض الأول

المقدمات: تتألف من ثلاث مرات كيرياليسون، ثم التقديسات الثلاث، بعض التضرعات البسيطة، وأخيراً الصلاة الربية . تتلى هذه المقدمات اجمالاً في بدء كل ساعة من ساعات الفرض ، وبحسب القواعد الطقسية المذكورة قديماً :

« يقف الكاهن في باب الخورص أمام المذبح ، يصنع اشارة الصليب وثلاث مطانيات ثم يقول التقديسات الثلاث وما يتبعها [١] » .

من الطبيعي أن نجد هذه المقدمات قبل الفرض الأول في القداس اذ كان الكاهن يعتبر هذا الفرض جديراً بأن يسبق ، مثل غيره ، بالمقدمات العامة . ومن الطبيعي أيضاً أن نستنتج أن هذه المقدمات والفرض وجدت معاً، كما أنها لم يكن لها من وجود في المخطوطات المارونية من قبل منتصف القرن السادس عشر (مخطوط مونيخ ١٥٤٨) . إنها تابعة للفرض الأول الذي هو حديث أيضاً .

قبل أن نستوضح معنى الفرض الأوّل فلنتفحص العناصر الذي يتألف منها :

أ — **المجدلة .** وردت في هذا الفرض في الصيغة المطوّلة بهذا الشكل : «المجد للاب والابن والروح القدس في بدايتنا ونهايتنا ، وعلينا نحن الضعفاء والخطأة فلتفض الرحمة والحنان في كلا العالمين ، الآن وإلى الأبد » .

ليست هذه المجدلة المطولة خاصة بالموارنة بل هي غالبا ما نجدها عند

(١) الشحيمة ، طبعة روما ١٦٢٤ ، المقدمة .

السريان اليعاقبة اذ يبدأ الكاهن بالمجدلة قائلاً : «المجد للاب والابن والروح القدس»، فيجيب الشعب : « وعلينا نحن الضعفاء والخطأة ... » . ومن يتأمل النص يجد ان هذه الطريقة هي الفضلى وهي التي كانت في الأساس .

ب – **الطلبات** . نعني بالطلبات سلسلة من التضرعات على نوايا متعددة يتلوها الشماس ويجيب عليها الشعب. ويظهر من سائر الرتب المارونية القديمة انها كانت دائماً تبدأ بالطلبات مع وضع البخور، تقدمة لله، مع النوايا المذكورة . وهذا ما ورد في البطريرك الدويهي[1] ، وما نجده ايضاً في أقدم رتبة سورية بلغت الينا من القرن السادس .[2]

وإذا ما عدنا إلى نص هذه الطلبات ، كما وردت في الطبعة الأولى لخدمة القداس ، نجدها مجموعة من النوايا تبدأ كل منها بلفظة « لأجل » وتختم بقول الشماس : بوضع البخور وللرب نصلي .

كانت في الأصل سلسلة من النوايا يقولها الشماس قبل وضع البخور وكان الشعب يجيب على هذه الطلبات ، اما بعد كل منها ، واما بعدها مجموعة بهتاف : « كيرياليسون » ، كما ورد في كتاب السيامة القديم[3] .

وتجدر الاشارة إلى أن هذه الطلبات المارونية بشكلها ومكانها الحاليين غير معروفة عند السريان اليعاقبة ، وان وجودها في مخطوطة سريانية يجعل هذه المخطوطة حتما في مصاف المخطوطات المارونية . كما أنه تجدر الملاحظة بأن كل المخطوطات المارونية، قديمة وحديثة، تذكر هذه الطلبات في بداية الفرض .

ج – **صلاة البدء** . يدل النص الحالي على أن هذه الصلاة استعدادية للدخول

---

(١) المنارة ١ ، ص ١٦٦ .

(٢) Réception d'un évêque au VI s. **Orient Syrien,** II (1957) pp. 137-184.

(٣) Vat. syr. 309, fol. 3.

إلى المذبح ، وكلامها واضح : « أهلنا يا رب لأن ندخل بيتك كل حين ... » . وهي غير معروفة في المخطوطات اليعقوبية . ولكن بعض المخطوطات المارونية تعطي صلاة عوضها لا بمعنى الدخـــول إلى المذبح بل بمعنى ختام الطلبات السابقة وقد جاء فيها :

« اجمع يا رب قطيعك ، فرّج عن المكروبين ، عزّ المحزونين ، قوّ الضعفاء ، اشفِ المرضى ، سامح الخطأة ... » [1] .

د ـ «السلام» **والتسبحة**. يسبق هذه التسبحة سلام الكاهن على الشعب «السلام للبيعة ولبنيها» . وهذه الطريقة لاعطـــاء السلام معروفة أيضاً في بـــدء نافور شرر وفي بدء نافور مار يعقوب الملكي ،ويظهر انها تعود إلى أيام فم الذهب[2] . ولكنها تظهر للمرّة الأولى مكتوبة في الطبعة الأولى للقداس لا في المخطوطات وقد زيدت على هامش مسودّة الطبعة . ونفس العبارة معروفة أيضاً في صلاة المساء والصباح في هذا الموضع من الفرض بالذات .

تتألف هذه التسبحة حاليا من الآيات الآتية :

١ ـ المجد لله في العلى ... (لوقا ٢/١٤) .

٢ ـ المجد للاب والابن والروح القدس من الآن وإلى أبد الابدين .

٣ ـ افتح يا رب شفتي ... (مز ٥١/١٧) .

٤ ـ أقم يا رب حارساً لفمي (مز ١٤/٣ـ٤) .

---

(١) Avant-messe, p. 288-289.

(٢) idem, p. 289.

٥ ـ أذكر يا رب مراحمك ... (مز ٢٥/٦–٧) .

٦ ـ قد أحببت يا رب خدمة بيتك ... (مز ٢٨/٨)

٧ ـ لبيتك ينبغي التقديس يا الله ... (مز ٩٣/٥) .

٨ ـ سبحوا الرب يا جميع الأمم ... (مز ١١٦/١ – ٢) .

٩ ـ المجد للاب والابن والروح القدس ... وعلى الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر .

لم يكن هـذا النص موجوداً بكامله كما هـو الآن في المخطوطات التابعة للقداس ، بل كان الناسخ يكتفي باعطاء العبارة الأولى . لكن المخطوطات المارونية تورد بداية هذه التسبحة ، وهذه بعض المعلومات التي تدل على أن هذه التسبحة كانت بالأساس مختصرة ثم أخذت تطول مع الأيام (١) :

١ ـ تعطي الطبعة الأولى للقداس قسماً منها (الأرقام : ١ ، ٢ ، ٣)

٢ ـ تذكر الطبعة الأولى للشحيمة أن الآية الأولى تعاد ثلاث مرات .

٣ ـ التسبحة في الطقس الملكي مختصرة (الأرقام ١ ، ٢ ، ٩) .

ولذلك فان مجموعة الآيات التي وردت انما جاءت بالمعنى نفسه وهي كلها استعدادية لتمجيد الله وتسبيحه .

وربما كان أقدمها يتوقف فقط على الفقرة الأولى تعاد مثل لازمة مع المجدلة أو مع المزمور ١١٦.

وهذا يدل على أن التسبحة وضعت هنا عبارة عن مجدلة افتتاحية مثل المجدلة والطلبات وصلاة البدء .

---

(١) Avant-messe, pp. 290-92.

ه – **الفروميون والسدر**. من غير الممكن أن نتوقف هنا على تاريخ هذه الصلاة
ساسية في الفرض الماروني السرياني لأنها تتطلب الدروس والمراجع الكثيرة لكننا
تفي بما يشرح أساسها ومعناها ، وخاصة مكانها هنا في الفرض [1] .

نبدأ بالاسم : لفظة « فروميون »، هي من أصل يوناني وتعني «مقدمة»
طلق على مقدمات الكتاب أو الخطاب بالنسبة إلى قلب الموضوع وجوهره .
ا هنا فتعني مقدمة « السدر » وهي بالأصل مجدلة بسيطة تطورت حتى أصبحت
دلة متبدلة مع الأعياد والتذكارات بالنسبة إلى السدر ، وهي تبدأ دوما بعبارة
سبيح والتمجيد « لنرفعن التسبيح والمجد والاكرام ... » [2]

أما لفظة « سدر » فهي منقولة عن السريانية « سِدْرُا » وتعني : صفّ
ظّم . فنقول : الأولاد منظمون في « سدر » ، والطلبات منتظمة في « سدر»
خ ... وقد وردت هذه اللفظة قديماً في الطقوس عن صلوات دعيت« سِدْرا
سْمِا » أي« سدر البخور » . وأول من نظم « سدراً للبخور » كان البطريرك
عقوبي المعروف بيوحنا « السدراوي » (+ ٦٤٨) . ان « السدر » موجود في
طقوس السريانية والمارونية والملكية ، ولكنه غير موجود في الطقس
كلداني . وقد كان عدد «السدرات» لا يتجاوز العشرة في القرن السابع والثامن
ى أن أصبحت اليوم الطقوس السريانية والمارونية تتضمن مجموعات تفوق

(Avant-messe, pp. 292-295.

() أبسط المقدمات وأقدمها محفوظة في مخطوطات يعقوبية قديمة ، وفي مخطوطات ملكية . راجع لهذا :
J. **Mateos**, Sedré et prières connexes dans quelques anciennes collections. Orient. Christ. Per. XXVIII, (1962), pp. 239-287.

«سدراتها» على الستمائة .[١] لا شك أن أصل هذه القطعة سورية وربما سريانية يعقوبية .

وانما مع الرأي القائل بأن السدر بالأساس مجموعة من الطلبات المنظمة تقال بينما يتصاعد البخور في الكنيسة . وعند تأليف هذه الطلبـــات في «سدرات» معينة لبعض الأعياد والمناسبات ، اضيفت الى الطلبـــات مراجع خاصة الى العيد ومعناه ، وأصبحت منذ يوحنـــا السدراوي قطعة خاصة بالعيد تتناول المعنى أكثر مما تشدد على الطلبات. وهذا مانشهده منذ مجموعة السدرات المحفوظة في المتحف البريطاني والتي تعود الى القرن السابع – الثامن [٢] .

اما اليوم ، فالسدر مقسوم عادة الى قسمين يتناول القسم الأول منه نظرة وتأملا في معنى العيد اللاهوتي والديني ضمن منهج التدبير الخلاصي ، ثم القسم الثاني ويبدأ بلفظة «والآن» فانه سلسلة من الطلبات العامة والخاصة .

وبينما يضع الكاهن البخور في «المقدمة» ، «يبخر الشماس وقت السدر»، وكان يحمل المبخرة ويدور في الكنيسة بينما يرتّل السدر وينغّم .

ويجدر الكلام بأن الموارنة غالبا ما يطلقون على هذه القطعة بكاملها لفظة «حِسّاي» اي صلاة الغفران . بينما السريان يضيفون الى السدر «صلاة غفران» عامة يتلونها من بعده . ونجد أن هذا العمل موافق للسير الطقسي القديم ، اذ كان الكاهن من بعد أن يتلو الشماس السدر طالبا ايضاً من الله غفران الخطايا والذنوب كان الكاهن يختم هذه الطلبات بصلاة «حلٍّ من الخطايا» هي ،

---

(١) في الطقس الماروني مثلا صلاة أو فرض لكل عيد. وهناك مجموعة لما يقارب المائة عيد ولكل عيد صلوات سبع وفي كل صلاة سدر ، هذا اذا لم نحسب صلاة الليل التيء تتضمن أربعة سدرات . يضاف إلى ذلك سدرات الأسبوع والرتب الطقسية والأسرار ...

(٢) راجع : الحاشية (٢) فى الصفحة السابقة .

واقع صلاة «الحساي». ومن يبحث اليوم في المخطوطات الملكية، في الشحيمة
رونية وفي المخطوطات السريانية القديمة، يجد أن كثيرا من الصلوات التي نسميها
م «العطر» في الشحيمة المارونية انما كانت بالواقع حسايات قديمة[1] .

ولا نظن أن العادة التي درجت في الطقس الماروني بتكليف الشماس بتلاوة
سدر ، شرط أن تبقى المقدمة وخاتمة السدر للكاهن، هي من التطورات الطقسية
ديثة ، لا بل نظن أن هذا التكليف انما هو مردود الى وظيفة الشماس الأصيلة
لاوة «السدر» أي الطلبات .

أما الحال اليوم فهي أن «السدر» تطور الى صلاة عن العيد بدلا من أن يكون
وعة طلبات ، رغم أن مجمل «السدرات» تنقسم الى القسمين المذكورين آنفا :
ي العيد ثم الطلبات من بعد «والآن ...».

في القسم الأول من القداس اليوم سدران بالنثر في الفرض الأول وسدر منظوم
الفرض الثاني .

أما السدر النثري الاول فهو عام ، بينما الثاني للعذراء . وقد ضمت
خطوطات سدرات غيرهما، ربما كانت كلها شعرية كما في المخطوط الفاتيكاني
١ (سنة ١٥٣٥).

تعطي المخطوطات اليعقوبية عادة للخدمة الأولى السدر المعروف بالعام ،
وهو السدر الأول في كتاب القداس اليوم وقد ورد في بعض المخطوطات
رونية المتأثرة باليعقوبية مثل بكركي ١١٥ — ١١٧ — الفاتيكان ٤٣٤ وباريس
(١

أما سدر العذراء الذي يتلى اليوم فهو «ماروني» بحيث لم نجد له أثرا في كل

---

(1) راجع الحاشية السابقة .

المخطوطات غير المارونية ونتساءل لماذا اقتصر القداس الماروني على سدر العذراء، ولا من جواب ! إلا إذا ما كانت العادة قد بدأت في الكرسي البطريركي — حيث الكنائس كلها على اسم العذراء — ثم عمت فيما بعد .

و — **نشيد البخور**. تسميته السريانية هي «صوت» «قُلاُ»، اي لحن ينشد وقت البخور. وصوت يعني ان النشيد قصير عكس «مدرش» أو «باعوت» وغير مرفق بمزمور ليكون «ردة» على الآية المزمورية . وغالباً ما يكون هذا الصوت اليوم مؤلفاً من «بيت» أو أربعة أبيات ، ولكنه في أقدم النصوص بيت واحد ! وربما أدخل ليكون تابعاً للسدر على لسان الشعب الذي يشترك في رتبة البخور هذه بنشيد اجماعي .

أما «الصوت» المدرج اليوم في الفرض الأول فهو عام يذكر العذراء والرسل والشهداء .. وهو مأخوذ عن الفرض الاسبوعي ، الصلاة التاسعة ليوم السبت .

لكن المخطوطات لم تكن تكتفي بنموذج واحد بل كانت تختار حسب المناسبات ، والطبعة الأولى بنفسها تورد «صوتاً» غير المعروف اليوم. وبالأحرى «الذي كان معروفا» لأن العادة قد قضت عليه عملياً أو دمجته مع النشيد المماثل الذي يقال وقت التذكارات والذي يبدأ «**بصلاتك معنا**».

ز — **صلاة العطر**. لفظة «عِطـُرا» تعني «الطيوب» ، و«العطور» ، ونجد هذا العنوان في مخطوطات تعود الى القرن العاشر — الحادي عشر . ولكن الصلاة معروفة في المخطوطات القديمة باسم صلاة «قبول البخور» أو فقط «صلاة القبول» ، كما أن المخطوطات الملكية واليعقوبية القديمة تسميها «صلاة ما بعد البخور» .

كل هذه الاسماء تدعونا الى أن نجد في هذه الصلاة خاتمة لرتبة البخور التي تبدأ بالمقدمة مع وضع البخور ثم النشيد والصلاة .

نعود فنشير الى أن صلوات عطر كثيرة في الشحيمة المارونية كانت بالأساس «صلوات غفران» ، اي صلوات حلّ عامة . وضعت هنا من بعد تنسيق الكتب بضمّ الصلوات والاناشيد في مجموعة واحدة .

خاتمة : — معنى الفرض الاول

ما معنى هذا الفرض ولماذا وضع هنا ؟ ربما يظن البعض ان صلاة الساعة الثالثة وضعت هنا لتتلى قبل القداس . ويستندون بذلك على أن هذا الفرض هو على نسق الساعة الثالثة . ولكن الواقع التاريخي هو غير هذا الظن ولا علاقة للساعة الثالثة بهذا الفرض الاول . والاسباب الداحضة ذلك متعددة منها :

١ — صلاة الساعة الثالثة وخاصة صلاة الأحد التي كانت يمكن أن تكون هنا هي مكرّسة لتمجيد الثالوث الأقدس ، أما هذه فهي بالأساس مبنية على الصلوات الاستغفارية لا غير .

ب — ظهر هذا الفرض على مرحلتين ، اذ ظهر أولا في قسمه الثاني حول صلاة الغفران في أقدم مخطوط فيه ذكر للفرض(بكركي ١١٥ ، السنة ١٥٠١) ثم ظهر كاملاً في المخطوطات التابعة (باريس ٧٢ ، ١٥٠٩).

ج — يتضمن عناصر افتتاحية غير موجودة في صلوات الساعة الثالثة : «الطلبات» ثم «المجد لله في العلى»...» .

ما هو الدافع اذا لوضع هذا الفرض ؟

الدافع هو تلاوة صلوات استعدادية استغفارية تحت تأثير الروحانيةالنسكية والطقوس اليعقوبية العائدة لأواخر القرن الخامس عشر . وهذه الصلوات التي

تتجمع حول حساي « أو صلاة الغفران » هي بمثابة « فعـــل اعتراف وندامة » يتلوها الكاهن قبل صعوده الى المذبح . .

وكانت العادات الطقسيةالسريانية التي اتبعها الموارنة في أواخر القرن الخامس عشر واوائل السادس عشر أن الكاهن من بعد أن يهيء القرابين وهو متشح بالجبة السوداء فقط ، كان يلبس ثياب التقديس ثم يقف امام المذبح في باب الخورص تاليا صلوات استغفارية ثم يصعد الى المذبح ليقدم القرابين تالياً التذكارات .

ونجد معنى هذا التطور في المخطوطات المارونية نفسها . فمن بعد أن كان الكاهن يهيء القرابين ويقدمها مباشرة اصبح يفصل بين التهيئة والتقديم ، الى أن دخلت صلاة استغفار بين التهيئة والتقديم (بكركي ١١٥ ، ١٥٠١) تحت تأثير الطقوس اليعقوبية . وبما أن هذه الصلاة غير مألوفة وحدها بدون أن تدخل في اطار رتبة منسقة على طريقة الفرض ، عند ذاك ، اكتمل الفرض بصلوات وطلبات اعطته نسقه النهائي منذ سنة ١٥٠٩ (باريس ٧٣) وما بعد .

وبهذا تكوّن الفرض الاول من عناصر متعددة منها ما هو قديم ومنها ما هو محدث ليكون بمثابة فرض توبة واستغفار .

أما اليوم فقدفقَد هذا الفرض معناه القديم لأن الكاهن هو منذ البدء على المذبح ولأنه يكتفي بتلاوة صلوات غير متناسقة المعنى اذ احداها استغفارية وغيرها للعذراء وللبخور ... بدون علاقة تامة بين سائر الصلوات . هذا وان الفرض الحالي يفصل تماماً بين تهيئة القرابين والتذكارات على القرابين .

٧— التذكارات على القرابين

تشير الروبريكة الحالية الى ما يلي : « يقول الخادم «صلاتك معنا» والكاهن

يديه فوق التقدمة ، اليمين فوق الشمال بشكل صليب . ويقول سرّاً : ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ...»

ونتساءل بعد هذه الروبريكة : لماذا ينشد الخادم «صلاتك معنا» علنا بينما الكاهن التذكارات سرّاً . ولماذا يضع الكاهن يديه فوق القرابين اليمين الشمال بشكل صليب ؟ .

ونرجع الى المخطوطة التي أخذت عنها الطبعة الأولى فنجد أن الاصلاح دل عبارة بعبارة ، وقد كان الأصل : «يأخذ الكاهن الصينية بيمينه والكأس ه ويضع اليمين فوق الشمال ويقول بصوت علني : ذكر ربنا والهنا ...»، عندئذ بعض الغوامض ويستمر البحث في المخطوطات وتاريخ الطقوس ما يلي :

في المرحلة الأخيرة من تطور هذا القسم من القداس كان الكاهن يأخذ ية والكأس مباشرة من بعد تهيئة القرابين على المذبح ويتلو التذكارات ت علني مضيفاً على آخرها النية التي من أجلها يقدم القربان . هذا ما نجده وط حلب لسنة ١٤٩٠ . أما في المخطوط السابق (باريس ٧١ ، ١٤٥٤) حفظ التذكارات على الخبز وحده دون الخمر .

واذا ما عدنا الى القرن العاشر ، عندما كانت القرابين تنقل الى المذبح في نافور . نجد أن التذكارات هذه كانت تقال من بعد وضع القرابين على مباشرة قبل صلاة الافخارستيا .

حدث التطور عندما صارت القرابين توضع على المذبح منذ بدء القداس : الكاهن يقدمها علنا ثم رجع يقدم الخبز والخمر وهو واضع يده اليمين الشمال بشكل صليب، ثم صارت التذكارات سرّية وأخذ الشعب أو الشماس نشيداً مماثلاً في وقتها .

هذا عن معنى التذكارات وتاريخ الحركة التي ترافقها اما النص الحاضر فانه يتألف من العناصر الآتية :

١ ــ التذكارات العامة : المسيح ، الاولياء من آدم حتى اليوم ، العذراء، الانبياء ، الرسل ، الشهداء ، المعترفين ، الموتى[١] .

٢ ــ ذكر الاحياء على مختلف فئاتهم (رجل ، امرأة ، مريض...)

٣ ــ ذكر الأموات (عموما ، رجل ، امرأة ، الاب والام)

٤ ــ ذكر خاص للعذراء في أعيادها .

٥ ــ تقديم القرابين للثالوث مع قرع الصدر ثلاثاً وطلب الرحمة ، «ايها الثالوث القدوس ...»

٦ ــ تذكارات على القرابين مع جمع اليدين فوق القرابين، «اجعل اللهم ذكراً صالحاً ...»

لكل من هذه الصلوات ، مفردة ومجموعة ، تاريخ طويل نكتفي هنا بالخلاصة :

١ ــ **النص** : وردت هذه التذكارات العامة بنص قصير في اقدم مخطوط للقداس الماروني اذ كان الكاهن يكتفي بهذه التذكارات مختصرة مضيفاً الى آخرها عبارة تدل على النية التي يقدّم القربان عنها. وكان الكاهن يتلوها علناً.

٢ ــ **ذكر الاحياء ...** كانت المخطوطات بالأساس تكتفي بعبارة واحدة هي بمجرد تنبيه فتطورت هذه العبارة الى ذكر الاحياء على مختلف فئاتهم . ان ترتيب التذكارات، بالشكل الوارد في الطبعة الاولى: الاحياء، الموتى ... على فئاتهم، هو من تنظيم المصلح في الطبعة الاولى .

٣ ــ **ذكر الاموات** : نضيف الى ما سبق أن منظم هذه التذكارات

(١) ما «صلاتك معنا» الا نشيد علني يتضمن التذكارات العامة السبعة التي يقولها الكاهن سراً.

وضع ذكر الاب والام بين تذكارات الاموات . يستدل على ذلك من امرين : موضع التذكارات ونص التذكار : « اجعل يا رب ذكراً صالحاً »... وهذا ما يقال عن الموتى .

٤ ـ ذكر خاص بالعذراء : نصّ مأخوذ عن المخطوطات اليعقوبية .

٥ ـ تقديم القرابين للثالوث ... نفهم هذه الصلاة عندما نعود الى المخطوطات اليعقوبية القديمة مثل هذا المخطوط العائد الى القرن العاشر : « صلاة يقولها الكاهن وهو يحمل الصينية بيمينه والكأس بشماله وهو واقف امام المذبح »(١) .

كانت هذه الصلاة ـ كما لا تزال اليوم في القداس اليعقوبي ـ في بدء النافور ، عندما كان الكاهن يأخذ القرابين بيديه ويصعد الى المذبح فيقول : « ايها الثالوث الاقدس ارحمني ... ايها الثالوث الاقدس اقبل هذه القرابين من يديّ ». وقد تبدل مكانها من بدء النافور الى القسم الاول من القداس عندما تبدل مكان وضع القرابين على المذبح .

٦ ـ تذكارات على القرابين : « اللهم ، اجعل ذكراً صالحا.. »

هذه الصلاة هي من أقدم صلوات القسم الاول من القداس (٢) ، نجدها في أقدم المخطوطات اليعقوبية (العاشر ، الحادي عشر) ، وقد كانت مثلما هي اليوم عند اليعاقبة في بدء النافور ، رغم انها وردت في بعض المخطوطات اليعقوبية في القسم الأول ، حيث هي اليوم في القداس الماروني . وان كان الموارنة قد اتخذوها عن اليعاقبة فربما كان ذلك في القرن الحادي عشر ، لأنها في ذلك الوقت وجدت في القسم الاول من القداس اليعقوبي . (٣)

---

(١) B.M. Add. 17.128.

(٢) Avant-messe, pp. 305-306.

(٣) من يبحث عن قرب في نص هذه الصلاة يجد انها تتضمن بالوقت نفسه معان عن وضع القرابين على المذبح وعن حل من الخطايا بواسطة هذة القرابين الموضوعة .

كانت هذه الصلاة بالاساس تذكارات على القرابين من بعد وضعها على المذبح . كما أنها كانت تتضمن في آخرها ذكراً خاصاً للنية التي تقدم عنها القرابين .

ان الحركة الحالية التي ترافق هذه الصلاة وردت في الطبعة الثانية فقط وهي منقولة عن القداس اللاتيني .

أما الصلاة التي تتبعها ، وغالباً ما يظنها البعض تابعة للتذكارات ، فهي بالواقع تتعلق بالفرض الثاني وهي صلاة استغفارية ، استعداداً للصعود الى المذبح .

٨ — رتبة الصعود إلى المذبح (ثالثة) مع البخور

يسبق الفرض الثاني رتبة صعود الى المذبح للمرة الثالثة وتتألف ، كما في الفرض الاول ، من صلاة استعدادية استغفارية ومن آيات الصعود وطلب الغفران .

أ — **الصلاة الاستعدادية:** « يبسط يديه قائلا سراً : ايها الرب الاله الضابط الكل ، يا غافر خطايا البشر ...»

كانت الروبريكة الأساسية: «يبسط الكاهن يديه ويقول هذه الصلاة سراً من أجل نفسه» وتحوّرت مع الزمن الى أن صارت على ما هي عليه . وهذه الصلاة منقولة عن المخطوطات اليعقوبية لأنها معروفة في كل هذه المخطوطات ومجهولة في المخطوطات المارونية حتى القرن السادس عشر .

يظن البعض أن هذه الصلاة هي تابعة لما سبق ، وذلك بسبب الحاقها بالمجموعة السابقة ، لكن هذا خاطىء تماماً ، اذ هي تسبق الفرض الثاني وتكوّن وحدة مع رتبة الاستعداد للصعود الى المذبح [١] وهي تابعة لما بعد .

---

(١) في النص الحالي المطبوع قد سقطت «لا » النافية قبل عبارة « وأنا مستحق ... » فبدلت المعنى الأصلي تماماً .

ب – ايات الصعود وطلب الغفران: هي ذاتها التي وردت قبل الفرض الاول .

٩ – الفرض الثاني

يتألف الفرض الثاني من : المجدلة ، صلاة البدء ، المزمور ارحمني والصلاة ما بعد المزمور ، الافراميات .

ان هذا الفرض على حالته الحاضرة موجود في سائر مخطوطات القداس الماروني القديمة والحديثة . لكن رتبة تقديس الماء (الموجودة في مخطوط بكركي ٩٨ من سنة ١٣٥٤ اي مائة سنة قبل آخر مخطوط للقداس) تكتفي من هذا الفرض بالافراميات وما بعد ، مع العلم انها تبدل سدر الافراميات المنظوم بسدرمنثور .

لا حاجة للتذكير بأن هذا الفرض الثاني هو أقدم من الاول ولكنه له ذات المعنى اذ كان بالاساس يضم مجموعة صلوات وطلبات استغفارية ترافق الدخول الى المذبح . وفي درس التفاصيل توضيح لذلك .

أ – **المجدلة**... انها في حالتها الاصلية دون التطويل في الجواب . وربما كانت أقرب الى الاصل الماروني .

ب – **الطلبات** : الكرازة المعهودة في بدء الرتبة المارونية .

ج – **صلاة البدء**: هي الصلاة المعروفة في بدء الخدمة الاولى للقداس اليعقوبي. وهي من اصل يعقوبي بلا شك رغم انها مذكورة في كل المخطوطات المارونية ، والبرهان هو أنها منسوبة في المخطوطات اليعقوبية القديمة الى البطريرك اليعقوبي قرياقوس (+ ٨١٧) ونجد هذه التسمية في مخطوطات يعقوبية تعود الى القرن التاسع والعاشر [١] . ولكنها كانت بالاساس في مجموعة صلوات كصلاة «تسبق

---

(١) Avant-messe, pp. 308-310.

ارحمني يا الله» وبذلك انتقلت الى القسم الاول من القداس اليعقوبي وقد فقدت نسبتها الى البطريرك وبقيت «صلاة تسبق ارحمني يا الله» . ونظن انها دخلت القداس الماروني عن طريق المخطوطات اليعقوبية العائدة الى ما قبل الرابع عشر ، بعد أن فقدت نسبتها للبطريرك قرياقوس . وذكرنا آنفاً ان رتبة تقديس الماء المارونية من السنة ١٣٥٤ تجهل وجود صلاة بدء في الرتبة . فهذا ما يجعلنا نظن أن هذه الصلاة دخلت القداس الماروني في أواخر الرابع عشر .

د - **ارحمني يا الله** : ربما كان مزمور التوبة اقدم العناصر الاستغفارية التي كان يتلوها الكاهن سراً استعداداً للقداس .

ويذكر كتاب الهدى أن المؤمن عندما يدخل الكنيسة يبدأ بتمجيد الثالوث ، ثم يقول التقديسات الثلاث ثم المجد والصلاة الربية ، وبعد أن ينتهي «يطلب الغفران بتلاوة بعض المزامير» والأفضل أن يقول المزمور الخمسين الذي يبدأ بهذه الكلمات : «ارحمني يا الله ...» (١)

ان يوحنا الداراوي في شرحه للقداس اليعقوبي في القرن التاسع يذكر أنه يحسن أن يقال مزمور في بدء القداس مثل المزمور ٥١ ، ولا نجد غرابة في أن يقال مزمور التوبة في هذا القسم الاعدادي .

أما الصلاة التي تتبع المزمور فأنها مختصرة وتتعلق به مباشرة . وهي مجهولة في بعض المخطوطات المارونية القديمة لكنها معروفة في كل المخطوطات اليعقوبية وحتى القديمة منها العائدة الى القرن التاسع (٢) ، ومن هذه المخطوطات انتقلت فيما بعد الى القداس الماروني .

---

(١) ص . ٦٤ . يذكر المزامير بحسب عدد السبعينية .

(٢) Avant-messe, pp. 313-314.

التبخير:كل المخطوطات المارونية تضع التبخير وقت السدر اي الافراميات، ما عدا مخطوط واحد هو باريس ٧٩ (سنة ١٥٥٥). أما الطبعة الاولى فقد اصلحت الروبريكه الاصلية لتنقل التبخير من السدر الى وقت ارحمني . يبقى انه حتى في الطبعة الحالية كما في الطبعة الاولى ، ترك وضع ثان للبخور قبل السدر انما اضيف ما يلي : «العادة الآن أن لا يوضع البخور هنا» . أما سبب نقل التبخير الى وقت المزمور فذلك لأنه أسهل على الكاهن أن يبخر والجميع يقولون المزمور غيباً، بينما لا يمكنه التبخير وتلاوة السدر معا . وهذه الشريعة قد طبقت في الفرض الاول حيث كان يوضع البخور ايضاً وقت السدر .

أما معنى التبخير هنا فهو لا يزال تبخيراً متعلقاً بالدخول الى المذبح .

ه ـ **الافراميات**. تعرف الافراميات بالسريانية بـ «سدر افرامي» أو «سدر يعقوبي» وتسبقها مقدمة هي الفروميون ، وهي لا تتغير ، بينما السدر قابل للتغيير.

وقد ورد هذا السدر منظوما في سائر المخطوطات المارونية ما عدا في مخطوط واحد حيث ورد نثرا وهو الفلورنتيني ٢٣٦ (١٥٤٣). وقد ورد اما على الوزن الافرامي (سبع مقاطع) ، واما على الوزن اليعقوبي (١٢ مقطعاً)، وجاء دائماً بالسريانية. من المخطوطات ما تضمّن سدراً واحداً (باريس ٧١، ١٤٥٤) ومنها اثنين أو ثلاثة (باريس ٧٨) ومنها ستة (صلب ٦١٩ ، ١٤٩٠) ومنها تسعة (الفاتيكان ٢٩ ، ١٥٣٤) ومنها ١٣ (الديمان ٧ ، السادس عشر) [(١)] هذا مع العلم أن هذا المخطوط الأخير متأثر جداً بالطقوس اليعقوبية التي تجهل السدر المنظوم في القداس [(٢)] .

---

(١) للتفصيل في عدد السدرات في المخطوطات و في أي منها ، راجع . Avant-messe, pp. 316-321.

(٢) لم نقع على مخطوطات يعقوبية تتضمن سدرا منظوما للقداس ، ما عدا المخطوط المحفوظ في المتحف البريطاني or. 2295 . من سنة ١٤٨٢ .

تاريخ السدر المنظوم

ان هذا السدر شائع في القداس وفي صلوات الفرض عند الموارنة. ورغم ندرته في الطقوس اليعقوبية فهو غير نادر لا في الطقس الماروني ولا في المخطوطات الملكية السريانية. فعند الموارنة يذكر الدويهي سدراً للقداس من القرن الثالث عشر[1] ونجد بعض «السدرات» المنظومة في كتب الفرض الماروني القديمة (الديمان ١٧ – سنة ١٢٨٩) (الفاتيكان ٥٧ سنة ١٢٦٦). أما في المخطوطات الملكية السريانية فنجد سدراً للعذراء (الفاتيكان ٥٣ من السنة ١٠٤١) وعدة سدرات في الفاتيكان ٤١ (الرابع عشر) لكن هذا النوع مجهول عند الكلدان والسريان ماعدا النادر جداً.

وأصل هذا السدر على ما نظن كرازة للشماس كانت نثراً فوضعت شعراً على الوزن الافرامي وفيما بعد على الوزن اليعقوبي ، ولكن اكثرها على الوزن الافرامي ولهذا لقبت «بالافراميات» نسبة الى هذا الوزن ذي السبعة مقاطع .

تنقصنا الشهادات المارونية القديمة لابداء رأي معلّل، ولكن الحسّ الطقسي والمقارنة مع سائر الطقوس وبين سائر هذه السدرات ، يدفع الى القول انها كانت بالاساس كرازة افرامية تقال من بعد القراءات والعظة وتستبق صعود الكاهن الى المذبح في بدء النافور . وقد نزحت هذه الكرازة السدر من مكانها الاول الى هذا المكان ، نزحت لا بل ازدوجت مع الافراميـــة أو الكرازة التي تلي العظة « فلنقف كلنا مصلّين ... » . هذا رأي مبني على الاستنتاج فقط لا على الشواهد القديمة بسبب فقدان المستندات .

الافراميات باللغة العربية

ظلت افراميات القداس باللغة السريانية الى نهاية القرن السابع عشر : واشهر مؤلفي الافراميات باللغة العربية كان المطران عبدالله قراللي الحلبي

(١) Va. ar. 396, fol. 242.

الأصل ومنظم الرهبانية المارونية والذي اصبح فيما بعد مطراناً على بيروت وسكن في دير الراهبات في مار يوحنا حراش بعد أن صار مرشداً لهن سنة ١٧٢٥، ينظم لهن «افراميات» لينشدنها وقت العمل . واشهر افرامياته هي خمسة عشر نظمها على بيوت المسبحة الوردية الخمسة عشر ، وتعرف من البيت الأخير حيث يرد اسم «عبد» دلالة على اسمه عبدالله . لكنه لم يكن البادىء بنظم الافراميات بل سبقه غيره من الحلبيين بنوع خاص . ولم يتوقف نظم الافراميات مع طبعات كتاب القداس لأن المجموعة تؤلف كتاباً مستقلاً هو «كتاب الافراميات» الذي جمع للمرّة الاولى على يد افرام الشمالي مطران حلب وطبع على يد المطران الدبس في بيروت سنة ١٨٨٤ .

وتخصص بطبع الافراميات احد أصحاب المكاتب في بيروت ، يوسف صفير ،وذلك لانتشارها بين الشعب . وغالباً ما كان يزيد على طبعاته المتتالية افراميات جديدة لاسباب عدة منها طقسية ومنهـا تجارية . ورد في مقدمة احدى طبعاته الأخيرة سنة ١٩٤٧ : « لما رأينا مناسباً أن نؤلف بعض افراميات كانت ناقصة ... قمنا...»

ظهرت الطبعة الأخيرة للافراميات سنة ١٩٦٢ في مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه وهي تضم المجموعة الكاملة للافراميات باللغة العربية وعددها يفوق المائة.

قيمة هذه الافراميات من الناحية اللاهوتية واللغوية والشعرية غير عالية رغم جودة بعضها. هذا لا يمنع تعلق الشعب بها لأنها مألوفة النغم والسماع ولأنها من الاناشيد النادرة التي تتبدل اليوم عمليا في القداس .

١٠ — التقديسات الثلاث مع البخور

في الوقت الذي ينشد فيه الكاهن التقديسات الثلاث ويجيب عليها الشعب «ارحمنا» يبخر القرابين من الشرق الى الغرب ومن اليمين الى الشمال ثم يدير

المبخرة حول القرابين ثلاث مرات دون أن يبخر الشعب .

فما هو تاريخ التقديسات الثلاث في القداس ، وكيف تطور نصُّها وما هو معنى هذه التبخيرات بهذا الشكل وفي هذا الوقت ! نعالج أولاً قضية النشيد ثم ننتقل الى التبخير .

أ ـ النشيد

يعود هذا النشيد بأصله الى سفر اشعيا (٦ / ١ ـ ٤) اذ رأى النبي السرّافين ينشدون «قدوس قدوس قدوس» في تجلي مجد الرب . ويفهم من النص أن ما دفع الملائكة الى التقديس هو وجودهم في حضرة الله .

اما «القدوس» هذه فقد وردت في القداس في موضعين : هنا وضمن صلاة الافخارستيا رغم انها وردت بشكلين مختلفين لكن الجوهر هو واحد .

تعودّت الطقوس الشرقية ان تتلو قبل القراءات ، ـ موضعاً لا معنى ـ هذا النشيد بالذات ، وقد جاء بين الرسائل والانجيل في الطقس القبطي ، وقبل القراءات في سائر الطقوس الشرقية . وترجع هذه الطقوس هذا النشيد تقليديا ورمزياً الى الجمعة الحزينة مساءً عندما انزل يوسف الرامي جسد الرب عن الصليب فسمع الملائكة ترتل: «قدوس انت يا الله...».هذا من الناحية التقليدية، أما من ناحية التاريخ فتعود بنا المراجع والأصول حتى المجمع الخلقيدوني وقد صرخ اباء المجمع هاتفين للمسيح : «قدوس انت يا الله...» وكان ذلك على لسان الاساقفة السوريين [١] .

أما في القداس الانطاكي فتشهد المستندات القديمة انه موجود في أقدم النصوص الطقسية عن القداس والتي تعود الى ما قبل القرنين السادس والسابع [٢] .

---

(١) Mansi, Collectio conciliorum 6, 936 C.

(٢) Avant-messe, p. 324.

يعرف الطقس الروماني هذا النشيد في رتبة السجود للصليب من بعد ظهر الجمعة الحزينة ويردد بهذا صدى التقليد الشرقي الذي يرجع النشيد الى الملائكة عند تنزيل المسيح عن الصليب .

اما لو تساءلنا لماذا جعل النشيد في القداس في الموضع الذي هو فيه الآن لجاءنا الجواب متشعباً لأنه لا يستند الا على شروح مبدئيـــة دون أن ترتكز على الواقع التاريخي الطقسي الذي نجهله .

ونستمدّ الرأي في الأمر مما يرافق هذا النشيد من حركات طقسية ، سجود وتبخير ، تشرح سبب وجوده . وليس بالامكان الآن العودة الى كل المراجع والمصادر لكن بالنتيجة نتبين ما يلي :

ليس هذا النشيد بالأصل ختاماً لصلاة أو افتتاحاً لها ، بل هو بالواقع موضوع هنا ليرافق حركة طقسية معينة هي حركة الدخول الى الهيكل حيث المذبح. وبما ان الهيكل هو موضع حلول الله وهو رمز قدس الاقداس لأن القربان يتقرّب فيه فالنشيد الذي يوافق تمام الموافقة هو نشيد السرافين الموجودين في حضرة الله ، وهو الهتاف الطبيعي لكل نفس خاشعة تدخل قدس الاقداس . ولذلك فالكاهن في القداس البيزنطي يقوم بالمطانيات المتعددة وهو امام المذبح ويبخر على صوت ترنيم «الاغيوس»، كل ذلك في جو خشوع ورهبة . كما وأن التبخيرات بالشكل الذي تصنع فيه في القداس الماروني تدل على تبخير المذبح من جهاته الاربع والدوران حول المذبح بالمبخرة ... كل هذا يجعلنا نظن ان النشيد جعل في رتبة الدخول الى الهيكل نشيد سجود ورهبة .

أما عن نصّ النشيد وإلى من يوجّه الى الثالوث ام الى المسيح وحده، فهناك اختلاف في الآراء .

فالنص اولا عند البيزنطيين والكلدان غير ما هو عند السريان والموارنة . فاذ يقول البيزنطيون والكلدان « قدوس الله ، قدوس القوي ، قدوس يا من لا يموت ، ارحمنا » يقول السريان والموارنة والملكيون الاقدمون في نصوصهم

السريانية[1] : « قدوس انت يا الله ، قدوس انت ايها القوي قدوس انت يا ...
لا يموت ، ارحمنا » . هذا وفي الجواب «ارحمنا » تبديلات متعددة يضيف...
السريان والارمن والاقباط والموارنة في نصوصهم القديمة وهي : « يا ...
صلبت لأجلنا ، ارحمنا » او « يا من ولدت من بنت داود ارحمنا » او « يا ...
قمت من بين الاموات ، ارحمنا » باختلاف الزمن الطقسي .

ويعتبر هؤلاء النشيد موجهاً الى المسيح لا الى الثالوث ويرجعون بقدميته ا...
الجمعة العظيمة بعدما انزل يوسف الرامي جسد الرب عن الصليب فكانت
الملائكة تنشد ويوسف يجيب : يا من صلبت لاجلنا ارحمنا . وقد رأينا ...
التقليد اللاتيني يجاري هذا التيار . اما الموارنة فلا شك انهم كانوا يوجهو...
التقديسات الثلاث هذه للمسيح دون سواه وقد اتهموا بالهرطقة القائلة «بصلب
الثالوث » على يد البيزنطيين اولا ثم على يد اللاتين بسبب اضافتهم « يا من
صلبت لاجلنا ، ارحمنا». واول تهمة نجدها هي التي يوجهها يوحنا الدمشقي ا...
رهبان « بيت مارون » الذين يضيفون «يا من صلبت لاجلنا» . وذات التهم...
يوجهها لهم البطريرك النسطوري تيموتاوس الاول حول السنة ٧٩٠ [٢] . ...
وان النصوص المارونية ذاتها تشهد بذلك وقد قامت قيامة اليانو سنة ٥٧٨
لعثوره على عبارة « يا من صلبت لاجلنا » في مجموعة الكتب الطقسية المارونية
ويشهد البطريرك الدويهي بنفسه ان التقديسات توجه للابن وانه يضاف في
عيد الميلاد « يا من ولدت من بنت داود ، ارحمنا ... » وفي الغطاس« يا من
تعمدت في الاردن ... » وفي القيامة « يا من قمت من بين الاموات ... »
ولا تزال الرعايا المارونية حتى اليوم تنشد في عيد القيامة « ايها المسيح الذي قمت
من بين الاموات ،ارحمنا » جواباً على التقديسات الثلاث رغم التحذير الصادر
عن البطريركية المارونية في بدء القرن العشرين لتوجيه التقديسات الى الثالوث

---

(١) Avant-messe, p .326.

(٢) Item p. 327.

وحذف كل عبارة ما عدا ارحمنا .

اما اليوم فقد سقطت مجمل العبارات الطقسية التي كانت جواباً على التقديسات بسبب الاصلاحات المتعددة في الموضوع منذ اليانو حتى الطبعة الاولى للشحيمة سنة ١٦٢٤ وحتى الاصلاحات القانونية الأخيرة .

هذا لا يمنع وجودنصوص مارونية قديمة قد توجه التقديسات للثالوث[١] .

ب – التبخير

لم يكن المذبح لاصقاً بالحائط كما هو اليوم . بل كان في وسط الهيكل تعلوه قبة ويدار من حوله . ويقول الدويهي في شرح رتبة تكريس المذبح انه يبخر من كل جوانبه ويـدار حوله بالمباخر كما ان الكهنة كانت تحيط بالمذبـح في وقت الرتبة [٢] .

معنى تبخير القرابين اليوم بالشكل الذي تقام فيه : شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً، ثم ادارة المبخرة حول القرابين هو تمثيل للرتبة القديمة لتبخير المذبح عند الدخول من جهات المذبح الاربع ثم دورة مع البخور حول المذبح. وبذلك تتعلق التقديسات الثلاث برتبة الدخول الى الهيكل وقدس الاقداس .

ج – الصلاة من بعد التقديسات

ان هذه الصلاة مارونية صرفة ولا وجود لها في المخطوطات اليعقوبية ، ومن العلامات المميزة بين مخطوط ماروني ويعقوبي هو وجود هذه الصلاة . وتجدر الاشارة الى ان عند الكلدان والبيزنطيين صلاة مماثلة ترافق التقديسات وهي بمثابة صلاة استعدادية للدخول الى الهيكل قدس اقداس الله . هذا مع العلم ان البيزنطيين والكلدان يوجهون التمديسات للثالوث والموارنة للمسيح !

---

(١) Avant-messe, p. 328.

(٢) المنارة ، ١، ص ١٤٠ .

خاتمة الكلام عن القسم الاول من القداس

ان هذا القسم المتشابك الصلوات والحركات في القداس الماروني هو نتيجة تطورات عديدة وعلى مراحل مختلفة من التاريخ ، وقد وقع تحت تأثيرات ناتجة عن ظروف الموارنة التي كانت تنطلق بهم من واد الى واد ومن بلد الى بلد وخاصة على قوة العنصر اليعقوبي الناشر مخطوطاته المتعددة فيما بينهم وقد كان للقرون الوسطى دور هام في تضخم هذا القسم بتجمع صلوات استغفارية ورتب توبة متعددة تحت تأثير الروحانية الرهبانية النسكية في وادي القديسين وغيرها..

اما اساس هذا القسم فهو تهيئة القرابين ودخول الكاهن الى الهيكل للاحتفال بالقداس ، وقد اتخذت رتبة الدخول هذه شكلا بسيطاً بادىء بدء حتى احيطت فيما بعد بهالة من الصلوات الاستغفارية والطلبات والاناشيد وغيرها كما اتخذت رتبة اعداد القرابين مكاناً رسمياً اضيفت اليها فيما بعد رتبة التذكارات على القرابين التي كانت بسيطة ثم تضخمت. كل هذا نبينه في جدول يظهر كيفية تطور هذا القسم منذ القرن الخامس حتى الطبعة الاولى .

نقسم اعمال وصلوات القسم الاول من القداس الى ثمانية وثلاثين قطعة ، ونسعى في اعطاء تاريخ الدخول الى القداس الماروني لكل من هذه القطع :

	بين القرن الخامس والعاشر	بين العاشر والثالث عشر	بين الرابع عشر والخامس عشر	السادس عشر
غسل اليدين				—
الاستعداد للبس		—	—	—
صلاة (اهلنا..)				—
اللبس		—	—	—
اضاءة الانوار				—
رتبة الصعود الى المذبح				—
وضع البخور				—
تهيئة الخبز وتقدمته	—	—	—	—
تهيئة الخمر	—	—	—	—
١٠ تغطية القرابين بالنافور				—
١١ صلاة (اللهم ...)				—
١٢ رتبة الصعود الى المذبح				—
١٣ التبخير : اقبل يا واد				—
١٤ مقدمات الفرض (الاول)				—
١٥ المجد للاب				—
١٦ الطلبات				—
١٧ صلاة البدء				—
١٨ السلام للبيعة				—
١٩ المجد لله				—
٢٠ الفروميون والسدر				—
٢١ اللحن				—
٢٢ العطر				—

	بين القرن الخامس والعاشر	بين العاشر والثالث عشر	بين الرابع عشر والخامس عشر	السادس عشر
٢٣ التذكارات :		—	—	—
ذكر ربنا ...				
٢٤ ايها الثالوث القدوس...			—	—
٢٥ اجعل يا رب ذكرا ...			—	—
٢٦ صلاة استعدادية				—
٢٧ رتبة الصعود الى المذبح			—	—
٢٨ المجد للآب (الفرض الثاني)			—	—
٢٩ الطلبات			—	—
٣٠ صلاة البدء			—	—
٣١ المزمور ٥١		—	—	—
٣٢ الصلاة بعد المزمور		—	—	—
٣٣ التنبيه للشماس :		—	—	—
فلنقف ...				
٣٤ وضع البخور	—	—	—	—
٣٥ الافراميات		—	—	—
٣٦ فلنقف حسناً	—	—	—	—
٣٧ التقديسات الثلاث	—	—	—	—
٣٨ الصلاة بعد التقديسات	—	—	—	—

القِسْمُ الثَاني : التعْليمي

مُقدمات

غايتنا شرح القسم الثاني من القداس الماروني الحالي ، المعروف بالقسم
عليمي . ويطلق عليه هذا اللقب «تعليمي» لأنه يتضمن تلاوة الكتاب المقدس
شرحه ، وذلك لتعليم الشعب . فبينما القسم الثالث من القداس يختص بتقديم
ربان وتقديسه والاشتراك فيه ، وبينما القسم الاول يتوقف على الاستعداد
لتهيئة ، يمتاز القسم الثاني بالاستماع الى كلام الله وتفسيره والتعمق به .
بل ان ندخل مباشرة في شرح هذا القسم ، ينبغي لنا في مقدمة اولى ان نلقي
رة عابرة على ما يقابل هذه الخدمة في اليهودية والاسلام ، ثم في مقدمة
ية ، علينا أن نتعرف على تاريخ القسم التعليمي في الاجيال الاولى للكنيسة .

مقدمة اولى : المقابل للقسم التعليمي في اليهودية والاسلام

أ ــ **اجتماع السبت عند اليهود** : كان لليهود هيكل واحد يقدمون فيه
ذبائح والقرابين وهو في اورشليم . انما كان لهم في كل بلدة او حي مجمع
تمعون فيه كل سبت للصلاة . وتتضمن خدمة السبت صلوات واناشيد ثم

تلاوة الكتاب المقدس وتفسيره . ويقوم بهذه الخدمة قارئون ومرتلون ومعلمون بدون العودة الى الكاهن المختص بخدمة الهيكل . وبدون ان ندخل في تفاصيل اجتماع يوم السبت ، نجد تشابهاً كبيراً بينه وبين القسم التعليمي من القداس الذي يتضمن اناشيد وتراتيل وصلوات وهو مركّز بنوع خاص على تلاوة الكتاب وشرحه . وهو ليس بحاجة الى خدمة كهنوتية صرفة بل يستطيع ان يقوم به القارئون والمعلمون .

ب ــ صلاة الجمعة في الاسلام : يجتمع المسلمون للصلاة كل جمعة ويتضمن هذا الاجتماع صلوات واناشيد ولكنه مركز بنوع خاص على تلاوة الكتاب وعلى الخطبة التي هي تفسير وتعليم كما وانه يقوم بالخدمة مرتلون وقارئون ومعلمون .

هذا وتجدر الاشارة الى أن خدمة الكلمة في الطوائف البروتستانتية، حيث لا يعقبها اوخارستيا ، تشبه الى حدّ بعيد القسم التعليمي وخدمة السبت وصلاة الجمعة .

مقدمة ثالثة : القسم التعليمي في اجيال الكنيسة الاولى

أول من يخبرنا عن القسم التعليمي في القداس هو القديس يوستينوس من منتصف القرن الثاني . ورد عنده ما يلي : « في اليوم المسمّى يوم الشمس (الأحد) يجتمع كل من في المدن والقرى في مكان واحد . يتلى اولا من مذكرات الرسل (الانجيل) ومن كتب الأنبياء قدر ما يسمح الوقت . وعندما ينتهي القارىء ، يلقي المترئس عظة للتحذير والتعليم داعيا الى التشبه بهذه التعاليم الصالحة . وبعد ذلك نقف جميعاً ونصلي معاً بصوت عال ثم ــ كما سبق وقلنا ــ يؤتى في نهاية الصلاة بخبز وماء فيصعّد المترئس الأدعية وصلوات الشكر على قدر ما يستطيع ويجيب

الشعب كله : آمين...» [1]

وفي موضع آخر من كتابه «الدفاع الاول» [2] يذكر يوستينوس ايضاً هذا القسم من القداس من بعد رتبة عماد فيلاحظ أن الخدمة كانت تكتفي آنذاك بما يتلى من الكتاب المقدس استعداداً للعماد ، فتنتقل مباشرة من العماد الى طلبات عامة من اجل النوايا المختلفة ثم الى صلاة الافخارستيا بدون قسم تعليمي خاص بالقداس . نستخلص مما سبق أن القسم التعليمي في منتصف القرن الثاني كان يتألف من الأمور التالية : تلاوة الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد ، عظة ثم ادعية هي طلبات من أجل الجميع .

ولنا شواهد أخرى قيمة في ذات الموضوع وخاصة ما ورد في «المراسيم الرسواية» التي هي مجموعة صلوات طقسية سورية ساحلية من أواخر القرن الرابع :

«من بعد قراءة التوراة والانبياء ، وقراءة رسائلنا (الرسل) والاعمال والأناجيل يقول المترئس : نعمة ربنا يسوع المسيح ... معكم ، ثم يوجه كلام الوعظ للشعب . ومن بعد انتهاء العظة والتعليم ... فليقفوا جميعاً ... صلّوا ايها الموعوظون، ويتخشع كل المؤمنين ويصلّون من أجل الموعوظين والممسوسين والتائبين ... والمؤمنين » [3] .

يتبين أن القسم التعليمي في القرن الرابع لم يكنْ مختلفا عما كان في القرن الثاني إلاّ بطول القراءات والطلبات. وهو لم يزل بمضمونه واحداً : الكتاب المقدس العظة ، الطلبات .

لكنه سيظهر فيه فيما بعد عنصر جديد هو الترتيل والانشاد قبل تلاوة الكتاب أو بين القراءات المختلفة . اذ كان المجتمعون يرتلون بعض فقرات المزامير

---

(١) الدفاع الأول ، ١ ، ٦٧ ،

(٢) الدفاع الأول ، ١ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) الكتاب الثامن المنسوب إلى اقليمس ، ٦ ، ٣ — ٩ .

الموافقة لقراءات اليوم . ونرى فائدة جلّى في ذكر ما جاء في وصف احدى الرتب الكنسية ، عند دخول الاسقف الى الكنيسة ، في نواحي سورية ، في القرن السادس :

«من بعد دخول الاسقف الى الكنيسة يقول الصلاة المترئس بين القسوس ، ثم ينشد المرتلون التقديسات الثلاث وبعد ذلك يتلو الاسقف صلاة القراءات ويجلس في مكانه ، ويجلس الكهنة كل بحسب رتبته فيعلن رئيس الشمامسة قائلا : سمعاً. فيصعد القارىء الى المنبر ويعلن عن اسم كتابه. فيقول رئيس الشمامسة : «فلنصغ» . وفي نهاية القراءة يشير رئيس الشمامسة الى أحد الكهنة الذي يقول وهو جالس : «السلام عليك» ويفعل ذلك لتتلى قراءتان واحدة باليونانية والاخرى بالسريانية . وبعد ذلك يصعد مرتل (الى المنبر) ويقول : «مزمور داود» . فيجيب رئيس الشمامسة : رتّل . فينشد المرتل المقدمة ، ويقول رئيس الشمامسة : فلنرتل ما هو لاحق ، فيجيب عندئذ جوق المرتلين . وبعد ذلك يصعدون لتلاوة قراءتين أخريين ... ويقول «الساهرون» [1] ست فقرات من مزمور «ارحمني يا الله» مع الفقرات اللازمة . وعندئذ يتلو احد الكهنة صلاة ثم يجلسون . ويقرأون حالاً من « الرسول » ثم يرتلون « هللويا » . ويهتف رئيس الشمامسة » رتل » ... ثم « فلنرتل كلنا ما هو لاحق من المزمور » . ويقرأ الانجيل ثم تتلى الطلبات ويحمل رئيس الشمامسة الانجيل الموجود على المذبح ويقول الشماس اليوناني :

«انتم ايها الموعوظون اخرجوا » ... ومن بعده يقول الشماس السرياني : « كل الذين لم يقبلوا ختم المعمودية فليخرجوا .. » . [2]

نستنتج من هذه الرتبة ان القسم التعليمي كان يتألف من العناصر الآتية :

مزامير خلال القراءات ، قراءات ، عظة ، طلبات .

---

(١) « الرهبان » أو « المرتلون » .

(٢) نشرت هذه الرتبة في مجلة الشرق السوري » . Orient Syrien II (1957), pp. 137-184.

القِسمُ التعليمي الحالي

سبق وذكرنا ان القسم التعليمي يبدأ من بعد صلاة التقديسات الثلاث اي بما يعرف « بمزمور التسابيح » ، وينتهي بالطلبات او الكرازة التي تسبق نشيد نقل القرابين ، قبل قانون الايمان . فتكون العناصر التي يتألف منها هذا القسم هي الآتية — :

١ — مزمور التسابيح
٢ — الرسائل
٣ — مقدمات الانجيل
٤ — الانجيل
٥ — العظة والكرازة .

علينا الآن ان نعود إلى كل من هذه العناصر لنشرحها بالتفصيل ونتفهم معانيها .

١ — مزمور التسابيح[١]

يعلن المرتل عن انشاد بعض التراتيم بقوله : « مزمور التسابيح ينشد امام

(١) لا بد من مراجعة ما ورد في الرتبة المذكورة في الصفحة السابقة لتفهم طريقة انشاء هذا المزمور .

ابينا، وبارك يا سيد »، فيجيب الكاهن: انشد لباريك وسبّحه. فينشد الجوق أو الشعب ترنيمة بالسريانية تختلف مع الأيام والمناسبات لكنها في الواقع تنشد هي هي اكثر الاحيان ومعروفة باسم « لَهوْ دَحْزُي ... ». فلماذا يطلق على هذه الترنيمة اسم « مزمور التسابيح » وما هي علاقتها بالمزامير وكيف كانت طريقة انشادها: لا بد لنا هنا من معرفة بعض الامور حول هذه الترنيمة:

أ ـ لكل عيد ومناسبة « مزمور تسابيح ».

ب ـ منها قديمة ومنها حديثة الّفها بعض العارفين باللغة السريانية على شرف قديس أو شفيع حتى في السنوات الأخيرة.

ج ـ تتألف هذه الترنيمة من ثلاثة أبيات: البيت الأول لجوق المرتلين، البيت الثاني للكاهن، والبيت الثالث وهو عام لا يتبدل يعود لجوق المرتلين.

د ـ تتميز بعض الترانيم ـ وهي القديمة منها تاريخيا ـ باعادة بعض فقرات البيت الأول في البيت الثاني كما ورد مثلا في ترنيمة يوم الأحد:

ـ **البيت الاول:** مبارك من عظم بين الأيام،

يوم الاحد العظيم،

به تفرح السماء والأرض،

والملائكة والبشر.

ـ **البيت الثاني:** من رؤوس الجبال فليهتفوا،

ليوم الاحد العظيم،

وليرتل التسبيح للرب،

الملائكة والبشر.

ه ـ ان وزن الترنيمة الموجودة حاليا في القداس هو افرامي أي مقسوم إلى سبعة مقاطع بينما تتضمن سائر الرتب المارونية المرتبة على نسق هذا

القسم من التقداس « مزامير تسابيح » على أوزان مختلفة منها أربعة مقاطع ومنها خمسة .

و ــ هذا النوع من مزامير التسابيح هو حاليا خاص بالموارنة في مختلف الكنائس السريانية ، وهو اليوم من العلامات المميزة للطقس الماروني . كل هذا يدفعنا إلى كشف غوامض هذه الترنيمة بالعودة إلى تاريخ نشأتها وتطورها .

مزمور التسابيح بين القرن الثامن والثالث عشر

من يرجع إلى مجموعة التراتيم السريانية القديمة يتبين له ما يلي :

أ ــ ان هذه الانشودة كانت مشتركة بين الموارنة والسريان المعروفين باليعاقبة . والدلالة على ذلك انها وردت في مجموعة من القرن الثامن محفوظة في المتحف البريطاني [١] ووارد فيها مراراً اسم البطريرك ساويرا اليعقوبي .

ب ــ من هذه المجموعة يظهر أن الترنيمة كانت تتألف من لازمة ومن آيات أو فقرات . اللازمة هي عادة من وضع الكنيسة وهي تناسب العيد التي تنشد فيه ، والآيات أو الفقرات متخذة من مزمور مناسب . جاء في هذه المجموعة أمثال كثيرة منها :

اللازمة :	فليتقرب القرابين لمن في النور	الكهنة الأطهار تدور مركبته
الآية (الفتغام) :	سبحوا الرب في قدسه سبحوا في عزته سبحوا في قوته	

(١) Add. 17.207.

من في النور تدور مركبته

ثم مثل ثان :

اللازمة : ها هي الكتب المقدسة ، كل يوم ، تدعونا إلى التوبة .

الآية : النور الذي ظهر للصديقين وللمستقيمي القلوب ، يسوع المسيح ربنا ، يدعونا إلى التوبة.

نستنتج من المثلين السابقين ان « الآية » تتألف من فقرة أو فقرات من مزمور أو نشيد من الكتاب المقدس ملحق بالمزامير وانها تنتهي دائماً بعود إلى اللازمة . وهذا يوصلنا إلى طريقة الانشاد . كان المرتل يعلن عن انشاد فقرات المزامير الموافقة ثم يرتل لازمة مناسبة يرددها الجوق أو الشعب من بعده . وعندما كان ينتهي من انشاد فقرات المزمور ، كان الجوق أو الشعب يعود إلى انشاد اللازمة . وهذه الطريقة هي سهلة للانشاد ومألوفة في الأناشيد الشعبية .

وقد تطورت هذه الترنيمة فيما بعد ، ونجد أثراً لهذا التطور في مجموعة ألحان مارونية من القرن الثالث عشر محفوظة أيضاً في المتحف البريطاني [1] . مثلا على ذلك في ترنيمة عن البشارة :

اللازمة — — كل الامم
— يؤدون لك الطوبى
— قال الملاك
— لمريم بنت داود

الآية (الفتغام) — اسمعي يا ابنتي واصغي
— قال الملاك
— وانسي شعبك وبيت أبيك

(١) قبل سنة ١٢٣٩ ، ورد اسم الشماس يوحنا من يانوح . Add. 17.235.

— يا مريم بنت داود

أصبحت الترنيمة تتألف من بيتين ، كل بيت أربعة أشطر وأصبحت اللازمة تتألف من أربعة أشطر ، اثنان منها تعادان في البيت الثاني . أما البيت الثاني فيتألف من أربعة أشطر ، اثنان منها من المزامير ، واثنان يعيدان ما جاء في اللازمة .

الوضع الحاضر لمزمور التسابيح

ان الطريقة الفنية التي كانت تنظم فيها هذه التسبحة قد فقدت مع الأيام ، وصارت فيما بعد ترنيمة بسيطة تتألف من بيتين مختلفين وبيت ثالث عام . البيت الأول للجوق ، والبيت الثاني للكاهن ، والبيت الثالث للجميع . وقد فقدت طريقة اعادة اللازمة في البيت الثاني . ولذلك فمزامير التسابيح المحفوظة عندنا اليوم على نوعين منها قديم محافظ على الصناعة المذكورة ، (كما في مزمور التسابيح للأحد) ، ومنها حديث كما هو في مزمور التسابيح الشائع .

النتيجة من كل هذا هو أن الطقس الماروني الحالي قد حافظ — من دون أن يعلم — على الطريقة القديمة التي كانت تنشد فيها بعض فقرات المزامير قبل القراءات أو بينها . وأنه أدخل إلى انشاد المزامير لازمة كانت توافق العيد أو المناسبة ، وهي من وضع الكنيسة غايتها تعليم الشعب بالانشاد عن معنى العيد الأساسي والديني . ففي اصلاحنا الطقسي للترانيم علينا أن نستفيد من تاريخ التطور هذا كي لا ننقل الأمور بترجمة حرفية بل كي نستعيد الأسلوب لوضع ترانيم جديدة بالعربية مقتبسة من الطريقة الشعبية التي دفعت إلى وضع مثل هذه الترانيم .

٢ — الرسائل

يتفرد القداس الماروني بقراءة بولس الرسول دون سواه من كتب العهد

القديم أو الجديد . وان هذه القراءة غالباً ما تكون صعبة الفهم على الكثير من السامعين . فماذا نعرف حول قضية « الرسائل » في القداس الحالي ؟

أول ما يستلفت الأنظار جواب الكاهن للقارىء الذي يتلو مقدمة الرسائل . فمن بعد أن يعلن عن القراءة يباركه الكاهن قائلاً : « المجد لرب بولس والأنبياء والرسل ولتكن مراحم الله على القارئين والسامعين ... »

نعجب من جواب الكاهن لأمرين هما : ذكر الأنبياء والرسل ثم لفظة « القارئين » . فهل هناك أكثر من قارىء ؟ ان كان الأمر كذلك فمعناه أنه هناك أكثر من كتاب يقرأ ، وعنده نفهم ذكر « الأنبياء والرسل » . والغريب في تاريخ الطقوس هو أن يكون الموارنة وحدهم قد اقتصروا على قراءة بولس ، مع العلم ان السريان الانطاكيين يتلون ست قراءات في القداس ، ثلاثاً من العهد القديم وثلاثاً من العهد الجديد ، والطقوس الكلدانية تكتفي بأربع ، اثنتان من القديم واثنتان من الجديد . ومع العلم أيضاً أن كتاب القراءات الماروني المعروف بالقراءات المختارة « ريش قريان » [1] يتضمن خمس قراءات ما عدا الانجيل ، وهي التي تتلى اليوم مساء الآحاد والأعياد !

كل هذه المعطيات تدعونا إلى الاستنتاج بأن الموارنة ، مثل سائر الطوائف ، كان لهم قراءات متعددة في القداس ، منها من « الأنبياء » ومنها من « الرسل » . وان مجموعة « قارئين » كانت تتناوب على القراءة ولا يزال جواب الكاهن اليوم صدى لما كان قديما . أما كيف اقتصر على قراءة بولس دون سواه ، فذلك اتباعا لقاعدة الأسهل ، اذ كانت قراءة بولس آخر قراءة قبل الأنجيل فحذف ما سبق وبقيت القراءة الأخيرة .

وقد بحثنا طويلاً في المخطوطات المارونية للقراءات لنتثبت من هذا الاستنتاج فاتضح لنا أمران :

---

(١) الأساس على ما يظن هو « فريش قريان » من « فرش » اختار ، كما ورد في المخطوطات القديمة .

ا ــ ان مخطوطات العهد القديم بالسريانية عند الموارنة مفقودة ! فاننا رغم جهودنا لم نعثر على مخطوط واحد ماروني للعهد القديم .

ب ــ جاء في بعض مخطوطات القداس ذكر لقراءة « أعمال الرسل » [1] عند قراءة الرسائل . كما جاء أيضاً في بعض مخطوطات العهد الجديد ذكر قراءة « الاعمـــال » في قداس خميس الأسرار [2] وفي بعض المخطوطـــات المتأثرة باليعقوبية ذكر لقراءة رسائل بطرس ويعقوب [3] .

كتاب الرسائل الحالي

ان الكتاب الحالي في اختيار قراءاته هو حديث جداً بالنسبة للطقس الماروني . هو من عمل المطران جرمانوس فرحات في بدء القرن الثامن عشر . وقد طبع للمرّة الأولى في قزحيا سنة ١٨١٦ . أما فيما سبق ذلك فقد كان القارىء يأخذ قراءته من مجموعة رسائل بولس أو من « القراءات المختارة » (ريش قريان) . وفي الطبعة الثانية لكتاب القداس التي صدرت في روما سنة ١٧١٦ ألحق بها سبع قراءات من بولس لأيام الأسبوع السبعة . لكن التقسيم على السنة نفسها جاء على مراحل . المرحلة الأولى كانت اختيار قراءات الاعيـــاد والآحاد بحسب الدورة الطقسية ، وقد جاء ذكر هذه القراءات في « ريش قريان » وفي مجموعة رسائل بولس . ثم إختيار قراءة لكل يوم وهو شيء حديث نسبياً قام به المطران فرحات اذ جعل لكل يوم قراءة وكانت عادة القداس اليومي قد عمّت انذاك .

والمطران فرحات نفسه هو الذي ترجم النص الحالي من السريانية إلى العربية ، من بعد أن قام باصلاح اللغة العربية لترجمة مرهج الباني التي ظهرت في روما سنة ١٧٠٣ .

---

(١) المخطوط الفاتيكاني السرياني ٣٢ ، السادس عشر ، على الهامش .

(٢) مكتبة دير مار ضومط فيطرون ، رقم ٤٥٧ .

(٣) مكتبة البطريركية المارونية في الديمان ٧ ، وفي بكركي ١٥٣ .

يتبين اليوم أن فرحات اختار رسائله بحسب عيد القديس اليومي دون العودة إلى السنة الطقسية كما وأنه لم يوفّق أحيانا باقتطاع النص المختار من نصّ الرسالة العام وقد قاده في ذلك وجود عبارة أو لفظة تعطي معنى عيد القديس المذكور .

أما تأدية المعنى حقه ، فمن المعروف ان فرحات لم يكن ليستطيع أن يقوم بأحسن ما قام به في أيامه ومن الضروري اختيار ترجمة عصرية مفهومة .

أعيد طبع كتاب الرسائل بالحرف الكرشوني مرات عديدة . وقد أعاد النظر بالترجمة المطران الدبس . وقد طبعت الرسائل للمرة الأولى بالحرف العربي سنة ١٨٩٧ رغم أن السلطة العليا لم تشجع أبداً على طبع الكتب الطقسية بالحرف العربي اتباعاً لقوانين المجامع المارونية (١) . ولكن الباب انفتح منذ ذلك التاريخ وتواردت الطبعات بالحرف العربي على أيدي أصحاب المكتبات التجارية مثل يوسف صادر ويوسف صفير وغيرهم ...

بالنتيجة تبقى رسائل بولس صعبة بحدّ ذاتها، صعبة في اختيار نصوصها وفي ترجمتها ثم صعبة في فهمها، وتزيد صعوبة اذا ما تليت على يد التلامذة الصغار ضد التقليد القديم الذي كان يترك قراءة بولس للشماس أو لكبير القوم في الكنيسة .

٣ – مقدمات الانجيل

قبل أن نعالج مسألة نص الانجيل وكيفية تلاوته في القداس الماروني ، علينا أولاً أن ننظر في كافة المقدمات التي تسبق قراءة الانجيل ، وهي :

ا – الهلاّل

ب – وضع البخور

(١) مجمع سنة ١٨٥٥ قانون ١٤ ، سنة ١٨٥٦ قانون ١٣ .

ج – اعلان أول

د – بركة على القارئين والسامعين

ه – اعلان ثان .

أ – الهلاّل

من بعد قراءة الرسائل يهتف المرتل : «تهليل داود ينشد أمام أبينا ، وبارك يا سيد » ويعني بذلك أنه يعلن انشاد الهلاّل المناسب للعيد . ويتألف الهلال من فقرة أو فقرتين من المزمور يرتل قبلها وبعدها « هللويا » . واذ يجيب الكاهن بعبارة تنم عن الرضى المشمول بالبركة ينشد الشعب هللويا مرتين ، فينشد المرتل الهلاّل ويختمه بهللويا .

أما الهلاّل الحالي فهو هو لا يتغير : « اذبحو للرب ذبائح المجد ... » وهو اليوم على فم الكاهن بينما كان بالأساس على فم المرتل . ولا تزال الرتب الخارجة عن القداس تنوّع الهلال بحسب الرتبة وتضعه على فم المرتل أو المرتلين !

ويعرف هذا الهلاّل بالفتغام نقلا عن السريانية المنقولة بدورها عن الفارسية وتعني « الاية » المزمورية . ويشير القداس اللاتيني إلى الهلال كأنه نشيد « على درج » منبر القراءة اذ كان المرتل ينشد آية المزمور وهو على درج المنبر قبل أن يتلو الشماس الانجيل من على منبر القراءة [١] .

أما عن كل ما يحيط بقراءة الانجيل من زياحات وتراتيل وبخور فمن

---

(١) Graduale.

الضروري أن نعرف العادة القديمة التي يتكلم عنها الدويهي في منارة الاقداس ا
يقول :

« بعد تلحين التقديسات الثلاث ، يخرج رئيس الشمامسة من الخزان
وعلى صدره كتاب الانجيل ، ويتقدمه الشمامسة بالمنائر وهم يرتلون المزمور
والكهنة بالمباخر وهم يلوّحون بالمراوح ، فيخرجون من الباب الشمالي
ويدخلون من الباب الملوكي ... وبعد قراءة الرسائل ، يتقدم رئيس الشمامسة
فيقبل يد الرأس قائلاً : تهليل داود ... فيباركه قائلا : قبل الله تهليلك ...
وبعد أن يرتل الشمامسة التهليل والكهنة الفتغام، يسير به إلى المنبر ومعه اثنان من
الابوذياقونية » ثم، يحمل رئيس الشمامسة الانجيل إلى المنبر والرأس يبارك
ورئيس الشمامسة يقرأ الانجيل « بصوت عال ونغمة لذيذة ونطق منتظم
ويختمه بكلمة بارك يا سيد » [١] .

لا شك أن الدويهي يتكلم عن عادة جارية في أيامه ولكنه بالوقت نفسه ينقل عادة قديمة جداً تعود إلى ما قبل تطور القسم الأول من القداس بشكله الحالي. وربما يعود ذلك إلى حوالي القرن العاشر عندما كان دخول الاكليروس إلى الهيكل لاقامة القداس عند انشاد التقديسات الثلاث. وبدخول الاكليروس كان رئيس الشمامسة يحمل كتاب الانجيل على صدره كما في زياحات الدخول الاحتفالية . أما دورة الانجيل في وسط الشعب من قبل تلاوته فهي عادة قديمة أيضاً اذ كان القارىء يدور بالانجيل بزياح من الخزانة إلى وسط الشعب . وقد بقي من هذه العادة اليوم تقديم الأطفال لمباركتهم بالانجيل عند تلاوته من على المذبح ، وكانت الأمهات قديماً تحمل أطفالها في دورة الانجيل في الكنيسة ليوضع الانجيل رسم المسيح على رؤوسهم ، كما كان المسيح يضع يده على الأطفال ليباركهم .

---

(١) المنارة ١ ص ٥٤٠

ب ـ وضع البخور

يتضمن كتاب القداس الحالي مجموعة من الصلوات والأعمال الطقسية المتعلقة بالبخور قبل قراءة الأنجيل . ورغم أن العادة قد أسقطت عمليا مجمل الصلوات التابعة لرتبة البخور باسقاط البخور نفسه ، فلا يزال الخادم يعلن صارخا : « أمام بشارة مخلصنا ... فليتقدم البخور ! ولمراحمك يا رب نصلي » . كما ان الكاهن لا يزال يبدأ برتبة البخور قائلا ثلاث مرات كيرياليسون ثم يسقط الصلوات لينتقل إلى القاء السلام على الشعب واعلان الانجيل .

فلنرجع أولا إلى الصلوات المذكورة في كتاب القداس الحالي ثم ننتقل إلى معنى البخور في هذا الموضع بالذات .

من بعد أن يعلن الخادم : « أمام بشارة مخلصنا ...فليتقدم البخور وللرب نصلي » ! تقول الروبريكة : « يضع الكاهن بخوراً دون أن يبخر (كذا في المنارة والعادة الآن اهمال ذلك) ويقول : كيرياليسون ، كيرياليسون ، كيرياليسون » .

اننا نستغرب أولاً ورود عبارة كيرياليسون المثلثة على فم الكاهن . فهي بالواقع للشعب وليست للكاهن وهي جواب على طلبة أو تضرع أو استرحام يرددها الشعب في جو استغفار وتوبة . من المحتمل أن هذا الهتاف كان بالأساس جواباً طبيعيا على فم الشعب على اعلان الشماس : «فليتقدم البخور وللرب نصلي»! فيضع الكاهن البخور ويهتف الشعب : كيرياليسون يا رب ارحم كيرياليسون . وكان الكاهن هو البادىء بهذه الصرخة عندما يبدأ بوضع البخور . وكانت صلوات وضع البخور تتبع فيما بعد .

أما اليوم فقد أصبح الكاهن يهتف كيرياليسون ثلاث مرات ثم يسقط صلوات البخور ليبدأ مباشرة بالسلام على الشعب معلنا الأنجيل . وفي العودة إلى صلوات البخور التي سقطت فائدة كبرى لاتضاح هذه الرتبة .

تقسم الصلوات إلى ما هو للكاهن ، وما هو للشعب ، وما هو للخادم .

ك : « يسجد له ويسبح ويمدح ويعظم ويتعالى ويتبارك الاسم المسجو
والمسبح الآب والابن وروح القدس الحي .

ش : المجد للاب والابن والروح القدس .

ك : قوة واحدة سلطان واحد ، ارادة واحدة ، إله واحد حقيقي مبار
ومتعال لا انقسام فيه ، له المجد وعلينا المراحم في كل زمان إلى الأبد .

ش : امين .

ك : أيها الرب الاله الضابط الكل ومدبر الكل بحسب مشيئته الالهـ
كل شيء تحت سلطانك . هبنا أيها الرب الاله مغفرة الخطايا وغفران الذنوب

ش : هبنا يا رب .

ك : وامنع منا الحسد والرياء وقدسنا بروحك القدوس لنكون سامعير
وفاعلين انجيل مسيحك الذي به ومعه يليق لك المجد والتعظيم على عطر هذ
البخور الذي نقرّبه قبل قراءة بشارتك الخلاصية لنا ، يا ربنا والهنا لك المجا
إلى الأبد .

خ : تقدموا يا اخوة ! اصغوا واسمعوا بشارة مخلصنا من الانجيل المقدس
الذي يقرأ علينا .

ك : السلام لجميعكم .

ش : ومع روحك .

ك : من انجيل ربنا يسوع المسيح ... »

يُستدل مما سبق أن هذه الرتبة بصلواتها وبخورها انما هي استعداديـ
لقراءةالانجيل وسماعه وهي بمعناها هذا مألوفة في سائر طقوس الكنيسة التي
تركز أهمية كبيرة على قراءة الانجيل المقدس .

وتجدر الاشارة إلى أن وضع البخور قبل قراءة الانجيل انما يتسم بطابعين

طابع الاستغفار اذ يهيء الشعب لسماع الكلمة، وطابع الاحترام اذ يقدم البخور تكريماً للانجيل . وقد جرت العادة في الطقسين السرياني والكلداني بأن يبخر الانجيل طوال القراءة دلالة على تكريمه .

أما إذا رجعنا إلى الصلوات المارونية التي سقطت مع الرتبة فنجد أن لها طابعاً قديماً جداً ، فالمجدلة الاولى متسمة بوسم أرامي يهودي لترداد مرادفات لتبجيل للاسم العظيم . كما وان الصلاة الاستعدادية : « أيها الرب الاله الضابط الكل ... » انما هي صلاة قديمة نجدها في المخطوطات السريانية العائدة إلى القرن العاشر وقد جاءت بعنوان « صلاة ما قبل الانجيل »[١] أو « عندما يخرج الانجيل[٢] » .

ويساعدنا هذا العنوان الأخير على أن نرى في البخور المتقدم سابقاً بخوراً يرافق زياح الانجيل إلى منبر القراءة فيضاف بذلك إلى بخور الاستغفار والتكريم بخور الزياح الذي هو أيضاً للتكريم والاحترام وهو يضفي على الرتبة الطقسية شيئاً من الوقار والاحتفال .

ج – الاعلان عن الانجيل

يعلن القارىء عن الانجيل بقوله: « من انجيل ربنا ... كرازة القديس فلان ... فلنصغ » . فيجيب الشماس مكرراً الدعوة إلى الاصغاء : اصغوا أيها السامعون ! ...

فيقول الكاهن مقدمة الانجيل الأولى معلنا أن الكلام هو للمسيح نفسه: «في زمن تدبير ربنا ... قال لتلاميذه وللجموع»: وبينما تكون كل الآذان متنبّهة لسماع الانجيل اذا بنا نفاجىء بهتاف شعبي غير منتظر : « باركنا يا

---

(١) (العاشر) .B.M. Add. 14.493

(٢) (التاسع – العاشر) . .B.M. Add. 14.494

أبانا » ، فلا يسع « الاب » عندئذ إلاّ أن يسبغ على الجميع بركة مطوّلة تشمل القارئين والسامعين والأحياء والأموات ...

ويعود الكاهن(القارىء)من بعد ذلك فيعلن ثانية عن الانجيل في مقدمة تضع الكلام على فم الانجيلي : «في زمن تدبير ربنا ... اليكم ما جرى» :

ونفاجىء مرّة ثانية بهتاف الشعب : ارحمنا يا رب ،فيعود الكاهن ويسأل الله أن يرحم كل أبناء المعمودية ، ثم يقرأ الانجيل .

بعد الاعلانات المتكررة والبركات نتساءل كيف كان ذلك بالأصل وكيف تطور !

كان قارىء الانجيل وبالأساس الكاهن أو رئيس الشمامسة يعلن أولاً عن قراءة الانجيل منبهاً الشعب إلى الاصغاء فيكرر الشماس التنبيه زيادة في الحكمة كي يخشع الجميع عند تلاوة الانجيل . فيقول الكاهن عندئذ احدى المقدمتين اللتين تعلنان عن نصّ الانجيل اذا ما كان من كلام المسيح المباشر او عما جرى في أيام المسيح ثم يتلو الانجيل .

وقد دخل على هذا النظام المنطقي طلب البركة من « الاب » . وهنا نظن أن الأمر جرى على ما يلي : كان القارىء ، الكاهن أو رئيس الشمامسة ، يستأذن من المطران الحاضر قبل قراءة الانجيل مباشرة فيقول : بارك يا سيد ويبدأ بالانجيل . ولا تزال هذه العادة متبعة اليوم اذا ما تلى الانجيل كاهن أو شماس بحضور المطران . فيباركه المطران بحركة باليد . وقد تطورت هذه البركة على القارىء حتى أصبحت تشمل الجميع « القارئين والسامعين ... والأحياء والأموات »، كما هي اليوم . ولا نظن أن هذه البركة قديمة العهد جداً اذ هي غير مذكورة في أقدم مخطوطات القداس ، من سنة ١٤٥٤ ومن نهاية القرن الخامس عشر [١] .

---

(١) باريس ٧١ ، الفاتيكان ٣٢ .

وقد جرى التطور بادخال البركة عندما تبدل طلب القارىء للبركة بطلب الشعب وعندما بدّل الاسقف معنى البركة من موافقة على القراءة إلى بركة حبريّة رسولية شاملة .

أما طلب الرحمة والبركة القصيرة التي تتبع الاعلان الثاني وتختم باشارة الصليب فهي أيضاً ردّ شرقي على القول « ارحمنا يا رب » فيجيب باللفظ والمعنى « ليرحمنا الرب واياكم وأبناء المعمودية باسم الاب والابن والروح القدس » ، والحالة اليوم هي أن خاتمة البركة هذه تحورّت إلى اشارة صليب تصنع قبل قراءة الانجيل تشبها بالصليب المختصر الذي يصنعه الكاهن اللاتيني قبل قراءة الانجيل أيضاً .

٤ ـ الانجيل

يقول الدويهي : « يتلى الانجيل بنغمة لذيذة » ومعنى ذلك أن الكاهن كان يرتل الانجيل بتلاوة بطيئة منغّمة . ولا تزال القاعدة متبعة في القداديس الاحتفالية حيث ينغّم الانجيل بالسريانية ثم يقال فيما بعد في الترجمة العربية . وكانت الترجمة العربية تتلى بكل بساطة وبدون تلحين لأنها تتبع النص السرياني الملحّن . أما اليوم وقد سقط النص السرياني فقد سقط معه التنغيم وأصبحنا نكتفي بالقراءة السريعة ، وهذا ضد كل تقليد شرقي وغربي ، مسيحي وغير مسيحي في تلاوة الكتب المقدسة اذ القاعدة هي أن ينغمها الملحّن حتى تدخل في فكر السامع وذهنه وقلبه فيتشبع منها وكأنه يتأمل فيها تأملاً طويلاً .

نصّ الانجيل

تستند الكنيسة المارونية على نص الانجيل السرياني المعروف بالبسيطة وقد جاءت أكثر المخطوطات المارونية وأقدمها بهذا النص ، رغم أن بعض مخطوطات القداس المتأثرة بالمخطوطات اليعقوبية قد أعطت الترجمة الحرقلية

بدل البسيطة [1] .

كانت نصوص الانجيل الطقسية تؤلف كتاباً خاصاً مستقلا عن كتا
القداس . وكانت أكثر الاحيان وفي أقدم الأمثلة معيّنة في كتاب الانجي
نفسه اما في قلب النص واما في فهرس في بدء الكتاب .

وقد أصبحت كتب القداس فيما بعد تضم بعض النصوص المختار
للأعياد المهمة وتطورت هذه المختارات على حقبات متعددة حتى أصبح
على ما هي اليوم .

فالطبعة الاولى للقداس الماروني سنة ١٥٩٤ كانت تضم ثلاثين قرا
لأهم الأعياد والآحاد . وضمت الطبعة الثانية (١٧١٦) ١٠٣ قراءات
وكذلك الثالثة . أما الطبعة الرابعة التي أعدت في قزحيا سنة ١٨١٦ فقد ألحق
بها قراءات لكل يوم وعلى مدار السنة ، وقد اتخذت هذه القراءات من التقس
الذي قام به المطران جرمانوس فرحات في بدء القرن الثامن عشر ، والمطر
فرحات من أئمة الرهبانية التي طبع الكتاب في مطبعتها .

ولا تزال هذه القراءات التي اختارها فرحات وطبعت في قزحيا س
١٨١٦ قائمة حتى اليوم. شذب اللغة العربية وأصلحها المطران الدبس في الطبعا
الأخيرة ، وقد اختيرت لأيام الاسبوع بحسب عيد قديس اليوم ، كما كا
للرسائل .

٥ ــ العظة ، الكرازة

ليست الغاية عرض وشرح كل ما ورد بعد الانجيل ، ولكننا نتوقف ع
ما هو ضمن القسم الثاني من القداس ، أي القسم التعليمي ، قبل أن ننتقل إ
القسم الثالث الذي هو القرباني .

---

(١) بكركي ١١٥ (السنة ١٥٠٧) ، ١١٨ (السادس عشر) .

وليست الغاية أيضاً أن نتوقف بالتفصيل على كل ما ورد في التاريخ أو في الطقوس عن ما يلي الانجيل ويلحق بالقسم التعليمي ، بل هدفنا أن نشرح ما جاء في الكتاب الحالي وهو الآتي :

أ — « يقول الخادم : فشيطا (الكرازة) .

ب — الكاهن : صلاة : « للمسيح يسوع التسابيح ... »

ج — الخادم : اذهبوا بسلام.

— الكاهن : نشيد : قال سيدنا اني أنا الخبز المحيي ...

وبما أن هذا النشيد يتعلق بالقرابين كما سنرى فاننا نكتفي بشرح ما يسبق هذا النشيد .

أ — الكرازة

« يقول الخادم : فشيطا» اي البسيط . إن العبارة غير مفهومة لأنها نقل غالط عن عبارة بالسريانية كانت ما يلي : « يكرز الشماس البسيطة (فشيتطا») أي « الكرازة البسيطة » . وجاءت هذه العبارة في الطبعات الأولى « يقول الخادم البسيطة » أي الكرازة البسيطة وتبدلت لفظة فشيتطا بلفظة فشيطا (بسقوط التاء) في طبعة الدبس الأخيرة سنة ١٩٠٨ وفقدت بذلك معناها . أما ماذا نعني بالكرازة البسيطة فهذا يتطلب العودة إلى الرتب المارونية . ففي هذه الرتب كافة ، كما في سائر رتب الكنيسة القديمة ، مجموعة من الطلبات تتلى من بعد تلاوة الانجيل وشرحه أي من بعد العظة ويطلق عليها مختلف اسماء منها : الصلاة العامة ، الطلبات ، الكرازة الخ ... وتتكون هذه الكرازة من طلبات متعددة يقولها الشماس ويجيب عليها الشعب بيا رب ارحم أو استجب يا رب الخ ...

وقد وردت هذه الطلبات في أقدم قداس معروف في القرن الثاني الا وهو القداس الموصوف عند يوستينوس . وقد ترجع هذه الطلبات إلى التقليد

اليهودي في ترديد بعض تضرعات وصلوات من أجل نوايا متعددة من بعد تلاوة الكتاب والقاء الخطبة ، وكان المترئس أو الامام يردد هذه الطلبات ويجيب عليها الشعب : أمين . وهذا ما هو معروف في سائر الطقوس الشرقية والغربية من المراسيم الرسولية إلى القداس البيزنطي الحالي إلى القداس اللاتيني الذي أعاد إلى « الصلاة العامة » مقامها الأول . وكانت هذه الطلبات تقسم بالأساس إلى قسمين : القسم الأول على نية الموعوظين والتائبين ، والقسم الثاني على نية المؤمنين الذين سيشتركون في القربان ، وكان الشماس يأمر الموعوظين بالخروج من بعد الصلاة من أجلهم ومنحهم البركة على يد الكاهن ، ثم يتابع الطلبة من أجل المؤمنين .

أما كتاب خدمة القداس الماروني وخدمة سائر الرتب فانها تتضمن ثلاث كرازات متبدلة بحسب الأعياد أولاها هذه وثانيها في بدء النافور وثالثها عند كسر القربان قبل الصلاة الربية . وتدعى الأولى « البسيطة » والثانية « الوسطانية » والثالثة « البروديقي » . وقد وردت هذه الكرازة البسيطة في أقدم الرتب المارونية في قالب النثر لكنها جاءت في خدمة القداس موضوعة في قالب الشعر الافرامي . والأمثال على هذه الكرازة في النثر كثيرة جداً نذكر منها ما ورد في السيامات وفي رتب التقديس . ونعطي عن هذه الكرازة مثلاً في النثر ومثلاً في النغم البسيط ، ومثلاً في النغم الافرامي :

– **النثر** ، جاءت في خدمـــة القداس المخطوطة المحفوظة في الفاتيكان رقم ٤٤٢ للأعياد السيدية :

« من أجل ابائنا ورؤساء الآباء البطاركة والمطارين والأساقفة والخوارنة والبرادطة والقسوس والشمامسة والمرتلين ، والشدائقة والقارئين ، مع كل طغمات الاكليروس في البيعة المقدسة، وليكن ذكر خاص معهم لمار فلان ومار فلان ... فلتكثر سنوهم ، ولتخلص رعاياهم من الغضب بصلواتهم ، اننا نطلب منك أيها الرب الاله فاستجب لنا ».

– **النغم البسيط** : المثل الثاني عن الكرازة بالنغم البسيط نجده في عدد كبير من الرتب وهي التي تبدأ بالقول :

« أيها المسيح إله جميعنا ... » وترتل بنغم بسيط مستطيل وربما أطلق عليها لذلك اسم « البسيطة »،وهي تتألف من طلبات متعددة تبدأ جميعها بالعبارة المذكورة آنفا وتنتهي بالقول : اننا نطلب أيها الرب الهنا ، فاستجب لنا .

– **النغم الافرامي** : وهو النغم المعروف حالياً لكرازة القداس بالسريانية أولاً ثم بالعربية . ولا تزال خدمة القداس تعطي لكل عيد كرازة بالسريانية والعربية ما عدا الخدم المؤلفة حديثاً وقد وضعت فقط بالعربية . أما الطلبة الشائعة بالنغم الافرامي فهي التي ترتل حاليا :

« فلنقف كلنا مصلين ولله الرحوم مبتهلين ... » وهي تنشد بحسب التقطيع الشعري على السبعة مقاطع .

أما تقسيم هذه الكرازة فهو ان الطلبة الأولى عامة أي تقال في كل الطلبات « فلنقف كلنا مصلين ... » وهي دعوة للوقوف حسنا للصلاة من بعد العظة ، ثم يتلوها طلبات أخر متبدلة بحسب الأعياد .

ب – صلاة

كل كرازة تنتهي بصلاة يقولها الكاهن تكون بمثابة خاتمة للطلبات . وان الصلاة الحالية في القداس هي صلاة عامة لختام الطلبات . وقد وردت أيضاً في خاتمة الطلبات الموجودة في رتبة تقديس الماء والمتألفة من عدة صفحات والمحفوظة في المخطوط رقم ٩٤ من المكتبة البطريركية في بكركي من السنة ١٤١١ وهي التي تبدأ بهذه الكلمات : « للمسيح يسوع التسابيح والبركات ... »

ج – اذهبوا بسلام

لا يورد كتاب القداس إلا بدء اعلان خاص بالشماس لا يزال محفوظاً في

خدمة القداس القديمة وموجّهاً إلى « السامعين » . والنص هو الآتي : « اذهبوا بسلام أيها السامعون ، أيها السامعون اذهبوا بسلام . اقتربوا أيها الموسومون للسلام ... اغلقوا الأبواب » . أما السامعون هنا فهي الفئة التي كانت تكتفي بسماع الكتاب المقدس والوعظ ولا يحق لها الاشتراك في القربان وهي تشمل الموعوظين والتائبين على أنواعهم .

بهذا النداء يختم القسم التعليمي الذي عرف أيضا تحت اسم « قداس الموعوظين » ومن بعده مباشرة يبدأ القسم القرباني .

القِسْمُ الثالِث : القربَاني

القسم القرباني

بعد ان شرحنا القسم المتعلّق بالاستعداد والقسم المختص بكلام الله ، علينا الآن ان نتوقف على القسم الأخير والاهم من القداس الا وهو القسم القرباني او النافور . ولفظة « نافور » يونانية تعني « القربان » او « التقدمة » .

يتضمن هذا القسم في جوهره تقديس القربان وتناوله . لكنه لا يزال يتضمن أيضاً مقدمات لهذا القسم الجوهري ، هي بمثابة استعداد مباشر له . ولذلك فقد اختلف العارفون في مفهوم كلمة « نافور ». فمنهم من اطلقها على القسم القرباني بكامله ، ومنهم من حصرها بقلب هذا القسم وجوهره . وتختلف الطقوس ذاتها بمفهوم النافور ، فمنها ما تبدأ به من بعد اخراج الموعوظين ، ومنها ما تحصره فقط بالصلاة القربانية الجوهرية ، ونجد تناقضاً في بعض الاحيان في الطقس الواحد كما يحصل لنافور « شرر » الماروني اذ يختلف بدء النافور باختلاف المخطوطات ، فمنها ما تبدأ به بعد اخراج الموعوظين وقبل نشيد « نقل القرابين » ، ومنها ما تبقيه الى ما بعد قانون الايمان ، الى الصلاة التي اولها «شرر» . هذا وتعود كل المخطوطات فتتفق على ان لنافور شرر بداية ثانية وبعنوان ثان : قبل مقدمة قدوس .

النتيجة من كل هذا ، هو ان النافور بحصر المعنى يتوقف على الصلاة

القربانية ، اما ما يسبقها فهو لا يزال من باب الاستعداد ، ان كان بنقل القرابين او بتلاوة قانون الايمان او باعطاء السلام ، وما يتبع الصلاة القربانية يعود الى رتبة المناولة او الاستعداد لها . لكننا في شرحنا نتبع كتاب القداس الماروني الحالي ولذلك نقسم الامور كما يلي :

اولا – ما قبل النافور : منذ نشيد نقل القرابين « قال سيدنا ... » حتى ما بعد قانون الايمان وقبل صلاة السلام .

ثانياً – النافور ، ويقسم الى :

– ما قبل الصلاة القربانية مباشرة

– **الصلاة القربانية**

– ما بعد الصلاة القربانية .

أولا – ما قبل النافور

يتضمن هذا القسم بحسب الكتاب الحالي :

١ – نشيد « قال سيدنا » او نقل القرابين

٢ – قانون الايمان والتبخير

٣ – غسل اليدين

٤ – آيات الصعود الى المذبح : انا آتٍ الى مذبح الله ...

١ – نشيد « قال سيدنا » او نقل القرابين

في المخطوطات المارونية القديمة ، كانت الاعمال الطقسية تتوارد كالآتي : من بعد قراءة الانجيل ، يلقي الكاهن العظة . ثم يدعو الخادم الشعب الى

الطلبات قائلا : « فلنقف كلنا مصلّين ... » وفي ختامها يتلو الكاهن الصلاة : « للرب يسوع المسيح التسابيح والشكر ... » . عندئذ يدعو الشماس الموعوظين والسامعين الى الخروج من الكنيسة قائلا : اذهبوا بسلام ايها السامعون ، ايها السامعون اذهبوا بسلام ... اغلقوا الابواب ! » ثم يلتفت الى الكهنة ويقول : «فلينشد الكاهن النشيد». فيبدأ جوق الكهنة بالبيت الاول المعروف : « قال سيدنا اني انا الخبز المحيي ... » فيجيب جوق الشمامسة بالبيت الثاني المختص بالعيد او التذكار ، كالبيت المخصص للعذراء : «اطلبي عنا يا والدة الحياة للعالم ...» ويبقى بيت ثالث لتذكار الموتى ، يبدأه جوق الكهنة ثم يختمه جوق الشمامسة .

هذا ما ورد في مجموعة المخطوطات العائدة لكتاب القداس وكتاب الخدمة . اما كتاب القداس الحالي فانه اسقط بعض الامور ، فالتبست القضايا على غير العارفين ، لكن الخطوط الكبرى لا تزال واضحة . فمن بعد «البسيط» اي الكرازة البسيطة او الطلبات ، يذكر صلاة الكاهن في خاتمة الطلبات ، ثم بدء دعوة الشماس للموعوظين بالخروج : « اخرجوا بسلام » وينتقل فوراً الى ذكر البيت الاول من النشيد المختص بالكهنة ثم القسم الاول من البيت الثاني ، واذا ما رجعنا الى خدمة القداس ، لوجدنا البيت الثاني والقسم الثاني من البيت الثالث[1] .

لنرجع الى نص هذا النشيد :

في البيت الاول نقول عن السيد المسيح انه خبز الحياة وانه نزل من السماء

---

(١) التبست الأمور على صاحب الطبعة العاشرة في مطبعة الكريم ، فظن أن القسم الأول من البيت الثالث هو نوع من الصلاة فأنهاه بخاتمة الصلوات المعتادة .

الى الارض مثل حبة القمح وان العذراء مريم الارض الجيدة قد قبلته في احشائها وها ايدي الكهنة تزيحه على المذابح .

اما في البيت الثاني ، ونجده في كتاب خدمة القداس المخطوطة ، فيقول ما يلي :

«لقد اوجد له الابن خداماً من نار وروح لا تحتاج الى المأكل ولا تذوق الموت . يخدمون ربهم بالرهبة وينشدون له النشيد المثلث التقديس . تعالوا نسجد له لأنه اهلنا لأن نخدم معهم » .

وفي البيت الثالث نجد ذكراً للموتى المؤمنين، يبدأ جوق الكاهن (وينهي) جوق الشمامسة : « هم الذين اكلوا جسدك وشربوا دمك كاس الخلاص ، فليجلسوا على مائدتك مع الابرار ... » .

نستدل ان هذا النشيد هو لنقل القرابين ، وذلك لامور متعددة :

١) انه نشيد زياح ، اي لا يرتل إلا اذا كان هناك حركة منظمة في الكنيسة من مكان الى مكان . فأي زياح ممكن ان يكون في بدء القسم القرباني غير نقل القرابين للذبيحة؟ اما ان قال قائل انه ممكن ان يكون هناك زياح الانجيل، فهذا غير معقول وبعيد تماماً عن المنطق الطقسي ويكفي ان نذكر انه يسبق النشيد الطلبات من اجل الموعوظين وارسال الموعوظين والسامعين . فهل يعقل ان يزيح الانجيل من بعد ارسال الموعوظين وغلق الابواب ؟

٢) ان البيت الاول يذكر بوضوح ان ايدي الكهنة « تزيح المسيح خبز الحياة فوق المذابح » ! واي زياح يكون ان لم يكن للقرابين المهيأة للتقدمة ؟

٣) في البيت الثاني تشبيه واضح بين الشمامسة خدام الله في العلاء اي الملائكة وبين الشمامسة خدام المذبح في الكنيسة! وهذا يعني ان « الشمامسة» في

السماء يزيحون عرش الحمل وهذا ما يفعله الشمامسة في زياح نقل القرابين اذ كانوا هم ايضاً يساعدون في نقل حمل الله الممثل بالقرابين .

اما البيت الثالث المخصص للموتى ، وربما وجدنا لبعض الاعياد بيتاً للعذراء او لتذكار العيد ، فذلك تابع لزياح القرابين ووضعها على المذبح لتذكار الاحياء والاموات ... وليس من العجب ان نجد بيتاً خاصاً للتذكار عند وضع القرابين على المذبح فهذا مألوف في الطقوس السريانية .

يبقى علينا ان نعرف متى سقط زياح نقل القرابين من القداس الماروني ؟

جواباً على هذا السؤال نجد المعطيات الآتية :

١ – كان هذا النشيد معروفاً في القداس السرياني الانطاكي وقد سقط منه قبل القرن الرابع عشر . ويقول موسى بركيفا في شرحه للقداس السرياني في القرن العاشر ان الكاهن كان ينقل القرابين اذ يخرج من الهيكل ويعود الى الهيكل ماراً بالكنيسة ممثلا بذلك دورة المسيح على الأرض خارجاً من الآب وعائداً الى الآب .

ويذكر هذه الرتبة ذاتها وبالمعنى نفسه ديونيسيوس ابن الصليبي في شرحه للقداس حول السنة ١١٧٠ . فيكون زياح نقل القرابين قد سقط من القداس السرياني بعد هذا التاريخ بقليل وربما في بدء القرن الثالث عشر .

٢ – في النافور الماروني «شرر» ذكر ثان لنقل القرابين في بدء النافور وذلك عند الكرازة المسماة الوسطانية اي «فلنقف حسناً» . اذ يقول الشماس : « اواني القداس نقدمها لابينا ليقبلها ، والمؤمنين بالمسيح كلهم في قداسه يذكرهم » . والمعروف ان القداس الماروني متأثر بنافورين ، النافور السرياني والنافور المسمّى « شرر » . وربما وجدنا هنا ذكرين لنقل القرابين ، الواحد من التأثير

السرياني وهو نشيد القرابين هذا والثاني من تأثير شرر وهو عند «فلنقف حسناً» وما بعد .

٣ ـ ان زياح نقل القرابين قد سقط من القداس الماروني قبل القرن الحادي عشر ، والدلالة على ذلك ما ورد في كتاب الهدى من السنة ١٠٥٩ بالقول : اذا اراد الشماس ان يهيء القرابين على المذبح في بدء القداس ... « فجايز له ذلك »[١]

هذا يعني ان الشماس كان بامكانه ان يهيء القرابين على المذبح في بدء القداس ولكنه لا ينفي نفياً قاطعاً زياح نقل القرابين في بعض المناسبات اذا ما اراد الكاهن ذلك . ونعلم من مقارنة رتبة القداس وسائر الرتب المارونية لتقديس الماء او العماد ان زياح « نقل الماء العتيقة » او « الميرون القديم » كان لا يزال قائماً في مخطوطات القرن السادس عشر [٢] .

الخلاصة هو ان نقل القرابين المثبت عنه في كل شروح القداس القديمة مثل « المراسيم الرسولية » او شرح القداس لتيودورس المصيصي والمعروف في سائر الطقوس الشرقية كان ولا شك موجوداً في القداس الماروني ولكننا نجهل تاريخ سقوطه لعدم وجود المستندات القديمة انما نرجح انه كان قبل القرن الحادي عشر .

٢ ـ قانون الايمان والتبخير

نبحث اولا في تاريخ دخول قانون الايمان الى القداس ثم ننتقل الى معنى التبخير في هذا الوقت بالذات .

(١) الهدى ، ص ٧١ .

(٢) راجع مخطوطات باريس السريانية ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، وراجع رتبة تقديس الميرون الحالية ، مثلا بكركي رقم ١٠٢ ، ١٠٣ ....

قانون الايمان : ان جميع الطقوس الشرقية تتلو قانون الايمان في بدء النافور اي من بعد خروج غير المعمدين وقبل تقدمة القربان . وذلك ليشترك الجميع في الايمان الواحد قبل ان يشتركوا في القربان الواحد .

اما تاريخ دخول قانون الايمان في القداس فهو لا يزال غير محدد ، اذ هو معروف انه لا يذكر قبل القرن الخامس في القداس بل كان مفروضاً على طالب العماد قبل نزوله في الماء . واول ذكر له في المستندات الطقسية القديمة يرد في شرح القداس المنسوب لديونيسيوس الاريوباجي والذي هو من بيئة انطاكية في اواخر القرن الخامس . وينسب التقليد الطقسي ادخال القانون الى القداس الى بطريرك مونوفيزتي يدعى بطرس القصّار حول السنة ٤٨٠ ، هذا من باب القول لا التأكيد . اما غاية ادخال القانون الى القداس فاننا نظن ولا نؤكد انه كان طريقة لمعرفة ابن الكنيسة من المنفصل عنها ، اذ لا يمكن لمن لا يتلو قانون الكنيسة ان يشترك في اسرارها ، وكان ذلك اكثر الظن من بعد موجة الاريوسيين ومن بعد الصيغة النهائية للقانون التي وضعت في المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١ . مختصر القول هو ان قانون الايمان النيقاوي القسطنطيني لم يدخل القداس في الشرق قبل القرن الخامس ولم يدخل في القداس اللاتيني الا بعد القرن الثامن حيث لا يزال حتى الآن غير موجود في الايام البسيطة .

اما نص القانون الحالي في القداس الماروني فقد اضيفت اليه كلمتان على النص المجمعي الأصلي : الكلمة الاولى تحت التأثير السرياني وهي « والرسل » من بعد العبارة القائلة « ونؤمن بالروح القدس الناطق بالانبياء » — والرسل — والكلمة الثانية تحت التأثير اللاتيني عن الروح القدس المنبثق من الآب «والابن».

هذا مع العلم ان الاضافة الأخيرة لم تثبت نهائياً الا من بعد القرن السادس

عشر ، اما الاضافة الاولى « والرسل » فهي مجهولة تماماً في النصوص الرس
المطبوعة ان في كتاب القداس وان في الخدمة السريانية ، وهي مدوّنة ق
في النصوص العربية الحديثة .

التبخير : للبخور كما رأينا معان عديدة منها التكريم والاستغفار . ونتس
هنا : لمَ يبخر الكاهن القرابين والمذبح والشعب وقت تلاوة قانون الايمان ؟

اذا ما عدنا الى المخطوطات فانما نجد ان اكثرها وخاصة القديمة منها تج
التبخير في هذا الموضع . ولكن عدم وجود الروبريكة هو غير كاف للدل
على عدم وجود التبخير ،وخاصة ان الطبعة الاولى وكل الطبعات تذكر ذلك.

من الصحيح ان التبخير وقت قانون الايمان هو غير منطقي . ولكنه ك
بالأصل تابعاً لما يسبق او لما يلحق .

يسبق قانون الايمان زياح نقل القرابين ، فهل يكون الغاء الزياح قد اب
البخور الى ما بعد نشيد نقل القرابين ؟ يتبع قانون الايمان دخول الكاه
الى المذبح « ها أنا آت الى مذبح الله ... » والدخول الى المذبح يتطلب م
الكاهن تقديم بخور التكريم للمذبح والقرابين المرفوعة عليه ثم الاستغف
وتبخير الشعب . وفي القداس السرياني صلاة خاصة للبخور والاستغفار ه
« سدر الدخول » موضوعة بعد قانون الايمان وقبل الدخول الى المذبح كما وا
القداس السرياني يطفي على التبخير في هذا الموضع اهمية خاصة !

تجاه هذين الوضعين قبل وبعد ، اي هو الاصح ؟ اننا لنعتقد ان قانو
الايمان قد استبق تبخير الدخول الى المذبح ، هذا التبخير المعروف في اقد

المستندات الطقسية الانطاكية والسريانية والتي تعود الى القرن الخامس وقد جاء على وصف التبخير هنا اكثر شراح القداس السرياني من قبل القرن العاشر .

٣ ـ غسل اليدين

يغسل الكاهن يديه مرتين في القداس ، في البدء قبل صعوده الى المذبح وهنا قبل آيات الصعود الى المذبح وبدء النافور . وعندما يصب الماء على يديه يتلو آيات تنم عن الاستغفار والتطهير من الخطايا . وربما يظن البعض ان غسل اليدين هنا عمل مادي محض من بعد نقل القرابين او غير ذلك ! هذا غير مطابق للتاريخ والواقع ، لان نقل القرابين لم يكن قديماً من اختصاص الكاهن بل الشمامسة ، ولأن غسل اليدين هو عمل رمزي يدل على غسل القلب والنية قبل الصعود الى المذبح للصلاة القربانية . وقد اعطى هذا المعنى جميع الذين شرحوا القداس واقدمهم كيرلّس الاورشليمي في القرن الرابع الذي يفهم بغسل اليدين رمز التطهير من الخطايا .

٤ ـ الصعود إلى المذبح

يعود الكاهن وينشد للمرّة الرابعة والأخيرة آيات الصعود الى المذبح : « اني آتٍ الى مذبح الله ... » واذا ما رجعنا الى القديم لوجدنا انها المرّة الاقدم التي كان يتمدم فيها الكاهن من المذبح ، مباشرة في بدء النافور .

هذا مع العلم أنّ القداس الماروني الحالي لا يزال يحمل اثر نافورين مختلفي الترتيب وهما النافور السرياني الانطاكي والنافور « شرر » الذي يتبع النسق الكلداني . وفي الكلام الآتي عن النافور تفصيل لهذا القول ثم توضيح لما يمكن أن نلاقي بعد من «صعود الى المذبح» بحسب رتبة النافور الماروني القديم «شرر».

ثانياً : النافور

مقدمات

يطلق هذا الاسم الآن في العرف الماروني على القسم القرباني باكمله ابت
من صلاة السلام حتى نهاية القداس . يتضمن هذا القسم مجموعة الاعمال الطق
والصلوات المختلفة المتعلقة بتقدمة القربان والمناولة. ومن المعروف ان لكل طق
من طقوس الكنيسة شرقاً وغرباً طريقته الخاصة في تنسيق النافور ، رغم
الكل يتلاقى في الجوهر . لكن ربما قدّم البعض رتبة السلام وأخّرها البع
الآخر ، او ربما جعل الواحد التذكارات قبل دعوة الروح القدس والبع
الآخر بعدها . لكل طقس ميزته . واذا ما عدنا الى الطقوس السريانية ، لوج
ان للطقس السرياني الانطاكي نسقاً اتخذه عن الطقس الاورشليمي القديم
وللطقس السرياني الكلداني نسقاً مختصاً به . فالى اي من النسقين ينتسب النا
الماروني ؟

من المعروف ان الموارنة كان لهم نافور قديم « شرر » كان على النس
الكلداني . ومن المعروف ايضاً انهم قد اتبعوا ويتبعون الآن النوافير الانطا
على النسق الاورشليمي مثل نافور مار يعقوب ثم تأثروا بالنافور اللاتيني ...

فما هو واقع الحال ؟

الواقع هو ان الموارنة يستخدمون النافور الانطاكي دون ان يهملوا تم
النافور القديم شرر . ولذلك فالنافور الحالي يتضمن صلوات واعمالا طقس
مزدوجة تتأتى من ادخال بعض ما جاء من شرر على النافور الانطاكي. وللتوض
نود ان نتوقف على : ١) نافور شرر ٢) النافور الانطاكي الاورشلي
٣) النافور الماروني الحالي: ٤) النوافير المستخدمة عند الموارنة ٥) نافور الكني
الرومانية .

١ – نافور شرر

يدعي البعض ان الموارنة لم يستخدموا ابداً نافور شرر . هذا ادعاء محض اذ يظهر من المخطوطات المارونية القديمة ان النافور قد استخدم لاقامة القداس بدون ادنى ريبة . فاقدم المخطوطات تورد هذا النافور في المقـــام الاول ، بعضهـــا يطلق على صلوات سائر النوافير اسماء صلوات نافور شرر فيسمي مثلا الصلاة الاولى من نافور الرسل « صلاة شرر »[١] ، كما وان اثار الشمع وبصمات الاصابع اللاصقة باطراف اوراق النافور لا تزال شاهدة على استعماله في مجموعة المخطوطات .[٢]

اما المخطوطات التي تتضمن شرر فهي : مخطوطات الفاتيكان السريانية ٣٠٩ (القرن الثاني عشر) ٢٨ (الخامس عشر) ، ٢٩ (١٥٣٥) ، ٤٣٤ (١٥٤١) ، ٤١٤ و ٢٧٩ (السابع عشر) ، مخطوطات باريس السريانية : ٧١ (١٤٥٤) حلب ٦١٩ (١٤٩٠)، الديمان ٧ (السادس عشر) بكركي ١١٦، ١١٧ ، ١١٨ (السادس عشر) ، ١٢٥ (١٦٧٠) ١١٢ (السابع عشر)، مونيخ٥ (١٥٤٨) ، فلورنسا الاهلية ٧٤ (١٥٦٦) . الطبعة الاولى للقداس ١٥٩٤ .

ولم يكتف الموارنة باستخدام شرر في القداس بل اتخذوا نسقه وترتيبه للرتب الطقسية المستخدمة في تقديس الميرون والماء ، وعندنا عن هذه الرتب مخطوطات اقدم من مخطوطات القداس وهي :

مخطوطات بكركي ١٠٢ (١٣١١) ، ٩٨ (١٣٥٤) ، ٩٤ (١٤١١) [٣] .

لهذا النافور الماروني مميّزات كثيرة وتاريخ خاص وقد كتب عنه بعض الشيء [٤] ، دون ان يوفى الموضوع حقّه للتفصيل عن كل الامور الواردة في النافور .

---

(١) راجع المخطوط الأقدم ، باريس ٧١ .

(٢) راجع الفاتيكاني ٢٩ ، الصفحات : ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ...

(٣) J-M. Sauget, Bénédiction de l'eau.

(٤) راجع المصادر في : Avant-messe, pp. 202-203, 211.

الواقع هو ان « شرر » قريب جداً بنسقه من النافور الكلداني ويكون بالتالي ترتيبه كالآتي :

١ ـ ما قبل الصلاة القربانية : قسم طويل جداً يتضمن السلام والتذكارات على القرابين ثم التقدم من المذبح ثم التذكارات على القرابين من جديد الى هنالك من ترداد في الصلوات بالمعنى نفسه .

٢ ـ الصلاة القربانية : وهي ايضاً تتضمن تذكارات قبل دعوة الروح القدس .

٣ ـ ما بعد الصلاة القربانية : كثير الشبه بالنسق الحالي في النافور .

الواقع الآن هو ان هذا النافور سقط من الاستعمال في الطقس الماروني ما عدا في رتبة القداس السابق تقديسه يوم الجمعة الحزينة ، لكن تأثيره على النافور الحالي لم يسقط اذ لا يزال القداس يتضمن صلوات من نافور شرر رغم انه يتبع نسقاً آخر هو نسق النافور الاورشليمي الانطاكي .

٢ ـ النسق الاورشليمي الانطاكي

ان النافور الذي يمثل النسق الاورشليمي هو النافور المنسوب الى يعقوب اخي الرب رئيس اساقفة اورشليم بحسب التقليد وقد انتقل هذا النافور من اورشليم الى انطاكية واصبح شيئاً فشيئاً النافور السرياني الانطاكي . على منواله نسج عدد كبير من النوافير لا تزال حتى اليوم ، وهي المعروفة عند السريان والمتفاوتة التاريخ والتأليف والتي تقارب السبعين نافوراً في الحالة الحاضرة . واشهر هذه النوافير واقدمها هي المنسوبة الى الرسل جملة وافراداً : نافور الرسل الاثني عشر ، مار يعقوب ، مار بطرس ، مار يوحنا ، مار مرقس الخ ...

ومن المعروف اليوم ان الموارنة يستخدمون هذه النوافير نفسها او قسماً كبيراً منها .

ويختلف نسق النافور الاورشليمي الانطاكي هـــذا عن نسق نافور شرر في بعض الامور وخاصة فيما يسبق الصلاة القربانية وفي التذكارات التي يجعلها النافور خارج الصلاة القربانية اي بعد دعوة الروح القدس . فالسؤال اذاً هو الآتي: من اي وقت يستخدم الموارنة النافور الاورشليمي الانطاكي ؟ وهل هناك تاريخ حلّ فيه هذا النافور محلّ شرر ؟ وهل لدينا شواهد عن اقدمية استخدام النافور الاورشليمي الانطاكي هذا عند الموارنة ؟

المعطيات

١) لا يوجد مخطوط واحد عن القداس الماروني يتضمن شرر وحده بل انه دائماً مسبق او متبع بعدد من سائر النوافير .

٢) اقدم أثر لشرر محفوظ في المخطوط الفاتيكاني السرياني ٣٠٩ من القرن الثاني عشر ، وهي اربع ورقات فقط حيث يذكر مع « شرر » نافور بالنسق الاورشليمي الانطاكي منسوب الى يوحنا فم الذهب . ولو كان لنا المخطوط بكامله لكنا وجدنا بدون شك نوافير أخر .

٣) ان اقدم مخطوط للقداس محفوظ في باريس ٧١ يتضمن نوافير سريانية غير شرر ، لكنّ شرر موضوع في المقام الاول ويظهر انه كان النافور الاكثر استعمالا فقد ورد في سائر النوافير المذكورة اسماء الصلوات بالمقابلة مع صلوات شرر المتخذ قاعدة اذ يقال مثلا للصلاة الاولى التي هي صلاة مـــا قبل السلام « صلاة شرر » اي المقابلة للصلاة التي تبدأ بشرر في نافور شرر .

٤) ان نافور يعقوب المستخدم حالياً هو ترجمة سريانية عن الاصل

اليوناني على يد الاسقف اليعقوبي يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) وقد اتخذ الموارنة هذه الترجمة دون ان نجد عندهم ترجمة خاصة غير يعقوبية .

بالنتيجة :

أ) حتى القرن الثاني عشر اي حتى وجود اقدم مستند ماروني نجد ان الموارنة كانوا يستخدمون النافورين : شرر وغيره مع التشديد على شرر .

ب) كيف كانت الحال من قبل القرن الثاني عشر ؟

لا نظن ان الموارنة اقتصروا على شرر وخاصة انهم عاشوا مع اليعاقبة في منطقة واحدة في سوريا ومن الصعب ان نتخيل انهم كانوا متميزين عنهم تماماً من حيث الطقوس او على الأقل غير مشتركين معهم في نوافير متشابهة مثل نافور الرسل الاثني عشر ونافور مار يعقوب .

ج) من بعد القرن الخامس عشر نلاحظ تدهور استعمال شرر حتى التلاشي ، اذ نجد ما يقارب نصف مخطوطات القداس الماروني بدون شرر ، كما اننا نجده في الطبعة الاولى في آخر النوافير حتى زال في الطبعة الثانية فحرّف بعض الشيء وجعل لنافور القداس السابق تقديسه ليوم الجمعة العظيمة .

رغم كل ذلك لم يسقط شرر تماماً بل بقيت آثاره في النافور المارونيالحالي.

٣ ـ النافور الحالي

ان النافور الماروني الحالي يتبع بالأساس نسق النافور الاورشليمي الانطاكي ، وفي كتاب القداس ثمانية نوافير كلها على هذا النسق .

ولكن النافور الحالي متأثر بصلوات اضافية في شرر وبافكار لاهوتية

ونصوص من القداس اللاتيني . ولذلك فكل شرح للنافور الحالي يتطلب معرفة القداسات الثلاثة : الاورشليمي الانطاكي المستخدم عند السريان ، شرر القريب من النافور الكلداني ثم القداس اللاتيني .

هذا مع العلم ان خدمة القداس واقعة تحت تأثير شرر بنوع خاص .

نسق النافور الحالي

يقسم النافور الحالي الى ثلاثة اقسام كبيرة :

١) ما قبل الصلاة القربانية (من البدء حتى رفع النافور عن القرابين)

٢) الصلاة القربانية

٣) ما بعد الصلاة القربانية : التذكارات ، الاستعداد للمناولة ، المناولة الشكر .

لكل قسم من هذه الاقسام معنى مرتبط بالآخر اذ الجوهر هو تقدمة القربان يسبقه استعداد له ويتبعه تتميم بالمناولة . لكن لكل قسم من هذه الاقسام صلوات مختلفة ولكل واحدة منها معنى خاص . والجدير بالذكر ان الصلاة ليست مستقلة بحدّ ذاتها كصلاة بل هي ترافق عملا طقسياً هو الأساس وموجود قبل الصلاة مثل : اعطاء السلام او احناء الرأس او كسر القربان او المناولة الى ما هنالك ! وما الصلاة إلا تعبير عن العمل او مرافقة له .

سنتوقف بالتفصيل على كل من هذه الاقسام الثلاثة المذكورة في النافور بعد ان نلقي نظرة على النوافير المستخدمة في الطقس الماروني وعلى النافور الروماني.

٤ – النوافير المستخدمة عند الموارنة

النوافير الموجودة الآن في كتاب القداس هي ثمانية :

١ – الكنيسة الرومانية

٢ – مار بطرس (إله السلام)

٣ – الاثنا عشر رسولا

٤ – مار يعقوب

٥ – مار يوحنا الانجيلي

٦ – مار مرقس

٧ – مار كسيسطس

٨ – مار يوحنا مارون

يضاف اليها نافور رسم الكاس الذي يتلى يوم الجمعة الحزينةوالمتخذ من شرر.

كانت الطبعة الاولى تضم ١٤ نافوراً . كما ان هناك مجموعة خطية من البطريرك الدويهي تضم عدداً كبيراً من النوافير نذكر ما جاء فيها زيادة عما جاء في كتاب القداس :

٩ – بطرس (ايها المتعالي)

١٠ – بطرس (شرر)

١١ – متى

١٢ – اقليمس الاولى

١٣ – اقليمس الثانية

١٤ – اغناطيوس الانطاكي

١٥ – ديونيسيوس الاريوباجي

١٦ – يوليوس

١٥ – سلستينوس

١٨ ـ غريغوريوس النزينزي

١٩ ـ يوحنا فم الذهب

٢٠ ـ فيلوكسنس المنبجي

٢١ ـ اثناسيوس

٢٢ ـ تيموتاوس

٢٣ ـ كيرلّس الاورشليمي

٢٤ ـ اوسطاتيوس الاولى

٢٥ ـ اوسطاتيوس الثانية

٢٦ ـ يوحنا اللحفدي

٢٧ ـ باسيليوس القيصري

٢٨ ـ ماروتا

٢٨ ـ يعقوب السروجي الاولى

٢٩ ـ يعقوب السروجي الثانية

٣٠ ـ يعقوب الرهاوي

تضاف الى ما سبق بعض النوافير اليعقوبية الموجودة في المخطوطات المارونية ، والتي يمكن ان تكون قد استخدمت :

٣١ ـ ديونيسيوس ابن الصليبي

٣٠ ـ يوحنا برشوشن

٣٣ ـ يعقوب (المختصرة على يد ابن العبري)

٣٤ ـ غريغوريوس يعقوب .

٣٥ ـ لعـازر

٣٦ ـ توما الحرقلي

وبهذا تصبح مجموعة النوافير السريانية التي هي على نسق النافورالاورشليمي

الانطاكي والمشتركة بين الموارنة والسريان ٣٤ نافوراً يضاف اليها نافور الكنيسة الرومانية فتصبح المجموعة ٣٥ نافوراً [1] .

انه ليس من اختصاص هذا البحث ان يتوقف بالتفصيل على كل نافور ولكنه يعطي لمحة سريعة عن تاريخ كل منها لنتمكن من التمييز بين القديم والحديث :

نوافير ما قبل القرن العاشر

نذكر اولا اسم النافور ثم تاريخ اقدم مخطوط محفوظ فيه :

١ – نافور مار يعقوب . ترجمة يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) (القرن التاسع) .

٢ – مار بطرس (إله السلام) (الرابع عشر)

٣ – مار بطرس (ايها المتعالي) (الرابع عشر)

٤ – نافور الاثني عشر (الاول) : (القرن العاشر)

(الثاني) : (الثالث او الرابع عشر)

٥ – يوحنا الانجيلي (١١٨٢)

٦ – مرقس (الثالث عشر)

٧ – كسيسطس (الثالث عشر)

٨ – يوحنا مارون (السادس عشر)

---

(١) راجع لدرس هذه النوافير وقدمها :

A. Raes, Anaphorae syr. I, 1 ,Rome 1939, Introductio. –

– مخايل الرجي ، نوافير القداس الاهلي ، مجلة المنارة ١٩٤٧ ص ٥٤ ، ١٦٦ ، ٢٢٦ ، ٣٧٨ ، ٤٦١ ، ٥١٢ .

٩ – شرر (الثاني عشر)
١٠ – متّى (الثالث عشر)
١١ – اقليمس الاولى (الخامس عشر)
١٢ – اقليمس الثانية (العاشر)
١٣ – اغناطيوس الانطاكي (العاشر)
١٤ – ديونيسيوس الاريوباجي (العاشر)
١٥ – يوليوس (العاشر)
١٦ – سلستينوس (العاشر)
١٧ – غريغوريوس النزينزي (التاسع – العاشر)
١٨ – يوحنا فم الذهب (الثاني عشر)
١٩ – فيلوكسنس المنبجي (١١٨١)
٢٠ – اثناسيوس (الخامس عشر)
٢١ – تيموتاوس الاسكندري (الثامن)
٢٢ – كيرلّس الاورشليمي (العاشر)
٢٣ – اوسطاتيوس الاولى (١١٣٧)
٢٤ – اوسطاتيوس الثانية (السابع عشر)
٢٥ – يوحنا اللحفدي (السابع عشر)
٢٦ – باسيليوس القيصري (السادس عشر)
٢٧ – ماروتا (الثالث عشر)
٢٨ – يعقوب السروجي الاولى (الثالث عشر)
٢٩ – يعقوب السروجي الثانية (السادس عشر)
٣٠ – يعقوب الرهاوي (١٢٣٠)
٣١ – لعازر برسبتا ٨٢٩ (١١٨١)
٣٢ – توما الحرقلي (١٤١٨)

نوافير ما بعد القرن العاشر

٣٣ – ديونيسيوس ابن الصليبي ، سنة ١١٧١

٣٤ – يوحنا برشوشن – سنة ١٠٧٣

٣٥ – يعقوب (المختصرة) على يد ابن العبري سنة ١٢٨٢

٣٦ – غريغوريوس يعقوب ، سنة ١٢١٤

٣٧ – الكنيسة الرومانية ، ١٧١٦

٥ – نافور الكنيسة الرومانية .

ظهر هذا النافور للمرّة الاولى في الطبعة الثانية للقداس التي صدرت في روما على يد اندراوس اسكندر القبرصي سنة ١٧١٦ وقد جاء في المقدمة عن النافور المذكور ما يلي بالحرف :

« قد نظرنا الأمر واجباً اننا نجمع نافوراً من رتبة الكنيسة الرومانية المقدسة ام جميع الكنائس ، وفعلنا ذلك على شور الناس الصالحين الاذكياء احتراماً لصلواتها واكراماً لرتبتها القديمة المنظومة من رؤسائها الأطهار واحبارها القديسين الأبرار ، ورتبنا هذا النافور بعد نافور مار كسيسطوس بابا روميه على سبيل نافور الاثني عشر رسولا ».

وقد قابلنا صلوات النافور بصلوات **القداس** الروماني وتبين لنا ان قسماً كبيراً من الصلوات قد نقل من اللاتيني الى السرياني ثم الى العربي ، ولم تخلُ هذه الترجمات من مغالطات اما بنقلها الى السريانية او العربية . هذا مع العلم اننا لم نجد نصاً لاتينياً مقابلا لبعض صلوات النافور المذكور ونظن ان اندراوس اسكندر قد الّفها تأليفاً مستوحياً بعض صلوات النوافير السريانية او غيرها . ولا نظنن ان اسكندر المذكور قد اهتم بنقل الصلاة اللاتينية كلها وبالحرف بل غالباً ما اخذ ما وجده مناسباً حسب ذوقه الشخصي .

هذا مع العلم ان المؤلف لم يكن يدرك تماماً دور بعض الصلوات في النافور السرياني ، فبدل ان يؤلف صلاة عن وضع اليد او الاستعداد للمناولة بالمعنى التقليدي للنافور فقد اكتفى بتأليف صلاة غالباً ما جمع فيها نوايا عامة جداً مثل الصلاة الثالثة من النافور المعروفة بصلاة الحجــاب وهي صلاة استعدادية للوقوف امام المذبح وتقدمة القربان . وقد جاءت في نافور الكنيسة الرومانية كما يلي :

«اقبل قرابيننا يا رب ، ورتب ايامنا بسلامك، ونجنا من الهلاك المؤبد ، واحصنا بين الخراف مختاريك ، ونصعد ... »

فنتساءل عن معنى هذه الصلاة الجامعة ؟ !

كما ان هناك اغلاطاً كثيرة في تركيب النافور سنذكرها في حينها . وها اننا نعطي جدولا بصلوات النافور بالمقابلة مع صلوات القداس اللاتيني ، او بدون مقابلة ان لم يكن لها ذلك .

النافور	**القداس اللاتيني**
١) صلاة السلام : يا سيدنا يسوع المسيح الذي قلت لرسلك السلام استودعكم ...	**١) صلاة السلام** قبل المناولة Domine jesu Christe qui dixisti apostolis tuis...
٢) الصلاة الثانية : وضع اليد نسجد لك يا رب ...	تأليف
٣) الصلاة الثالثة : صلاةالحجاب	تأليف

النافور	القداس اللاتيني
٤) مقدمة قدوس تمجدك يا رب ...	٤) المقدمة العامة القسم الثاني الذي يبدأ Per quem majestatem tùam أما القسم الأول فقد وضع منه العبارة الأولى بالسريانية .
٥) من بعد الكلام الجوهري : كلما كملتم هذه الأسرار (بالسريانية : هذا)	٥) Haac quotiescumque
٦) الذكر : نذكر آلامك ... (هذه الصلاة موجهة للابن في النص الماروني ، وقد جاءت تقدمة القربان للابن..) نذكر آلامك المنقذة .. ولذلك تقدم لك بيعتك هذه الذبيحة : لفظة صعودك (المدهش) ترجمة : ... Gloriosus (الممجد)	٦) الصلاة : unde et memores موجهة للاب : ولكن المؤلف الماروني اقتطع القسم الأول منها ووجهها للابن..
٧) خاتمة دعوة الروح القدس : نتوسل اليك ايها الرب الاله ... (جعلها المؤلف صلاة تضرع تابعة لما بعد وهي بالواقع لاحقة لما سبق)	٧) مقتبسة بتصرف تام عن الصلاة : supplices te rogamus

النافور	القداس اللاتيني
٨) ذكر الموتى : ارحهم يارب ..	٨) ذكر الموتى Ipsis, Domine,...
٩) الصلاة التابعة : خاتمة التذكارات	٩) الصلاة التابعة Nobis quoque انما بتصرف ومحذوف منها أسماء القديسين وهي مختلفة بمعناها في القداس اللاتيني عن معناها في النافور التقليدي السرياني.
١٠) مقدمة الابانا : على أمرك المنقذ متكلون	١٠) مقدمة الابانا : Pracceptis salutaribus
١١) بعد الابانا : نجنا يا رب ...	١١) بعد الابانا : Libera nos... القسم الأول من الصلاة .
١٢) صلاة وضع اليد أو البركة : «ثبت قلوب عبيدك»...	١٢) تأليف
١٣) الشكر بعد المناولة : نتضرع اليك	١٣) الشكر بعد المناولة : Corpus tuus
١٤) صلاة البركة : ابسط يمين عظمتك.	١٤) تأليف مستوحاة من نافور بطرس

نستنتج اذا من المقابلة بين النافور المستخدم حالياً في القداس وبين صلوات القداس اللاتيني انه من غير الممكن ان نفهم معنى النافور الانطاكي الاورشليمي التقليدي على ضوء نافور الكنيسة الرومانية . ولذلك فاننا سنعتمد لشرح النافور نافور الرسل الاثني عشر مستعينين عند الحاجة بنافور مار يعقوب الذي هو بالأصل قاعدة لكل هذه النوافير . ولكننا لن ننسى ان النافور الماروني الحالي انما هو متأثر من حيث الصلوات العامة المعروفة بصلوات الترتيب العام بنافور شرر وببعض الافكار اللاهوتية اللاتينية التي حوّرت نصّ « الكلام الجوهري » ونصّ دعوة الروح القدس .

شرح النافور

سبق وقسمنا النافور الى ثلاثة اقسام (الصلاة القربانية ثم قبل وبعد) ولذلك فاننا سنعالج كل قسم بمفرده تسهيلاً لتتبع الشرح .

اولا : ما قبل الصلاة القربانية

يتألف هذا القسم من الصلوات والاعمال التالية :

١ ـــ صلاة ما قبل السلام

٢ ـــ صلاة سرية وكرازة الخادم : فلنقف حسناً ...

٣ ـــ صلاة البركة أو وضع اليد

٤ ـــ صلاة الحجاب

٥ ـــ اعطاء السلام في الكنيسة .

٦ ـــ رفع الغطاء عن القرابين

١ ـــ صلاة ما قبل السلام

يبدأ النافور بالمجدلة البسيطة : المجد للاب والابن والروح القدس ، ثم بفاتحة الصلاة التي نسميها «صلاة ما قبل السلام». اما المجدلة فهي للدلالة على بدء عمل طقسي مستقل عما سبق ! ورغم أن هذا القسم يتبع ايضاً ما قبل

النافور بالمعنى الحصري فان النافور بالمعنى العام يبدأ هنا ولذلك أضاف الطقس الماروني المجدلة للتشديد على هذه النقطة .

أما صلاة «ما قبل السلام» فانها تدعى هكذا في النوافير السريانية لأن السلام بالواقع يعطى من بعدها مباشرة ، ولكن النافور الماروني يبقى اعطاء السلام الى ما بعد صلوات النافور الثلاثة اسوة بنافور شرر الذي يبقى السلام الى ما بعد صلوات ثلاث من النافور .

إذا ما رجعنا الى نافور الاثني عشر مثلاً نجد أن هذه الصلاة تتضمن معنيين مختلفين : الاول افتتاحية للنافور والثانية استعدادية لاعطاء السلام . ولذلك فانه يرد بعدها مباشرة بحسب النسق الانطاكي « لنعط بعضنا بعضاً السلام» ، اما في النافور الماروني فالجواب «آمين» ، ومن بعده الكرازة .

٢ ـ الصلاة السرية والكرازة

لكل نافور صلواته الخاصة ، ولكن هناك صلاة عامة تعود في كل النوافير تدخل في صلب « الترتيب العام » . فبينما يتلو الكاهن سراً هذه الصلاة ، ينشد الكاهن الكرازة المعروفة بالوسطانية [١] : « فلنقف حسناً بأجمعنا » . اذا ما عدنا إلى تاريخ هذه الصلاة وجدناها متخذة من نافور شرر ، موجودة من بعد الصلاة الأولى للنافور .

وإذا ما حللنا معانيها ، وجدنا أنها تتضمن فكرتين أساسيتين : الاستعداد للوقوف امام المذبح لاقامة القربان ، والاستعداد لاعطاء السلام . أما اذا قابلناها

(١) نذكر ان في القداس الماروني ثلاث كرازات أساسية : الأولى وتسمى « البسيطة » من بعد الانجيل ، الثانية وهي هذه المعروفة بالوسطانية ، الثالثة وتسمى برو ديقي «وهي فلنطلب كلنا...» قبل الصلاة الربية .

بالصلاة الموجودة في النافور الكلداني ، لوجدنا فيه صلاة مشابهة لها تماماً في فكرتها الأولى مع حذف الاستعداد لاعطاء السلام .

بالنتيجة ومن بعد الدرس ، يتبين أن هذه الصلاة كانت بالأساس صلاة استعدادية ، في بدء النافور ، من نوع الصلوات المذكورة في القسم الأول من القداس : « اللهم أسألك ... » .

ومن بعدها كان الكاهن ، بحسب شرر ، يصعد إلى المذبح ويضع القرابين ويبدأ بالتذكارات قبل أن ينتقل إلى الصلاة القربانية . والكرازة التي تلي والمأخوذة من شرر تشهد لذلك .

الكرازة : لنتوقف على النص المتخذ من احدى المخطوطات :

١ – « فلنقف حسنا ، ولنصل ونشكر ونمجد حمل الله الحي الموضوع على مائدة الحياة . فقد انحدرت الالوهية نحو أبناء آدم الخاطئين وخلصتهم من عبودية الخطيئة » .

٢ – « مباركة أنت أيتها الكنيسة المؤمنة لهذه الموهبة التي منحك إياها سيدك : جسده ودمه والصليب المقدس الذي يحرسك » .

٣ – « اننا نذكر في تقدمتنا مريم والأنبياء والرسل والشهداء واباءنا ومعلمينا » .

٤ – « أواني القداس نقدمها لابينا ليقبلها . والمؤمنين بالمسيح كلهم في تقدمته يذكرهم » .

٥ – « ها ان السلام يعطى في الهيكل . فلنصل نحن لربنا والهنا الآب الضابط الكل » .

نسعى الآن في تفهم النص :

أ – في الرقم ١ ، ذكر لحمل الله الموضوع على المذبح . يعود هذا

الذكر فيتضح من الرقم ٤ اذ تقدم الأواني ، أي الكاس والصينية ، للكاهن ليقبلها ويذكر المؤمنين في التقدمة . واننا لنرى أمامنا الصورة القديمة بوضوح اذ كان الشمامسة يقدمون الخبز والخمر للكاهن فيقبلها ويضعها على المذبح ثم يذكر عليها النوايا العامة والخاصة .

ب – يتضح أيضاً من الرقم ٢ ، ان الكاهن كان يضع أيضاً على المذبح الصليب المقدس ، وهذا تقليد شرقي عام تذكره المستندات الكلدانية منذ القرن الثامن .

ج – في الرقم ٣ ، ذكر للعذراء والقديسين ، والمعروف أن هذه الكرازة تتبدل بحسب الأعياد والتذكارات ولا يزال كتاب الخدمة المطبوع يعطي لكل عيد كرازة مختلفة كانت تقال بالأساس عند الرقم ٣ .

د – أما الرقم ٥ فهو تنبيه لاعطاء السلام وقت التذكارات حسب ما ورد في نافور شرر .

٣ – صلاة البركة او وضع اليد

يسبق هذه الصلاة في النافور السرياني تنبيه للشماس اذ يقول : « فلنحن رؤوسنا للرب » ويجيب الشعب : « أمامك أيها الرب الهنا » . عندئذ يتلو الكاهن صلاة البركة على الذين أحنوا رؤوسهم بتعابير تشبه ما ورد مثلاً في نافور مار يعقوب :

« أيها الرب الرحوم ... أرسل بركاتك على هؤلاء الذين أحنوا أعناقهم قدام مذبحك المقدس وباركهم بنعمة مسيحك ... » .

---

(١) راجع شرح القداس الكلداني في القرن السابع الثامن العائد لابراهيم برلييا .

أما معنى البركة في هذا الموضع من القداس فهو أن الشعب كان يلتمس بركة الكاهن المحتفل فيلتفت الكاهن نحو المؤمنين ويبسط يده فوق رؤوسهم ويحلّهم من خطاياهم استعداداً لاقامة القربان . هذا مع العلم أن بعض النوافير قد ضيعت هذا المعنى من هذه الصلاة الثانية ، فمن النوافير ما يجعلها متعلقة بالسلام مثل الاثني عشر ومنها ما غيّر مقاييس الأمور تماماً مثل نافور مار يوحنا مارون أو نافور الكنيسة الرومانية .

٤ ــ صلاة الحجاب

وردت بهذا الاسم في أقدم المخطوطات وأكثرها : صلاة الحجاب أو « الستار » . ونتساءل عن أي ستار تعني ! هل الستار الذي يفصل بين الهيكل والدار ؟ أم الستار المنصوب أمام المذبح من على قبــة المذبح ؟ أم الغطاء الذي يستر القرابين على المذبح والمعروف بالمنديل أو النافور ! اذا ما رجعنا إلى نصّ الصلاة نفسها وإلى بعض المعلومات التاريخية من الكتاب المعروف « بعهد الرب » تبين لنا أن الكاهن كان يتلوها قبل أن يكشف الستار المسدل أمام المذبح بالذات من على القبة التي كانت تعلو المذبح . وعندما يظهر له المذبح المقدس يتلو هذه الصلاة التي هي بالواقع سجود أمام المذبح واستعداد لتقدمة القربان . تعبّر عن هذا المعنى الصلاة التي وردت في نافور الاثني عشر :

« نسجد أمامك يا ملك الملوك ... ونطلب منك أن تنظر الينا بعين الرحمة وأهلنا لأن ندنو من مذبحك المقدس بقلب نقي » ... ولا تزال العادة حتى اليوم عند السريان بأن يسدل ستار من على القبة المنصوبة فوق المذبح يكشف في هذا الوقت من القداس . لكنها ربما كانت في الأساس صلاة تقال أمام الحجاب الذي يفصل بين الدار والهيكل كما في الطقوس القبطية .

٥ ـ اعطاء السلام في الكنيسة

بحسب النافور الماروني يعطي السلام من بعد صلاة الحجاب وذلك كما سبق وقلنا تشبها بنافور شرر الذي يجعل السلام من بعد صلوات النافور الثلاثة . وقد أضيفت إلى صلوات النافور السرياني الثلاثة صلاة السرية اتخذت من شرر وهي الثانية من الأربعة كما ذكرنا .

يقوم اعطاء السلام بأن يضع الكاهن يده على المذبح والقرابين ثم يرفعها إلى فمه ثم إلى يد الخادم قائلا : السلام لك مذبح الله ، السلام للأسرار المقدسة الموضوعة عليك ، السلام لك يا خادم الروح القدس » . فيطبق الخادم يديه على السلام المتخذ من الكاهن وينقله إلى الشعب الذي يمسح وجهه بيديه ويصنع اشارة الصليب . ويقول الخادم قبل أن يعطي الشعب السلام : « ليعطِ كل منا السلام قريبه بالمحبة والايمان اللذين يرضيا الله . هلمّ بالسلام يا أبانا الكاهن النقي » .

ونتساءل عن معنى كل هذه الحركات وعن معنى قول الخادم : هلمّ بالسلام يا أبانا الكاهن !

نستدل من النصوص الطقسية القديمة ان الكاهن كان يقبل المذبح والقرابين بدل أن يلمسهما ويرفع يده إلى فمه [١] . وبما أن شكل رتبة السلام هذه متخذة من شرر فاننا نجد بعض التوضيح في روبريكة نافور شرر المحفوظ في المخطوط الأقدم : « يقبل الكاهن القرابين الموضوعة على المذبح ، ثم يعطي الخادم السلام قائلا : أعطِ السلام يا خادم الروح القدس ! فيقول الخادم : ليعطِ كل منا السلام قريبه ... ثم يتوجه نحو الكاهن ويقول : اعطِ السلام يا أبانا الكاهن النقي . فيقول الكاهن : السلام للبيعة ولأبنائها . فيعطون السلام

(١) راجع الكرازة الوسطانية في تقديس الماء : Avant-messe, p. 222

عندئذ في البيعة »[1] . ونود أن نلاحظ هنا تسلسل الأعمال بطريقة منطقية كيف أن الكاهن يقبل المذبح والقرابين ثم يعط الخادم السلام فيناشده الخادم بأن يعطي السلام الجميع ، ويعطي الكاهن السلام كل أبناء الكنيسة فيعطون السلام بعضهم بعضاً ! وقد كان اعطاء السلام قديما بالقبلة المقدسة ، فتحوّر مع التطور الاجتماعي إلى سلام باليد . ونلاحظ عند الاشوريين أنهم اليوم لا يكتفون باعطاء السلام من هو قريب منهم في الكنيسة بل يتبادلون السلام وهم يتنقلون من واحد إلى واحد وربما اختار أحدهم من هو بحاجة إلى مسالمته أو مصالحته !

٦ — رفع الغطاء عن القرابين

يرفع الكاهن المنديل أو النافور عن القرابين وهو يرفرف بالنافور فوق القرابين قائلا : « أنت هي الصخرة الصلدة التي جرى منها اثنا عشر نهراً لاسباط اسرائيل الاثني عشر » !

وكان قد سبق من بعد الصلاة الأولى من النافور أن الخادم قد رفع الغطاء قليلاً فأخذ الكاهن الغطاء وقبله وكشف القرابين تاركا النافور مطويا فوق الكأس .

ما هو معنى كل هذه الحركات والصلوات ؟

من بعد وضع القرابين على المذبح ، كانت تغطى بمنديل كبير ، سمي النافور، ينزل على طرفي المذبح الشمالي والجنوبي . وفي بدء الصلاة القربانية كان الشمامسة يرفعون النافور عن القرابين بينما كان شمامسة آخرون يلوّحون بالمراوح فوق القرابين ، وذلك بالأساس لابعاد الحشرات والذباب . وقد

(١) Avant-messe, p. 222

انقلب هذا المعنى الحسي إلى معنى رمزي روحي فيما بعد اذ اصبح التلويح بالمراوح أو بالنافور فوق القرابين دلالة على رفرفة أجنحة ترمز إلى حلول الروح القدس ! ولا يزال الكاهن الماروني حتى اليوم يرفرف بالنافور عند رفعه . أما قوله الموجّه للنافور « انتِ هي الصخرة الصلدة... » فهو قول غير مفهوم ان لم يتمم بالعبارة الثانية التي كانت تكمل المعنى والتي سقطت من النافور الماروني وهي باقية في النافور السرياني وهي الآتية : « أنت هي الصخرة التي دحرجت على قبر مخلصنا » . ويعني ذلك أن النافور الذي يغطي القرابين يشبه الصخرة التي كانت تسدّ باب القبر ، والرموز واضحة : فالقبر هو المذبح والمسيح مرموز إليه بالقرابين التي « ستحيا » عن قريب ، والنافور الصخرة التي دحرجت .

والرمز إلى المذبح بالقبر والقرابين بالمسيح هو قديم جداً يعود إلى الشروح التي يعطيها تيودورس المصيصي عن القداس في أواخر القرن الرابع .

أما أهمية رفع النافور عن القرابين فانها تظهر في الاعلان الذي يتلوه الشماس . وقد ورد أولّه في كتاب القداس ومجمله في خدمة القداس السرياني والماروني ، لأن الخدمة المارونية متأثرة بنافور شرر بينما الاعلان المذكور هو من النافور السرياني الانطاكي . يقول الخادم في القداس السرياني :

« فلنقف حسنا ولنقف بخوف . فلنقف بالطهارة ولنقف بالعفة والقداسة ، فلنقف كلنا يا اخوتي بالمحبة والايمان الصادق ، فلننظر متأملين بخوف الله وبالسكينة والسلام إلى التقدمة (النافور) المخيفة والمقدسة الموضوعة أمامنا في يدي الكاهن الموقّر الذي يقرّب من أجلنا جميعاً هذه الذبيحة الحيّة » !

ثانيا : الصلاة القربانية

لا بد لنا وقد وصلنا إلى القسم الجوهري من القداس أن نتوقف على معنى الصلاة القربانية وعلى تطور حالتها ثم على واقعها اليوم في القداس الماروني .

ينبغي لنا اذا أن نعود إلى الاصول ، إلى العشاء السري لنتفهم بوضوح معنى صلاة الاوخارستيا أو صلاة الشكر والبركة . ثم ننتقل فيما بعد إلى التطور التاريخي ومنه إلى الحالة الحاضرة . ولذلك نقسم درسنا إلى ثلاث نقاط :

١ — العشاء السري

٢ — التطور التاريخي للصلاة القربانية

٣ — الصلاة كما هي اليوم في القداس الماروني .

١ — العشاء السري

رغم أنه لا مجال لدرس تفصيلي شامل عن العشاء السري وعن الصلوات والتسابيح والرتب التي أقيمت في تلك الليلة المباركة ، لكنه لا يحق لنا أن نجهل ان العشاء السري لم يكن مجرد رتبة بسيطة اقتصرت على أن يأخذ فيها المسيح الخبز والكأس ويقول : « خذوا فكلوا هذا هو جسدي » ، « خذوا فاشربوا هذه هي كأس دمي » . كانت هذه الرتبة أكبر من ذلك وأوسع تتضمن صلوات خاصة تركت آثارها في صلاة الافخارستيا بشكل ظاهر .

إذا ما رجعنا إلى الأنجيل وخاصة إلى لوقا (٢٢/٧—٢٠) وإلى رسالة بولس الاولى إلى القرنثيين (١١/١٧—٢٧) يتبين لنا أن يسوع تناول العشاء مع تلاميذه بحسب التقاليد الطقسية المتبعة . ومن درس هذه التقاليد يتضح أن المسيح أعطى تلاميذه الخبز بعد أن شكر وبارك أباه السماوي ومجّده . كما أنه أعطاهم كأس دمه في آخر العشاء بعد أن تلا صلاة البركة والشكر بحسب ما ترسم التقاليد.

ولا بدّ لنا هنا قبل أن ندخل في تفصيل الترتيب المتبع في العشاء السري ان نقول كلمة عما كان يسمّى صلاة البركة في التقليد اليهودي .

يفهم البعض عبارة الانجيل : « اخذ خبزاً وبارك ... » ان المسيح بارك الخبز اما المعنى المقصود فهو ان المسيح بارك الله . وتقوم بركة الله بان يقول المصلي : « تباركت يا رب» ... او « ابارك الرب ... » لهذه البركة اسباب ومبررات. يبارك المصلي الله لأنه خلّصه من تهلكة او انعم عليه بخير او افاض عليه نعمه ... تقوم البركة اذاً بان يُبارِكُ الله لسبب او لاسباب مختلفة . وقد اعتاد اليهودي ان يبارك الله في كل حين وقبل كل عمل ، كأن يقول مثلاً قبل أن يأخذ الخبز في بدء الأكل : تباركت يا رب لأنك اعطيتنا ثمرة الارض هذه لتشبع جوعنا .

وصلوات البركة على انواع : منها قصيرة ، مثل التي ذكرنا ، ومنها متصلة طويلة اذ لا تكتفي بسبب واحد لمباركة الله بل تعدد الاسباب التي تدعو لمباركته . ونعني بمباركته حمده وشكره وتسبيحه . كأن يقال مثلاً : تباركت يا رب لأنك خلقت السماوات ... ولأنك اعطيتنا التوراة ... ولأنك ارسلت الانبياء ... الخ ...

اما لماذا سميناها « بركة » فذلك لأنها تبدأ بلفظة «ابارك» او«تبارك» ، ولأنها الكلمة الوضعية التي كان يستخدمها اليهود للدلالة على هذا النوع من الصلوات . وقد نقل الانجيليون الكلمة بلفظتين يونانيتين هما :«اولوجيا واوخارستيا» وتضمنت « البركة » منذ البدء الشكر لله على انعامه وحمده وتسبيحه على افضاله . ولا تزال كتب الصلاة اليهودية تحفظ لنا مجموعة من هذه البركات ، اهمها ما كان يتلى في آخر الوليمة الفصحية .

لم يستخدم المعلم الالهي كتاب صلاة ليبارك اباه السماوي ولكنه اتبع النسق المعروف في تصعيد الحمد والتسبيح في تلك الوليمةالفصيحة المقدسة . ولنا في انجيل يوحنا (الفصل ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) صدى حي لهذه المناجاة التي خاطب بها

يسوع اباه . ومن المعروف ان صلاة البركة والشكر هذه كانت تقال خاصة في آخر العشاء عندما يقف رب البيت ويقف الجميع معه ويأخذ كأساً تدعى « كأس البركة » ويبارك الله على جميع انعامه التي افاضها على الشعب المختار منذ الخلق حتى موسى وخلاص الشعب على يده وحتى داود والانبياء متوسلين اعادة مجد اورشليم ومجيء المسيح . يقول الرسول : « كأس البركة التي نباركها اليست هي شركة دم المسيح »؟ (١ قور ١٠/١٦) . ويذكر لوقا ان المسيح بارك وشكر على الكأس من بعد العشاء (٢٢ / ٢٠) . ونستدل من انجيل يوحنا (الفصل ١٤ وما بعد) ان يسوع كلّم تلاميذه طويلاً عن الآب وانه مجّد الاب وسأله ان يمجّده لأنه اظهر اسمه للناس كما سأله ايضاً ان يحفظ تلاميذه في الوحدة .

صلاة البركة، « الافخارستيا »، اذا هي صلاة شكر وحمد لله تعالى على انعامه . وكان رب البيت يتلو هذه الصلاة فيجيب الجميع من بعده : « امين » ! .

٢ ــ الأجيال القادمة :

فاذا ما عدنا إلى صلوات الاوخارستيا المسيحية الأولى لتبين لنا ايضاً ان المسيحيين لم يبتعدوا بالأصل عن طريقة الصلاة هذه بل كانوا يشكرون الاب ويحمدونه من اجل انعامه كلها وكانوا بذلك يذكرون انعام الله في تدبيره الخلاصي للبشر منذ الخلق حتى الانبياء وحتى الخلاص بيسوع المسيح . ويقول القديس يوستينوس في كلامه عن القداس حول السنة ١٥٥ انه من بعد ان كان الشمامسة يحملون إلى المترئس الخبز والخمر كان «يتلو صلاة افخارستيا على قدر ما يستطيع» وانه في ختام صلاة الافخارستيا هذه كان الشعب كله يجيب « امين » فيوزع الشمامسة الخبز والكأس للمناولة .

ولنا في التقليد الرسولي المنسوب لهيبوليطس صلاة شكر نموذجية من حوالى

السنة ٢١٥ . ولكن صلاة الافخارستيا هذه لا تقتصر على بركة الاب وشكر
بل تضم إلى حمد الاب الذي ارسل الابن لخلاصنا ذكر هذا الخلاص الذي تم لنا
بالأبن ، وخاصة ذكر العشاء السري حيث ترك لنا المسيح جسده ودمه عربون
القيامة المجيدة ، ومن بعد شكر الاب وذكر الابن تختم الصلاة بدعوة الروح
القدس على القرابين والمقرّبين لتقدس الجميع في شركة واحدة هي الكنيسة
المقدسة المشتركة في القربان .

وهذا ما يتبين بوضوح كلي في صلوات الافخارستيا العائدة للقرن الرابع
والمتحدرة منها صلواتنا الحاضرة . لم يعد لنا نصّ كامل لنافور يعقوب الاورشليمي
في القرن الرابع لكننا لا نزال نحتفظ بصلاة افخارستيا نموذجية هي المذكورة في
الكتاب الثامن من مجموعة « المراسيم الرسولية » والمنسوبة إلى البابا اقليمس الاول
الخليفة الثالث لمار بطرس .

اذا ما عدنا إلى القرن الرابع الذي ترك لنا هذه الصلاة المذكورة في المراسيم
الرسولية وفي القداس المنسوب إلى باسيليوس الكبير وحتى إلى النص الحاضر
لنافور مار يعقوب لتبين لنا ان صلاة الافخارستيا تؤلف وحدة واحدة منذ
بدايتها حتى ختامها وانها تهدف إلى حمد الاب وشكره على التدبير الخلاصي
للانسان « اذ خلقه ووعده بالمخلص من بعد سقطته وارسل إليه الانبياء وفي النهاية
ارسل إليه الابن الوحيد الذي صار إنساناً ليقود الانسان إلى الله » .

وعاش الابن مع الناس ، وفي ليلة الآمه اعطانا جسده ودمه مأكلاً ومشرباً
عربوناً للحياة الابدية ،

ثم صعد إلى السماوات وارسل الينا الروح القدوس الذي تدعوه الكنيسة على
قربانها ليقدّسه ويقدس المشتركين فيه لأنه ينبوع كل قداسة وحياة .

وتهدف هذه الصلاة إلى تمثيل الخلاص تمثيلاً حيّاً اذ تقدم الشكر للاب

وتحيا مع الابن وتسأل التقديس من الروح ليكون القربان تمثيلاً حيّاً وذكراً ليتورجيا لآلام المسيح وقيامته ذروة الخلاص وقمته .

ان هذه الصلاة الواحدة والمثلثة التقسيم قد اعتراها في سياق كلامها اناشيد تسابيح اعتراضية قطعت الصلاة دون ان تقطع معناها . وكان من محاسنها انها وضعت كي لا يظل الكاهن وحده بصلاة واحدة لا يشترك فيها الشعب إلاّ في « امين » الختامية . بل قد دخلتها منذ القديم بعض الاجوبة الموافقة لروح الصلاة الواحدة . فقد دخل نشيد الملائكة : « قدوس » عندما يذكر ان الله تمجده الناس على الارض مع الملائكة التي تمجده في السماء قائلين : قدوس ... ومن بعد ذكر العشاء السري، يهتف الشعب انه يقدم القربان في ذكرموت المسيح وقيامته . وعند هذا التذكار الحي المبشّر بحياة لا تنتهي « يسبّح الشعب ويبارك ويمدح ... » وقبل ان يدعى الروح القدس ينبّه الخادم الشعب إلى هذه الساعة الرهيبة ويطلب اليهم ان يتخشعوا ويتهيبوا .

رغم كل هذه التسابيح الاعتراضية تبقى صلاة الشكر صلاة واحدة تعتبر انها هي التي متى انتهت تقدس القرابين اذ تعيد ذكر العشاء السري بكامل اجوائه .

٣ ــ الحالة الحاضرة في النافور الماروني

ان النافور الماروني الحالي واقع تحت تأثيرات ثلاثة في صلاته القربانية :

١) **النسق الاورشليمي الانطاكي :** تقسيم الصلاة القربانية إلى ثلاثة اقسام : شكر الرب وذكر الابن ودعوة الروح القدس مع كل ما يتخلل هذا التقسيم من اجوبة وهتافات .

٢) **التأثير اللاتيني :** في نقل الكلام الجوهري اي نصّ العشاء السريّ

وهو ترجمة حرفية عن نص القداس اللاتيني . اما دعوة الروح القدس فقد تغيرت وتبدلت تحت تأثير الافكار اللاهوتية اللاتينية .

٣) تأثير شرر : ففي نافور شرر تقع التذكارات ما بعد ذكر الابن وقبل دعوة الروح القدس . ولذلك فان النافور الحالي قد ابقى ذكر العذراء قبل دعوة الروح .

بسبب هذه التأثيرات المتعددة ، فان وحدة الصلاة القربانية قد تحطمت ولم تعد واضحة اذ اضمحلّ القسم الاول من الصلاة القربانية اي شكر الاب امّا بابقائه سراً في السريانية واما باسقاطه كما في النافور الروماني . وبادخال نص العشاء السري التابع للقداس اللاتيني في كل النوافير انقطع المعنى المعهود في تقديم التدبير الخلاصي وانكسرت الصلة بين القسم الاول بشكر الاب والقسم الثاني بذكر الابن . والشيء نفسه بما يختص بالقسم الثالث اذ تهشمت المعاني الاصلية وابدلت بتراكيب جديدة لا تتبع الأصول .

رغم كل هذا فان الصلاة القربانية لا تزال ذات طابع انطاكي انما مشوّهة التقاطيع . ولا بد لنا ان ندخل في التفاصيل لنشرح محتوياتها قطعة قطعة وهي الآتية :

١ ـــ افتتاح الصلاة بالسلام والبركة على الشعب

٢ ـــ الدعوة إلى التنبه : « لنرفع قلوبنا ... »

٣ ـــ بدء الصلاة : مقدمة قدوس

٤ ـــ قدوس

٥ ـــ الشكر لله الاب على احساناته

٦ ـــ ذكر الابن في تدبيره الخلاصي

٧ ـــ دعوة الروح القدس على القرابين والمؤمنين .

١ – السلام او البركة

« يصنع الكاهن اشارة الصليب بالنافور على وجهه وعلى الشعب من يمين المذبح ومن شماله وهو يقول: «محبة الله الآب ...» يبدأ الكاهن بالصلاة القربانية بالتسليم على الشعب . في القداس اللاتيني والقبطي يقول فقط : «الرب معكم ..»

اما في باقي الطقوس فانه يستخدم السلام الوارد في آخر رسالة بولس الثانية إلى القرنثيين : «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس فلتكن مع جميعكم» (١٣/١٣) . ولا يزال الطقسان الكلداني والبيزنطي يستخدمان هذا السلام كما ورد في رسالة بولس . اما الطقس السرياني فقد بدل نظام تسمية الاقانيم ليكن اكثر مطابقة للعرف الحاضر : «محبة الله الاب ونعمة الابن الوحيد وشركة وحلول الروح القدس ...» اما بان يبارك بالنافور امام وجهه وعن يمينه وشماله فهو التسليم المثلث على فئات الشعب الموجود في الكنيسة ، على الكهنة والشمامسة حول المذبح ثم على الشعب وراءه يمنة ويسرة .

وعلى هذا التسليم يجيب الشعب : « ومع روحك ». وبعد ذلك « يصنع الكاهن اشارة الصليب على التقدمة ثلاث مرات وفي كل مرة يقول : المجد للاب والابن والروح القدس ، السر المسجود له والممجد والذي لا انقسام فيه الآن والى ابد الابدين ». وتتابع الروبريكه : « في المرّة الاولى يرفع الغطاء عن الصينية وفي الثانية عن الكأس وفي الثالثة يرد غطاء الكأس عليه » .

ان هذه المجدلة وهذه الحركة المثلثة لا شرح لها إلا في ما اوردت المخطوطات من نافور شرر ، وهو ان الكاهن كان يسجد مثلثاً امام المذبح قائماً بمطانيات

ثلاث وهو يقول كل مرة : «المجد للاب ... السر المسجود له ...» وقد انتقل الحركة والمجدلة إلى النافور الماروني وحده ولا معنى لها قطعياً اليوم في الطريقة الحا ان يرفع الغطاء عن الكأس فيصلّب ثم يعيد الغطاء إلى الكأس ...

٢ – « لنرفع قلوبنا ... »

كانت العبارة بالأساس : « لنرفع قلوبنا إلى العلى»[١] فيجيب الشعب : « ا عند الله » . وقد اضيف إلى « القلوب » «الافكار والعقول» وكل هذه الالفا تعني الشيء نفسه اي « الالباب ، او « الافكار » .

اما الدعوة الثانية : « فلنشكر الرب بخوف ونسجد له برعدة » فقد كانت فقط : فلنشكر الرب . وتعني العبارة : فلنؤدّ صلاة الشكر او صلاة الافخارستيا . وقد وردت العبارة باليونانية بلفظة : « فلنقم صلاة الافخارستيا او باللاتينية : « صلاة الشكر » . وقد اضيف فيما بعد لفظة « بخوف » ا بخشية واحترام ثم اضيفت العبارة الثانية « فلنسجد برعدة » وهي بالمعنى نفسه اي فلنعظم الله برهبة وخشوع .

ومن بعد جواب الشعب : « انه لواجب ولائق » تبدأ الصلاة القربانية او صلاة الشكر ، يقطعها نشيد قدوس ، وتتبع فيما بعد .

٣ – مقدمة قدوس [٢]

لم تكن تحمل هذا الاسم بل كانت بالاساس بدء الصلاة القربانية بمثابة مقدمة ترفع التسبيح والتعظيم إلى الله الاب الذي تمجدّه الملائكة في السماء . وعلى ذكر الملائكة الذين يمجدون الكلمة الالهية هاتفين قدوس... يشترك المؤمنون في هذ

---

(١) راجع مواعظ تيودورس المصيصي من القرن الرابع .

(٢) لكل هذه الشروح ، يمكن مراجعة كتاب : L. Bouyer, Eucharistie, 1966.

التسبحة الملائكية . اما هذا القسم السابق قدوس فقد اطلق عليه في الطقس الروماني اسم « مقدمة » .

٤ – قدوس

يتألف من نشيد السارافيم المذكور في أشعيا (٣/٦) ومن الهتافات المذكورة في الانجيل يوم الشعانين والمتخذة عن المزمور ٢٥/١١٧ . ان تاريخ دخول هذه التسبحة إلى هذا الموضع من القداس مختلف فيه اذ يتبين من كثير من النوافير ان التسبحة شطرت بدء الصلاة القربانية شطرين . ولكنها رغم هذا فهي معروفة في القرن الرابع وهي مذكورة في المراسيم الرسولية وعند القديس اثناسيوس والقديس يوحنا فم الذهب ولكنها غير موجودة في التقليد الرسولي المنسوب لهيبوليطوس . ويظن انها دخلت القداس قبل القرن الرابع وربما كان تحت تأثير الصلوات اليهودية.

٥ – شكر الأب على انعاماته

هي الصلاة المختصة بشكر الاب على انعامه وهي طويلة في اقدم النوافير مثل نافور باسيليوس ويعقوب والمراسيم الرسولية وتيموتاوس الاسكندري الخ ... وتختصر هذه الصلاة بايراد اهم مراحل التدبير الخلاصي : الخلق ، الوعد بالخلاص ، التوراة ، الانبياء ، ثم اخيراً الابن الوحيد . وتطول الصلاة او تقصر بحسب النسج على هذه الافكار الأساسية . اما اليوم فان هذه الصلاة مجهولة او تكاد في القداس الماروني اذ سقطت في النافور الروماني وبقيت سرّية في سائر النوافير يتلوها الكاهن بينما يرتل الشعب « قدوس » .

٦ – ذكر الابن في تدبيره

يبدأ هذا الذكر عندما تنتهي الصلاة من شكر الأب على انعامه ثم تذكر تجسد الابن الوحيد وتبدأ بالتفصيل عن كيفية حدوث الخلاص بواسطة الابن . ويعود التطويل او التقصير إلى نفس المؤلف الذي يمكنه ان يتوقف على كل

مراحل حياة الابن فيما بيننا كما انه يمكنه ان يختصر هذه المراحل ببضع كلمات او عبارات . وتتوقف أكثر النوافير على قمة الخلاص اي الآلام والموت فتذكر بنوع خاص العشاء السري وكيف اخذ يسوع خبزاً بيديه واعطى تلاميذه قائلاً « خذوا كلوا هذا هو جسدي ... » وربما وقعنا على بعض النوافير التي تقصر كل سيرة المسيح الخلاصية دون ان تتفصل في ذكر العشاء السري وربما ايضاً دون ذكر قسم منه او اهماله بكامله كما في نافور الرسل الكلداني .

ولكن في كل قصة الخلاص هذه توجه الصلاة إلى الأب كما في القسم الاول منها «جاء ابنك إلى العالم ...»، إلاّ ما تتميز به الصلاة القربانية في شرر وفي النافور القبطي المنسوب لغريغوريوس حيث توّجه الصلاة للابن مباشرة . اما الحالة الحاضرة في النافور الماروني فقد اتخذ النص اللاتيني لكل النوافير ولكنه هو ايضاً في القداس اللاتيني موّجه للاب كما في النافور السرياني الانطاكي . ولكن الكلام في بدايته يعود إلى كلام سابق موجود في النافور اللاتيني وغير منقول إلى النافور الماروني اذ يبدأ النص بضمير عائد إلى غائب نعرفه ضمناً ولا نجده في النص ، وهو هذا القول : « في الليلة التي اسلم فيها اخذ ... » من هو هذا الذي اسلم ؟ يعود النص الأصلي إلى عبارة تتضمن اسم يسوع ولكن العبارة سقطت وابتدأ النص كما ذكرنا ، وقد يحدث ان يتبع النص المذكور النص السابق في بعض النوافير الحالية كما في نافور يعقوب ولكنه ربما يتبع عبارة تعود إلى الروح القدس كما في نافور يوحنا الانجيلي .

اما عن النص الحالي لذكر العشاء السري فقد قلنا سابقاً انه ترجمة حرفية للنص اللاتيني ما عدا لفظة « قدّس » الذي اضيفت فقط من بعد الطبعة الثالثة وكانت قد سقطت في الطبعة الثانية وفي نصف النوافير الواردة في الطبعة الأولى .

اما تسمية « الذكر » بنوع خاص فيعود إلى ما يلي نص العشاء السري

مباشرة عندما يعيد الكاهن عبارة المسيح : « اصنعوا هذا لذكري حتى مجيئي -» ، فيجيب الشعب : «اننا لنذكرنّ موتك يا رب ...» و « للذكر » في صلوات الطعام اليهودية مقام خاص يجعل من الطعام «قرباناً » مقدساً لله . وتوجد وصيّة الرب هذه في جميع الطقوس ما عدا في النافور البيزنطي المنسوب ليوحنا فم الذهب .

المجيء الثاني

ينتهي جواب الشعب على الذكر بالقول : « واننا لننتظر مجيئك الثاني » فيجيب الكاهن مفصلاً هذه الفكرة متوقفاً بنوع خاص على صورة المجيء الثاني وخاتماً كلامه بطلب الرحمة فيهتف الشعب : « ارحمنا ايها الرب .. ارحمنا » . ويتابع الكاهن في معنى صلاة الشكر فيؤدي الشكر على كل شيء ومن اجل كل شيء فيجيب الشعب بهتافات المديح والشكران والتسبيح : « اياك نمجّد ، اياك نبارك ، لك نسجد .. » ان هذه الهتافات تدخل تماماً في قلب صلاة الافخارستيا وتشرك الشعب اشتراكاً فعلياً في تأدية الشكر لله الآب .

تجدر الملاحظة إلى أن نافور مار يعقوب لا يكتفي بذكر المجيء الثاني بل يضيف تقدمة القربان للاب « كي يعاملنا الله بالرحمة ». وقد اخطأ صاحب النافور الروماني في التأليف اذ وجّه الصلاة للابن بدل ان يوجهها للأب واضاف تقدمة القربان للابن وهذا غير مألوف في النوافير السريانية .

ذكر العذراء

يأتي ذكر العذراء بحسب النافور الانطاكي السرياني في بدء الديبتيكا الرابعة المخصصة للعذراء والقديسين وذلك في مكان الديبتيكات او التذكارات ما بعد دعوة الروح القدس . ولكن نافور شرر يجعل التذكارات كلها قبل دعوة الروح القدس ، وقد ابقى النافور الماروني ذكر العذراء وحده بحسب نافور شرر وترك سائر التذكارات إلى ما بعد دعوة الروح .

٧ — دعوة روح القدس

سبق واظهرنا كيف ان دعوة الروح القدس تكمل وتختم صلاة الافخارستيا ، ولكن التطور الفكري اللاهوتي الذي حدث لهذه الصلاة طويل وشائك ويمكننا ان نختصره ، رغم ان في الاختصار بعض النقص في التعبير ، على الوجه التالي :

أ — **المرحلة الأولى :** ما قبل القرن الرابع : نجد ذكراً لدعوة الروح تعني تقديس القرابين والمقربين وتشدد بنوع خاص على تقديس الذين يشتركون في القرابين كما ورد في التقليد الرسولي في بدء القرن الثالث .

ب — **المرحلة الثانية :** دعوة الروح ضرورية للصلاة القربانية ولا صلاة قربانية كاملة بدون ان تنتهي بدعوة الروح المحيي الذي يقدس كل شيء . هذا لا يعني ان دعوة الروح هي كل شيء في الصلاة القربانية بل ان الصلاة تظل ناقصة والتقديس غير حاصل اذا ما اسقطت منها دعوة الروح القدس مبدأ كل تقديس .

ج — **المرحلة الثالثة :** وهي التفكير الحالي لبعض الكنائس الشرقية وهي غير تقليدية في النافور الانطاكي الاورشليمي : وحدها دعوة الروح القدس تكفي لتقديس القرابين ، وما يسبقها من الصلاة القربانية هو غير ضروري وغير جوهري . هذا خطأ . الصلاة القربانية تؤلف وحدة واحدة متناسقة الاقسام بتناسق الاقانيم الثلاثة المذكورة : الاب والابن والروح .

من غير الممكن ضمن هذا الدرس معالجة قضية دعوة الروح بكامل تشعباتها ولكنه علينا ان نشير إلى اهميتها في النافور اذ بدونها يعتبر التقديس لم يحصل بعد . وهنا علينا الآن ننظر إلى الصلاة القربانية نظرة القانوني المتسائل بل نظرة المصلي والمشترك في رتبة جماعية يعتبر نفسه في اطار هذه الصلاة

المثلثة ، بدون ان يتساءل في اية لحظة من اللحظات يتحول جوهر الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح . ان الصلاة القربانية بكاملها تؤلف منهج الخلاص الكامل ولذلك فان الكنيسة تعتبر ان الصلاة لم تنته وبالواقع القربان لم يكمل والشكر لم يتم إلاّ بتمام الصلاة ودعوة الروح .

وتتألف الصلوات العائدة لدعوة الروح من القطع الآتية :

اعلان الشماس : ما ارهب الساعة يا احبائي ، اذ ينحدر الروح القدس ويستقر على هذه التقدمة ... فقفوا إذا بالاستكانة والرهبة ..

صلاة الكاهن السرية : ارحمنا يا رب ... وارسل الينا روحك القدوس ... المحي ... ليقدس ... ويغفر ..

الركوع على الركبتين والهتاف : « استجبني يا رب » (ثلاث مرات) وهي بالاساس مطانيات ثلاث قبل تمام دعوة الروح .

التصليب المثلث على القرابين : وليجعل هذا الخبز جسد المسيح الهنا ، وليجعل هذه الكأس دم المسيح الهنا .

ختام الدعوة : فتكون هذه الاسرار لمسامحة ذنوبنا ... وتوطيد ضمائرنا في الحق .. وللحياة الابدية ، ويجيب الشعب : امين .

د ــ الحالة الحاضرة : في الطبعة الاولى سيطرت الافكار اللاهوتية على المعاني الطقسية وابدلت نصوص كل النوافير المطبوعة بحيث يبقى النص ويتغير المعنى . وكانت المشكلة بنظر اللاهوتيين الغربيين لاهوتية بينما هي بالواقع طقسية كما سبق وشرحنا . وقد خلق هذا التبديل في النصوص مشكلة حملت البطريرك الرزي على منع الطبعة الاولى . ولكن الأمور تطورت فيما بعد . اما كيف

تبدلت النصوص فهذا يعود إلى كل نافور لكن الجوهري منها أصلح كما يلي :

كان النص بالأساس : « وليجعل هذا الخبز جسد المسيح الهنا » ،

– « وليجعل هذه الكأس دم المسيح الهنا » ، فاضيفت لفظة « لخلاصنا » في نهاية العبارة واصبحت كما يلي :

– «وليجعل هذا الخبز جسد المسيح الهنا لخلاصنا» فبدل ان تكون لفظة «جسد» مفعول به اصبحت بدلاً من الخبز واصبح المفعول : « لخلاصنا » ، وتبدل المعنى دون ان تسقط النصوص .

في ختام الكلام عن الصلاة القربانية ، نجد ان الصلاة بكاملها تصدّعت تحت تأثير الافكار اللاهوتية . والخطأ في ذلك هو عدم التمييز بين كتب اللاهوت وكتب الطقوس التقليدية ثم المزج بين نظرتين لاهوتيتين مختلفين : غربية وشرقية .

ثالثا : ما بعد الصلاة القربانية

بعد أن يتقدس القربان بصلاة الافخارستيا ، تشترك الكنيسة في تذكارات أو طلبات عامة من أجل جميع الناس ، أحياء وأموات . وكأنها بهذه التذكارات تريد أن تشرك الكنيسة كلها في القربان شركة روحية قبل أن تدعوها الى وليمة الحمل .

ولذا فاننا سنتوقف على شرح التذكارات قبل أن ننتقل الى رتبة المناولة والى ما يسبقها من استعداد .

١ — التذكارات

١ — تعرف التذكارات بأسماء مختلفة : «الطلبات» «والتوبدانيات » والديبتيكا. ولفظة «توبدانيات» هي جمع للكلمة السريانية «توبْ» أي «ايضاً» اذ كانت كل طلبة أو تذكار تبدأ «بأيضاً وايضاً» «توب وتوب» فعرفت بالتوبدانيات .

أما لفظة «ديبتيكا» فهي يونانية ومعناها «لوحان» اذ كانت التذكارات تسجّل على «لوحين» لوح يحمل أسماء الاحياء ، وآخر الاموات . وكان شماسان يتناوبان على قراءة ما كتب على « اللوحين » فتارة يبدآن بأسماء الأحياء ، كما في القداس السرياني الانطاكي ، وطوراً بأسماء الأموات كما في القداس البيزنطي .

حالة هذه التذكارات في النافور الانطاكي اليوم هي الآتية :

تقسم التذكارات عادة الى فئتين : الاحياء والاموات ، وكل فئة ثلاثة تذكارات . **الاحياء :** السلطة الكنسية ، السلطة المدنية ، الشعب . **الأموات :** القديسون ، الملافنة أو المعلمون ، الموتى عموماً. هذه هي القاعدة العامة في النوافير العادية ، ولكن ربما سبق تذكار آخر كأن يذكر الشعب قبل السلطة المدنية ، أو ربما كانت التذكارات خمسة بدل أن تكون ستة ، أو اختلط تذكار بتذكار الخ ...القاعدة الحالية هي أن يتولى الكاهن بنفسه تلاوة التذكار ، فيتلو القسم الأول منه سرّاً – ولذا فقد بقي هذا القسم بالسريانية في كتاب القداس – ثم يختمه باعلان هو بالواقع خاتمة الصلاة فقط ، وغالباً ما يبقى القسم الأكبر من التذكار سرياً ولا يعبر الاعلان كفاية عن المعنى . يجيب الشعب على كل طلبة : آمين ، كيرياليسون .

هذه هي الحال، أما التاريخ فاننا نكتشفه بالعودة الى كتاب «المراسيم الرسولية» حيث نجد ما يلي :

من بعد الصلاة القربانية تحتم «المراسيم» على الاسقف والكهنة أن يتلوبأنفسهم مجموعة التذكارات « التي تقدم الذبيحة من أجلها » ، وهي تذكارات مطولة تشمل الكنيسة على مختلف فئاتها . وفي الختام كان الاسقف يبارك الشعب فيسرع الشماس عندئذ الى تلاوة سلسلة من الطلبات يجيب الشعب عليها : كيرياليسون .

فاذا عدنا الى ما قبل المراسيم الرسولية أي الى «التقليد الرسولي » في بدء القرن الثالث ، أو الى «تعليم الرسل» المعروف «بالديداكه» في نهاية القرن الأول لتبين لنا أن التذكارات كانت ملحقة بالأساس بصلاة الافخارستيا كأنها تؤلف معها وحدة لا تتجزأ ، اذ كانت الصلاة تنتهي بطلبة من أجل وحدة الكنيسة لتكون «كالخبز الذي كان منتثراً في الجبال فأصبح واحداً». ويمكننا أن نعود الى أبعد من

ذلك في تاريخ التذكارات عندما نتفحص الصلوات اليهودية المعروفة «بالبركات» والتي استمرت منها « صلاة الشكر » المسيحية الاسلوب والطريقة . ففي ختام « البركات » كان المحتفل يذكر الشعب اليهودي المتبدد ويطلب من الله أن يجمعه حول أورشليم . فمن أورشليم الأرضية الى الكنيسة شعب الله وأورشليم الروحية خطوة صغيرة ، هذا وان النافورين الكلداني والماروني القديم يضعان التذكارات في قلب صلاة الشكر بالذات ، قبل دعوة الروح القدس ولا يزال ذكر العذراء في القداس الماروني الحالي في هذا الموقع بالذات . كما وأن النافور اللاتيني يجعل التذكارات من ضمن صلاة الشكر . ماذا نستنتج من كل هذا ؟

أولاً : تعتبر التذكارات قسماً مهماً من القداس اذ هي اشتراك حي في القربان وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصلاة الشكر ، وذلك منذ تأسيس الافخارستيا، ومنذ أن صلّى المسيح في العشاء السري « ليكونوا واحداً » .

ثانيا : تتبع التذكارات هذه أي النوايا التي من أجلها يقرّب القربان طلبات يصعّدها الشماس باسم الشعب وتتناول مختلف الرغبات التي يعبّر عنها المؤمنون ؛

٢ – ختام التذكارات والمجدلة

تختم التذكارات اليوم بصلاة عامة هي بمثابة مجدلة«يمُدح ويبجّل بها اسمك المبارك مع ربنا يسوع المسيح وروحك القدوس ... » (١) وعليها يجيب الشعب : « كما كان وهو الآن ، هكذا يكون الى الأبد » . ان دلّت هذه المجدلة على شيء فهو على ارتباط التذكارات بصلاة الشكر التي كانت تنتهي بمجدلة مفخمة من هذا النوع ، كما وأن جواب الشعب هو أيضاً دلالة على ختام صلاة الشكر بهذا

(١) نافور الأثني عشر .

الشكل . هذا مع العلم أن العودة الى المستندات القديمة والى سائر الطقوس تثبت هذا القول .

بعد ذلك يمنح المحتفل البركة ، كما ورد في «المراسيم الرسولية» وبذلك يختم صلاة الشكر ببركة كما بدأها ببركة أيضاً .

تبقى كلمة أخيرة عن العبارة التي ترد فيها البركة : نقول اليوم : «فلتكن مراحم الله الآب ومخلصنا يسوع المسيح وحلول الروح القدس معنا ومعكم يا أخوتي إلى الأبد» ، هي اذا ثالوثية بشكلها الحالي . أما شكلها القديم فكانت مسيحانية محضة وهي مأخوذة عن بولس الرسول في رسالته الى تيطس ٢ / ١٣ وكانت بالاصل : « مراحم الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح ...» وبما أن لفظة «عظيم» بالسريانية هي «رَبُا» وهي قريبة من لفظة الآب « ابُا » فقد أبدلت لفظة بلفظة وحوّلت البركة من مسيحانية الى ثالوثية . والشاهد على ذلك ما ورد في مخطوطات القداس القديمة المارونية والسريانية .

يمكننا الآن أن ننتقل الى رتبة المناولة على ما تتضمن هذه الرتبة من مقدمات أهمها : الكسر ثم الاستعدد بالتوبة .

المناولة

من بعد التقديس والتذكارات يسير العمل الطقسي في القداس نحو الاشتراك في القربان أي المناولة . ولكن الاقدام على هذا العمل اتخذ بالنسبة لأهميته طابع رتبة شبه مستقلة تسبقها أعمال وصلوات استعدادية مختلفة ، ولذلك فأنه ينبغي لنا أولاً أن نشرح كل ما يسبق المناولة من بعيد أو قريب قبل أن نصل الى فعل المناولة بحصر المعنى . هذا وبما أن القداس الماروني يحمل معه على مرور الأيام تأثيرات متعددة فأنه لن يكون من السهل توضيح كل الغوامض . على كل حال ، نبدأ بتعداد ما جاء قبل المناولة وعندها وبعدها ثم ننتقل الى التفصيل والدرس .

١ ـ ما قبل المناولة :

صلاة الكسر والرسم

رفع القربان وباعوت «ايها الآب الحق »

الكرازة : فلنطلب

الصلاة الربية

احناء الرأس والبركة

الدعوة للمناولة : الاقداس للقديسين

٢ ــ المناولة

الكسر والمزج

مناولة الكهنة والاكليروس

الزياح ومناولة الشعب

٣ ــ بعد المناولة

تنظيف الآنية

صلوات الشكر

صرف المؤمنين والبركة الأخيرة

ما قبل المناولة

أولا : صلاة الكسر والرسم

من الصعب أن نجد في الوقت الحاضر عنوانا واضحاً موافقاً لهذه الصلاة . فالكاهن يقوم بها وهو يرسم ثمانية عشر صليباً بالقربان المقدس فوق الكأس . ولا نجد عنواناً لها إلا في العودة الى المخطوطات القديمة والى سائر الطقوس السريانية حيث تدعى صلاة « الكسر والرسم » . ونعني بالكسر تجزئة القربان الى قسمين أو أكثر وبالرسم تغطيس القربان في الكأس بشكل صليب . ثم نضح سائر أجزاء القربان المقسوم بالدم المقدس .

هذا هو المعنى البديهي للعنوان القديم ، لكن الكاهن اليوم في القداس الماروني لا يكسر هنا ولا ينضح ، بل يكتفي بتلاوة الصلاة وهو يرسم صلباناً فوق الكأس .

ومن هنا السؤال : ما معنى هذه الصلاة ؟ هل هي صلاة الكسر والرسم ؟هل هي عريقة في هذا الموضع ؟

للجواب على هذا السؤال ينبغي علينا التدقيق في نصّ الصلاة بالذات وفي موضع رتبة الكسر والرسم في القداس الماروني ، ثم في الطقسين الكلداني والسرياني القريبين من القداس الماروني ، واخيراً في المستندات القديمة وفي الرتب المشابهة .

١ ـ الصلاة الحالية والرتبة في القداس الماروني

تسبق الصلاة في كتاب القداس الحالي توجيهات تدعو الكاهن الى عدم الكسر عند قوله «نكسر» بل بالاكتفاء بشبه الكسر اذ يلمس القربان من أطرافه الأربعة ، ثم تدعوه أيضاً الى « صنع اشارة الصليب بالقربانة على الكأس » عند لفظة «نرسم» وعند علامة الصليب الموضوعة ثمانية عشر مرة ضمن نص الصلاة بالذات .

يمسك الكاهن القربان بيديه ، ثم يرفعه فيما بعد فوق الكأس وهو يقول :

« آمنا وقرَّبْنا ،

ـ « نختم

ـ « ونكسر هذه الافخارستيا ، الخبز السماوي ، جسد الكلمة الله الحي ،

ـ « ونرسم كأس الخلاص والشكر بالجمرة الغافرة والمملؤة اسراراً من العلى ،

ـ باسم + الاب + الحي + للحياة ،

ـ والابن + الوحيد + والقدوس + المولود منه ومثله الحي للحياة،

+ والروح + القدس + بداية ونهاية وختام كل ما كان ويكون في السماء والأرض .

– + قوة + واحدة +

– + سلطان + واحد +

– + مشيئة + واحدة +

– إله واحد حقيقي مبارك ومتعال لا انقسام فيه الذي منه الحياة الى الأبد ،

(الشعب) : آمين »

عند التدقيق في مفردات وعبارات هذه الصلاة ، يتبين أنها تحمل الكثير من المعاني بعضه واضح وبعضه يحتاج الى شرح وتوضيح . كما وأننا نذهل ويذهل الشعب معنا عندما يرى الكاهن يرسم كل هذه الصلبان بالقربان فوق الكأس . هذا مع العلم أن الكاهن اليوم يتلوها سراً بينما ينشد الخادم أو الشعب : «فلنطلب كلنا...». وبالنظر الى النص الحالي في كتاب القداس وفي جواب الشعب : «آمين» ، يظهر جلياً أن الصلاة كانت علنية وأن الجمهور كان يجيب عليها بآمين.

لا شك أن الشرح لا يخلو من صعوبة ، إن من حيث معنى الالفاظ وان من حيث الاعمال . فلنبدأ بالتوقف على معنى الالفاظ .

ما هو معنى المفردات والعبارات بالضبط ؟

– «آمنا وقرّبنا» : يعني الكاهن بذلك أنه انتهى من تقدمة القربان ، العمل الذي قام به عن ايمان حق . يجدر التوقف على شكل الفعل بالماضي وعلى صيغته بالجمع . نفهم من كل هذا أن الكاهن يعلن أن التقدمة قد تمّت على يد الكنيسة المؤمنة . ثم يتابع :

– «نختم ونكسر هذه الافخارستيا ...»

نلاحظ أولاً الانتقال في الأفعال من صيغة الماضي الى الحاضر : «نختم» كأنه يقول: واما الآن فمن بعد أن قدمنا القربان فاننا «نختمه»... ويفهم بلفظة «نختم» أي «ونضع الختم على» بمعنى أنه يبارك بالصليب او «بشكل صليب» ، واللفظة نقل عن اليونانية « سفراغيس » وتستخدم في سرّي المعمودية والميرون اذ « يختم » الكاهن المعمّد بالصليب أو بالميرون .

ونظن أن الكاهن كان يبارك القربان الموضوع على الهيكل بالصليب المقدس المتضمن ذخيرة عود الصليب ، ربما للقرابة القائمة بين الصليب والقربان وربما علامة الانتهاء من رتبة ما كما في كل الرتب اذ يختم الكاهن بالصليب حسب العادة المألوفة . فيكون معنى «نختم» أنه يبارك القربان بالصليب علامة الانتهاء من رتبة التقدمة .

— « ونكسر هذه الافخارستيا ، الخبز السماوي ، جسد الكلمة الله الحي» : الفعل الاساسي للعبارة هو «نكسر» ولا يمكننا أن نفهم به إلاّ العمل المباشر لكسر القربان وتجزئته خاصة وأنه يشدد على أوصاف القربان : الافخارستيا ، الخبز . الجسد . ولا مجال إلى أن نفتش عن معنى آخر لكلمة «نكسر» .

— « ونرسم كأس الخلاص والشكر بالجمرة الغافرة والمملؤة اسراراً من العلى» :

يتابع الكاهن فيرسم الكأس بالقربان الذي كسره الى أجزاء يدعى كل منها «جمرة» نسبة الى اللفظة السريانية «غمورتا» التي تعني أمرين : «جزء من القربان» او «جمرة مشتعلة» وهي وصف حيّ للقربان الذي تشتعل فيه الوهية المسيح . والجدير بالذكر أن القربانة الكبيرة بكاملها لا تدعى «جمرة» بل الجزء الصغير منها ، وهذا ما يؤكد لنا عمل الكسر الذي سبق ذكره . أما معنى «نرسم كأس الخلاص والشكر بالجمرة» فذلك أنه كان يأخذ الجزء الصغير من القربان ويغطسه في الكأس». وسيتبين لنا من متابعة النص أنه كان يغطسه بشكل صليب ومثلثا على اسم الثالوث :

« + باسم الآب + الحي + للحياة ،

والابن + الوحيد + والقدوس + المولود منه ومثله الحي للحياة ،

« والروح + القدس + بداية ونهاية وختام كل ما كان ويكون في السماء والأرض ».

عندما ننظر عن قرب الى ذكر الأسماء الثلاثة والى الأوصاف التي وضعت لكل منها ثم الى الصلبان المتعددة التي ترافقها نتساءل عن معنى كل هذا ! لماذا أضيف الى ذكر الأب وصف «الحي للحياة» ، والى الابن الذي هو مثله « الحي للحياة » والى الروح القدس « بداية ونهاية » ؟ لا شك أن لهذه الألفاظ معان خاصة في هذا الموضع بالذات ومع العمل الطقسي الذي يرافق هذا الكلام !

لماذا يشدد الكاهن على ذكر الله «الحي للحياة» بينما هو يغطّس الجزء الصغير من القربان في الكأس بشكل صليب ؟ ثم لماذا يكثر من الصلبان ! أيكون ذلك دائماً ضمن الكأس أم فوقها بالجزء الصغير ام على ما تبقى من القربان على الصينية ؟

ان الحركة التي يقوم بها الكاهن اليوم، أن يرسم «صلباناً » فوق الكأس، لا معنى لها وخاصة اذا تعددت الصلبان . كما وأن الكتب الطقسية المارونية لا تعطي جواباً وافياً عن هذه الأقوال والصلبان ومعانيها . ولذلك علينا أن ندقق في الأمر متعمقين بالبحث لا في القداس الماروني وحسب بل وفي سائر الطقوس وخاصة السريانية منها .

وما نقوله عن ذكر الثالوث وعن الصلبان المرافقة له ، نقوله أيضاً عن متابعة الكلام في ذكر الثالوث ، وقد جاء بالحرف :

« + قوة + واحدة + ، + سلطان + واحد + ، + مشيئة+واحدة + ، إله واحد حقيقي مبارك ومتعالٍ لا انقسام فيه الذي منه الحياة الى الأبد » .

لماذا كل هذه الصلبان أيضا وكيف كانت ترسم وأين ؟ هل فوق الكأس أو ضمنه أم على الخبز بالخمر ؟ ولماذا التشديد على وحدانية الأقانيم في الثالوث في هذا الموضع بالذات ! ألم يكن يكفي أن «يغطس الكاهن القربان في الكأس «باسم الاب والابن والروح القدس » دون تكرار صفة الوحدانية في القوة والسلطان والمشيئة ؟

لا فائدة في استباق النتائج . علينا أولاً العودة الى الرتبة هذه كما تقام عند الكلدان ثم عند السريان ، وعلينا فيما بعد الغوص في المستندات القديمة ولا شك أن الأمور ستزيد ايضاحاً ويسهل عندئذ الحكم عليها .

٢ ـ الرتبة عند الكلدان

لا داعي للتكرار بأننا نطلق اسم «كلدان» على الطقس السرياني الشرقي بكامله كما هو مستخدم عند السريان المشارقة المعروفين بالاشوريين وعند الكلدان الكاثوليك . ولشرح الرتبة بالذات نعود الى كتاب القداس الكلداني الكاثوليكي الشبيه في هذه الرتبة بالطقس غير الكاثوليكي (١) .

من بعد دعوة الروح القدس والمجدلة التي تنهي الصلاة القربانية يبدأ الكاهن برتبة توبة تتضمن البخور وتلاوة المزامير وأخصّها : ارحمني يا الله . ثم يعرض يديه للتبخير ويقبل الاسرار ويبدأ برتبة الكسر والرسم :

«يشد على القربان بيديه ويقول : نتقدم يا رب بالايمان الحق باسمك ونكسر بحنانك ونرسم برحمتك جسد ودم مخلصنا ، ربنا يسوع المسيح ، باسم الاب والابن والروح القدس».

«ومع ذكر أسماء الاقانيم الثلاثة يكسر القربان الذي بيديه الى جزئين ...»

(١) راجع كتاب : Brightman, Liturgies Eastern and western, pp. 289-293.

يضع الجزء الذي في يده الشمال على الصينية، ثم يغطس الجزء الذي في يده اليمين في الكأس «راسماً الدم الذي في الكأس بشكل صليب من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ...» قائلاً :

« يرسم الدم الكريم بجسد ربنا المحيي يسوع المسيح ، باسم الاب والابن (من الشرق الى الغرب)، والروح القدس، (من الشمال الى الجنوب) ويغطس الجزء الذي بيده في الكأس قائلاً : «إلى الأبد» ويجيبون : آمين . ثم يرسم الجسد الذي على الصينية بالشكل ذاته بالجزء الذي بيده قائلا :

« يرسم الجسد المقدس ، بدم ربنا يسوع المسيح الغافر ، باسم الاب والابن والروح القدس الى الأبد» ويجيبونه : « آمين » ويأخذ الجزئين بيديه ويجمعهما كما لو كانا لم يقسما ويجعل الباهم والسبابة حولهما بشكل دائرة قائلاً :

« إختيرت هذه الأسرار وتقدست وتكملت وأُتـّمت وتوحدت واختلطت والتزمت بعضها البعض وختمت بعضها ببعض، الواحد بالآخر ، بالاسم المسجود له الثالوث المجيد ، الاب والابن والروح القدس، لتكون لنا يا رب لسماح الذنوب وغفران الخطايا وللرجاء العظيم للقيامة من بين الأموات وللحياة الجديدة في الملكوت السماوي، لنا ولبيعة المسيح ربنا، هنا وفي كل مكان ، الآن وكل آن والى الأبد ».

ثم ينتقل من بعد ذلك الى مجموعة صلوات استغفارية والى مطانيات وصلوات استعدادية للمناولة تنتهي بالصلاة الربية ثم «بالاقداس للقديسين...»

الاستنتاج :

أولاً : ان الطقس الكلداني يتضمن رتبة الكسر والرسم فعلاً لا قولاً في الموضع المقابل لموضع رتبة الكسر والرسم في القداس الماروني .

ثانياً : تتفق الالفاظ المستخدمة لهذه الرتبة مع الألفاظ التي وردت في الرتبة المارونية ، كما وأن الرسم هنا وهناك يصنع مثلثاً باسم الثالوث الأقدس ، مع عدم الاكثار من الصلبان في الرتبة الكلدانية .

ثالثاً : نجد معنى رتبة الكسر والرسم في صلاة « التوحيد » حيث يعلن توحيد الخبز والخمر اي الجسد والدم ، بشكل يشرح المعنى الرمزي لهذه الرتبة ، كأن الكاهن لم يقم بالكسر والرسم إلاّ لتوحيد الجزئين اعلانا للمسيح الواحد . هذا وان في العودة الى الرتبة نفسها في الطقس السرياني الانطاكي افادة وتوضيح بدون شك .

٣ – الرتبة عند السريان

يتفق السريان الارثوذكس والكاثوليك على اقامة رتبة الكسر والرسم في هذا الموضع بالذات لكنهما يختلفان على الصلوات التي ترافقها . فالسريان الارثوذكس يستخدمون صلاة من القرن الثاني عشر من تأليف ابن الصليبي ، لكن الكاثوليك من بعد طبع كتاب القداس سنة ١٩٢٢ على يد البطريرك الرحماني قد استعادوا الصلاة القديمة التي كان ابن الصليبي قد حذفها .

نتوقف أولاً على كيفية اقامة الرتبة عند الكاثوليك ثم عند الارثوذوكس ونعود من بعد ذلك الى ما قبل القرن العاشر حيث نجد صدى لهذه الصلاة في التاريخ السرياني .

عند الكاثوليك يقول الكاهن :«نكسر الخبز السماوي باسم الاب امين + والابن امين + والروح الحي والقدوس آمين + للحياة الى الابد امين.»

« يأخذ الكاهن القربان بيديه ويكسر عند قوله « نكسر » ثم يغطسه في الكاس عند قوله «باسم الاب (+) . ويرسم الجزء الثاني الباقي على الصينية بشكل

صليب (+) ، وعند قوله ، والابن » يغطس من جديد في الكاس ويرسم الجزء الثاني من جديد (+) ، ثم يجمع الجزئين المنقسمين بشكل دائرة . وعندما يقول «والروح الحي والقدوس » يغطس الجزء الذي بيمينه في الكاس بشكل صليب (+) إنما بالشكل المعاكس أي من تحت إلى فوق ومن الشمال إلى اليمين (+) ويرسم أيضاً على الجزء الذي بشماله بشكل صليب بالشكل ذاته . ويجمع الجزئين المنقسمين بشكل دائرة قائلا : للحياة إلى أبد الابدين » .

ثم يضع الجزء الذي بيمينه على الجزء الذي بيساره بشكل صليب . ثم يكسر «جمرة » من الجزء الذي بيساره ويلقيه في الكاس . ويكسر «جمرة » ثانية من الجزء الآخر ويدنيه من فم الكاس. ثم يضع الجزئين في الصينية ، ويحمل الصينية والجمرة بين أصابعه ويبدأ الباعوت : يا أبا الحق... وعندما يقول : « ها دمه المسفوك ...» يغطس جمرة في الكاس ويرسم صليباً على جزء الشمال . وعندما يقول : «أنظر إلى الخطايا ... » يغطس جمرة بالكاس ويرسم صليباً على جزء اليمين (+) وعندما يقول : لاني خطئت احتملت المسامير ... « يغطس الجمرة بالكاس ويرسم صليباً عليهما معاً (+) . ثم يضع الجمرة على الجزئين معاً ويضع الصينية على الطبليت ، ويضم يديه إلى صدره ويقول : « أنت هو المسيح الاله ... » ثم يسجد ويغطي الكاس بالمنديل .

هذا بحسب الكاثوليك . أما الأورثوذكس ، فاننا نكتفي بسرد طريقة الكسر والرسم عندهم دون أن نذكر الصلاة التي ترافق الرتبة والتي هي حديثة كما ذكرنا من تأليف ابن الصليبي . نستند على الشرح الذي جاء في تفسير القداس لأحد الآباء السريان الاورثوذكس المعاصرين : [١]

---

(١) راجع : الأب اسحق ساكا ، تفسير القداس ، بحسب طقس الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الانطاكية ، ١٩٦٣ (ص ٩٤ – ٩٨) .

«ويفتح أصابعه ويرفع البرشانة من الصينية ويمسكها . يكسرها عن الحد من الوسط إلى نصفين متساويين ... يفصلها شيئاً فشيئاً ... يفصمهما ويحدر رأس الجزء الذي بين اصبعي يده اليمنى إلى الكاس ويغمسه بالدم راسماً به صليباً مستقيماً من المشرق إلى المغرب ومن الشمال إلى الجنوب (+) دون أن يبل اصبعه ، ثم يصعده من الكاس ويمس به وسط شق الجزء الذي بين اصبعي يده اليسرى إشارة إلى طعن جنب المسيح بالحربة ثم أعلاه فأدناه فوسط وجه الجزء فظهره ، شبه علامة الصليب . يحدره ثانية إلى الكاس ويرسم به صليباً في الدم كالأول ويصعده ويرسم به على شق الجزء الثاني خطاً من فوق إلى تحت وعلى وسطه وظهره من الشمال إلى اليمين ، مبيناً بذلك أن هذا المقتول كان مضرجاً بدمائه.... ثم يجمع الجزئين معاً . »

« ويدير الجزئين المجتمعين جملة بين أصابعه نصف دور من عن يمينه إلى شماله ، فيصبح الجزء المبلول رأسه الذي كان بين اصبعي يده اليمنى بين اصبعي يده اليسرى ، والعكس بالعكس . يحدر أسفل الجزء الذي بين اصبعي يمناه إلى الكاس ويغمسه بالدم برسم صليب عكسي من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال ثم يصعده ويرسم به خطاً على شق الجزء الآخر من تحت إلى فوق، ثم على ظهره فوجهه من اليمين إلى الشمال شبه صليب معكوس...ومما يجب ملاحظته ان احد الجزءين يرسم عليه صليبان ... والجزء الثاني يرسم عليه صليباً واحداً ... وهكذا يكون قد تم رسم ثلاثة صلبان على الجسد وثلاثة على الدم . يوحّد الجزءين معاً إشارة إلى رجوع النفس واتحادها بالجسد ... ان الاتحاد الذي تم بعد الموت يشير أيضاً إلى ان عمانوئيل مات وعادت نفسه إلى جسده وقام من القبر هو واحد لا ينقسم من بعد الاتحاد إلى طبيعتين ، ثم يرفع الجزءين المتحدين معاً فوق رأسه وهو منحن فيزيحها في الفضاء بشكل دائري مبتدئاً من اليمين إلى اليسار... ينزل الجزءين بهدوء تام إلى المائدة ويضع الجزء اليميني فوق الشمالي ويضبطهما معاً

باصبعي يده اليسرى... يفصل باصبعي يده اليمنى راس الجزء اليميني ويضعه في الكاس مظهراً أن هذا الجسد صاحب هذا الدم ... يفصل الجزء الشمالي ويغمسه في الكاس ، ثم يلمس به اولا الجزء الذي فصل منه ثم الجزء الآخر مبيناً بأن هذا الدم يشير إلى النفس التي عادت واتحدت بالجسد بعد قيامته من بين الأموات...

«بعد أن ينهي الكاهن تلاوة رتبة القصي (الكسر) يردفها حالا بميمر خشوعي لمار يعقوب السروجي : « ايها الاب الحق هذا ابنك ...»

« في اثناء تلاوة هذه الصلاة السرية (ميمر مار يعقوب) يبتدىء الكاهن بتجزئة القربان إلى اجزاء يسمّى كل منها جمرة ...

«بعد الانتهاء من ميمر السروجي يقول سراً صلاة : أنت هو المسيح الاله... يرفع الصينية بيده اليسرى ويدنيها من الكاس ، ويأخذ الجمرة المنفصلة باصبعي يده اليمنى ويغمسها في الدم ثم يرسم صليباً على الجمرات بحيث لا يدع جزءاً منها من دون أن يلطخه بالدم مشيراً إلى النفس التي انفصلت وعادت واتحدت به».

الاستنتاج :

أولاً : يحتل الكسر والرسم مركزاً هاماً في هذا الموضع من القداس السرياني .

ثانياً : يكثر الكاهن من الصلبان في الكاس وعلى القربان مبيناً ضرورة التوحيد بين الشكلين .

ثالثاً : يستدل أيضاً أن هذه الرتبة ترمز إلى موت المسيح ثم إلى قيامته وحياته بالتوحيد المتكرر بين الجسد والدم .

وبما أن الشبه كبير بين الرتبة السريانية والصلاة المارونية لهذه الرتبة فمن المستحسن أن نذكر جملة الأعمال الطقسية الواردة في الرتبة السريانية وهي الآتية :

١ ـ كسر القربان إلى جزئين ثم إلى اجزاء مختلفة .

٢ – رسم الكاس بالقربان أي تغطيس جزء من القربان في الكاس بشكل صليب .

٣ – رسم القربان بالدم المقدس ، اي نضح أجزاء القربان المختلفة بالدم المقدس دلالة على التوحيد بين الجسد والدم بصلبان متعددة .

٤ – التشديد على معنى احياء الجسد بنضحه بالدم المقدس

٥ – التشديد على التوحيد بين الجسد والدم ، بجمع الاجزاء بعد فصلها وضمها بعضها الى بعض .

٦ – رفع القربان وتقدمته من بعد رتبة الكسر والرسم والاحياء والتوحيد.

وأخيراً تجدر الملاحظة الى أن الرتبة هي هي عند الكاثوليك والاورثوذكس رغم اختلاف النصوص . وبينما نجد أن الكاثوليك قد حافظوا على رتبة الرسم ، دون ذكر الرسم ، نجد أيضاً أن الاورثوذكس قد حافظوا على الكسر والرسم والتوحيد دون هذه الالفاظ . لماذا هذا التباين بين الكلام والعمل ؟ سبق وذكرنا ، أن للسريان مستندات عن هذا الموضوع تعود الى ما قبل القرن العاشر ، فماذا تقول هذه المستندات ؟

٤ – المستندات قبل القرن العاشر

أ – **كتاب القداس :** نجد في نافور سرياني منسوب الى تيموتاوس الاسكندري محفوظ في مخطوطات القرن الثامن – التاسع عند رتبة الكسر والرسم ما يلي :

« يكسر الكاهن ويرسم قائلا : نكسر الخبز السماوي ونرسم الكأس المقدسة باسم الآب ، آمين + والابن ، آمين + والروح الحي والقدوس للحياة الى أبد الأبدين . الشعب « آمين » »[١] .

---

(١) A. Raes, Anaphorae Syr. vol. 1, Fasc. 1.

رغم أن العبارة المذكورة قد أتلفت بعض الشيء في المخطوط لكنها لاتزال واضحة المعالم تقرأ بواسطة الاشعة . يستدل من ذلك أن النافور قد استخدم فيما بعد سقوط هذه العبارة واستبدالها في عهد ابن الصليبي ، لكنها كانت فيما سبق عبارة الكسر والرسم نلاحظ ان الرسم . لا الكسر يكون « باسم الاب ... »

ب ـ كتب التاريخ : لصلاة الكسر والرسم هذه حكاية طويلة تحدث عنها التلمحري ، المؤرخ اليعقوبي المتوفي سنة ٨٤٥ . جاء في هذا التاريخ ما يلي :

سؤال : « كيف ومتى وبأي شكل ظهرت في الكنيسة مشادة حول العبارة : نكسر الخبز السماوي ... »

جواب : يظن البعض أن البطريرك قرياقوس (+٨١٧) هو أول من فتح باب النقاش في الكنيسة حول هذه العبارة . لكنهم ليسوا على صواب . لأن الشك قد وقع منذ البطريرك جرجس (+٧٩٠) . وتذكر في الموضوع رسالة وجهها البطريرك جرجس الى الشماس غوريا من بيت النعّار في الرها تقول : كتبتَ تسألني متى دخلت هذه العبارة ، ومن أين أتت ومتى رذلت ومن أي وقت صار الانقسام بين الناس بسببها ، على هذا أجيبك : اني أجهل تماماً متى دخلت لكني أعرف متى رذلت :

« ان هذه العبارة غير موجودة في الطقسين القديمين ، طقس مرقس في الاسكندريــة وطقس يعقوب ، لا في النص اليوناني ولا في السرياني ، وهي غير موجودة في النوافير التي اتبعت تقليــد يعقــوب : باسيليوس ، غريغوريوس ، تيموتاوس ، ساويروس ... من جهتي أنا ، لم أرغم أحداً على استعمالها أو عدم استعمالها كي لا أترك الفرصة للمشاغبين ... فيخدعوا البسطاء ويقسموا الكنيسة ، انما الويل لنا لو كان عندنا في ديانتنا خبز من السماء لا يكون الابن وكلمة الله ، واذا كنا نكسره باسم الاب والابن والروح القدس فلنا هنا ابن غير الخبز النازل من السماء ...

« وتسأل كيف دخلت العبارة الكنيسة . لنا في هذا الموضوع تقليدان يتحدثان عن هذا السر الغامض : تقليد مقدس ، وتقليد بعيد عن كل قداسة . فالتقليد المقدس يرجع دخول العبارة الى (رتبة) رسم الكأس ، اذ كان الكأس يرسم باسم الاب والابن والروح القدس ...ويلقي آنذاك (الكاهن) القربانة الغافرة في الكأس .

«أما التقليد الثاني فهو ادخال العبارة على يد ديودورس[١] عدو المسيح الذي كان يفرق بين القربان وبين كلمة الله . واتبع في ذاك ديودورس اناس يبتعدون عنه بعد الأرض عن السماء »[٢] .

هذا ما ورد على لسان التلمحري مبينا كيف أن هذه الصلاة سببت انقساماً في الكنيسة بسبب تفسيرها تفسيراً خاطئاً يجعل منها صلاة كسر للقربان باسم الاب والابن والروح القدس فيظهر كيف أن القربان (الابن) لا يكسر باسم الاب والابن والروح القدس .

يتركنا المؤرخ عند الاستفهام دون أن يشرح كيفية دخول هذه الصلاة . لكننا نعود نحن بالواقع الى نصّ الصلاة بالذات المذكور عند التلمحري فنقرأ ما يلي :
«نكسر الخبز السماوي ... ونرسم باسم الاب والابن والروح القدس».ولذلك فان أساس النص لم يكن الكسر « باسم الاب والابن والروح» بل الرسم فقط . وهي عبارة مألوفة في الطقوس المسيحية اذ يرسم كل شيء باسم الثالوث . أما اذا فسّرنا الأمور بالشكل أن الكاهن يرسم الكأس الممتلئة خمراً عادية بالقربان المقدس السابق تقديسه ، فهذا يتطلب منا أولاً أن نعود الى المستندات

---

(١) ديودوروس الطرسوسي ، رائد الأفكار التي أتبعت خاصة في الكنيسة النسطورية (+ ٣٩٣) .
(٢) Chronique de Michel le Syrien, éd. Chabot, t. III, Paris 1905, pp. 1-8.

التاريخية السابقة لعصر التلمحري أي إلى القرنين الخامس والرابع لنبحث فيهما عن تاريخ الكسر والرسم ، ثم الى الرتبة المدعوة « رسم الكأس » والى تاريخ دخولها في طقوس الكنيسة . ولحسن الحظ لدينا شهادتان عن رتبة الكسر والرسم في القرنين الخامس والرابع ، الاولى من الشاعر اللاهوتي النسطوري نارساي (+ ٥٠٢) والثانية من المعلم اللاهوتي المشهور تيودوروس المصيصي في مواعظه عن القداس في نهاية القرن الرابع .

ج – **نارساي (+ ٥٠٢)** ورد في شرح القداس السرياني الشرقي لنارساي في القسم الثاني من القرن الخامس بعض الأقوال الواضحة عن رتبة الكسر والرسم ومعانيها . وقد جاء ذلك على مرتين في الموعظة الحادية والعشرين[1] . ثم في الموعظة السابعة عشرة [2]

أ – « يكسر الخبز ويلقيه في الخمر ويرسم قائلاً : باسم الاب والابن والروح ، طبيعة متساوية .

«يختم كلامه باسم الالوهية الازلية ، الاقانيم الثلاثة ، ويقيم السر كما يحيي ميتاً بطريقة حقّة .

« بالحق ، قام رب السر من القبر ، واتخذ السر بلا ريبة قوة الحياة .

« الخبز والخمر يتخذان حقاً حياة جديدة ، ويمنحان بالفعل مغفرة الخطايا الذين يقبلونهما .

«بالشركة يجعل (الكاهن) الخبز والخمر واحداً ، كما أن الدم مختلط بالجسد في كل الأعضاء . »

ب – «ثم يأخذ الكاهن بيديه الخبز الحي ويرفع نظره نحو العلى ويشكر ربّه»

---

(١) راجع الترجمة الفرنسية في : Hamman, Lettres Chrétiennes, no. 7, p. 210.

(٢) راجع ما سبق ، صفحة ٢٣٩ .

« يكسر الخبز باسم الاب والابن والروح ، ويوحد الدم بالجسد والجسد بالدم .

« يرسم الدم بالجسد ويذكر الثالوث ، ويرسم الجسد بالدم الحي بالدعاء ذاتـــه .

« ويوحد الجسد بالدم والدم بالجسد ، ليعترف كل انسان أن الجسد والدم واحـــد [1] .

« ثم بعد أن ينتهي الكاهن من كل هذه الطقوس ، يبارك الشعب بالكلام الذي بارك به ربنا .

« ثم يبدأ بتقسيم الجسد شيئاً شيئاً ، ليكون سهل التوزيع على الذين يقبلونه »

يتبين من وصف نارساي أن الكاهن كان يكسر الجسد ثم يرسم الكأس ويعود فيرسم الجسد بالدم ثم يوحّد بين الاثنين وأخيراً يقسم الجسد الى أجزاء متعددة للمناولة . ان هذه الرتبة مطابقة تماماً لما ورد في القداس الكلداني .

د ـ **مواعظ تيودورس :** تعود هذه المواعظ بحسب العارفين الى نحو السنة ٣٩٢ والى انطاكية بالذات حيث القاها تيودورس قبل ارتقائه الى الاسقفية، وهي اقرب الى التقليد السوري الشرقي :

في موعظته السادسة عشرة (الثانية عن القداس) نقرأ في موضوعنا ما يلي :

«...ومن بعد ذلك يذكر الكاهن الذين رقدوا . يقف الكاهن عند هذه الصلاة، ولساعته يأخذ بيديه الخبز المقدس وينظر الى السماء، ويكسر الخبز وهو

(١) هذا البيت ناقص في الترجمة الافرنسية ، راجع النص السرياني عند Mingana

يصلي على الشعب لتكون عليهم نعمة ربنا يسوع المسيح ، ويجيب الشعب بالكلا
المعتاد ، ثم يرسم بالخبز على الدم رسم الصليب وبالدم على الخبز .

«لأجل هذا ، فالقاعدة هي أن يلقي الخبز في الكأس على مهل. وقبل كل شي
علينا أن نضرع الى ربنا من أجل الذين جاؤوا بالقربان المقدس هذا. ويبار
الكاهن الشعب بالسلام ، ويجيب هذا كالمعتاد بالصلاة التي يقولها الحاضرو
وهم منحنو الرأس كما يجب . ويقول كارز الكنيسة (الشماس) : فلننظر
ويهتف الكاهن عندئذ : القدس للقديسين ، ويجيب الجميع قائلين :آب واح
قدوس ابن واحد قدوس ، روح واحد قدوس ...»

هذا هو النص الاساسي الذي يقدمه تيودورس في بدء الموعظة التي سيشرح
فيما بعد . وفي الشروح اللاحقة تظهر لنا رتبة الكسر والرسم بشكل واضح ا
يتوقف الشارح على معاني هذه الرتبة فيقول [1] :

«...يكسر الخبز ...وبالخبز يرشم على الدم شكل الصليب وبالدم عل
الخبز ، ويوحدهما ويجمعهما معا ، ليبين بهذا لكل احد بأنهما ولو كانا اثني
انما هما واحد بالقوة وهما ذكر الموت والالآم التي صارت لجسد ربنا عندم
سفك دمه على الصليب لاجلنا جميعا ، هذا ما يعمله الكاهن عندما يرسم هكذ
ويجمع ويخلطها بعضها ببعض ...لأجل هذا ، من بعد أن ينتهي الكاهن م
تقدمة القربان ، يكسر الخبز ويجمع هذا بهذا ، يصنع به (بالخبز) رسم الصليب.
وهكذا بالشكل ذاته يقرب الدم من الخبز ليظهر بأن الاثنين واحد ...
ويتوسع بالشروح الرمزية متوقفاً على أن الكسر يدل على الموت والصلب
وعلى أن التوحيد يرمز الى الحياة والقيامة . ثم ينتقل الى القول بأن الكاهن يعو

---

(١) المرجع ذاته صفحة ٥٥٧

فيقسم القربان الى أجزاء متعددة ليسمح للآخرين بالتناول . وبأن المسيح موجود في كل من الأجزاء الصغيرة . عند ذلك يقول الشماس : « علينا أن نصلي من أجل الذي قدّم هذا القربان » ، . فيختم الكاهن بالصلاة ويبارك الشعب المنحني... ويهتف ...«القدس للقديسين... » .

ماذا نستنتج من مواعظ تيودورس ؟

١ — كانت رتبة الكسر والرسم تصنع من بعد الصلاة القربانية وقبل «الأقداس للقديسين»

٢ — كان لهذه الرتبة مركز هام جعل الواعظ يتوقف طويلاً على شرحها ، وكان لها دور رمزي لتوحيد الشكلين وعملي لتقسيم القربان للمناولة .

٣ — لا مجال للشك بأن رتبة الكسر والرسم كانت معدودة من صلب النافور وترمز الى توحيد الجسد والدم واحيائهما تكميلاً للقربان واستعداداً للمناولة .

كل هذا واضح ، ولكن رب قائل أن ما ورد عند نارساي وتيودورس انما مأخوذ عما نسميه الآن قداس «رسم الكأس»[١] أي رتبة تقديس الخمر العادي بالجسد المقدس . ولا يسعنا الجواب على هذا إلاّ بالعودة الى رتبتين : « رتبة تقديس الماء في عيد الغطاس» ، «ورتبة قداس رسم الكأس». ففي البحث في هاتين الرتبتين وفي معناهما وتاريخهما جواب على النظرية المنوّه عنها .

٥ — الرتب المشابهة

أ — **رتبة تقديس الماء**[٢] . في صباح عيد الغطاس تقوم الكنيسة برتبة تقديس

---

(١) راجع : الخوراسقف مخايل الرجي ، نظر في مقال « الأعمال اليدوية في القداس الماروني » ، المجلة الكهنوتية ١٩٦١ ، ص ٢٢١ .

(٢) مخطوط بكركي رقم ٩٨ (١٣٥٤) ورقم ٩٤ (١٤١١) .

الماء وذلك في تذكار معمودية الرب في الاردن وتقديس مياه النهر ، ثم مر
أجل تقديس المياه التي كانت معدّة لمعمودية الموعوظين . وقد جاء عنوا
هذه الرتبة بالسريانية « قودش ميا » أي «قداس الماء» . وجاءت الرتبة منظم
طقسيا بحسب نسق القداس العادي مع أقسامه الثلاثة : الاعدادي ، والكلمة
والنافور . وفي مكان الصلاة القربانية بدّلت الصلوات بحيث أصبحت صلا
الشكر تتناول تقديس الماء مع دعوة الروح القدس وبدون ذكر العشاء السري

ومن الضروري العودة الى هذه الرتبة لقدمها تاريخيا ولقدم وجودها في
مخطوطات مارونية تعود الى السنة ١٣٥٤. أما فيما يختص برتبة الكسر والرسم
فمن بعد دعوة الروح القدس على الماء المعدّة للتقديس – بحسب نسق القداس –
تتوالى الأعمال الطقسية كما يلي [1] :

١ – صب الماء المقدّسة سابقاً في المياه المعدة للتقديس ، وذلك على ثلاث
دفعات ومع ذكر الأقانيم الثلاثة بالشكل الذي يشابه صلاة: « آمنا وقربنا ...»
هكذا : «نرسم الماء التي ستتقدس بالماء المقدسة باسم ، الاب الحي للحياة ...
والابن ...والروح ... للحياة». وفي كل مرة يجيب الحاضرون: هللويا (ثلاثا).

٢ – رسم الماء بالصليب : يغطس الصليب في الماء بشكل صليب قائلاً :
فلتكن هذه المياه «مرسومة» ومكملة لتقديس جميع المؤمنين .

٣ – الكرازة : بروديقي : من أجل هذه المياه التي تقدست بالروح القدس
وتكملت بحلول الروح القدس ، من أجل الكاهن الذي قدسها ...ومن أجل
الذين ، بالايمان الحق ينزلون ويعتمدون فيها ...

---

(١) راجع : J. Al-Assemanus, Codex liturgicus, Romae 1749, t. II, pp. 342-346.
J. M. Sauget, Bénédiction de l'eau... pp. 370-371.

هذه هي الرتبة كما وردت قديماً ، مع العلم أنه في بعض الرتب التي هي أحدث ، كما هو في الحالة الحاضرة . يسكب الكاهن في الماء لا الماء المقدسة سابقاً بل الميرون المقدس .

كما وأننا نجد في بعض الرتب طقساً متبدلاً بعض الشيء اذ يلقي الكاهن في الماء التي يريد تقديسها ثلاث جمرات من المبخرة المشتعلة ، وذلك لأن «الجمرة» انما هي رمز لجزء صغير من القربان يدعى ايضاً « جمرة ».

ما معنى كل هذا ؟

معناه أن الرتبة تقتدي بالقداس السابق تقديسه اذ تقدس الماء بمزجها بالماء المقدسة سابقاً ، وبالميرون ، أو بالجمرة . هذا ما يدفعنا الى التكلم بعض الشيء عن القداس السابق تقديسه أو «رسم الكاس» .

ب – القداس السابق تقديسه او « رسم الكاس » –

في كتاب القداس الحالي رتبة تسمى « رسم الكأس » تقام يوم الجمعة العظيمة – مرة في السنة – وهي بالواقع رتبة مناولة يرسم فيها الكاهن كأس الخمر بالقربان الذي تقدس في قداس سابق . وهذا ما يسمى في الطقس البيزنطي « القداس السابق تقديسه ». الرتبة الحالية حديثة العهد تعود فقط الى الطبعة الثانية من السنة ١٧١٦ . وهي تطبيق غير منطقي للنافور الماروني القديم «شرر» على رتبة « رسم الكاس » باتباع نسق القداس بكامله . ما عدا تذكارات العشاء السري طبعـــاً .

أما الرتبة القديمة لرسم الكاس فهي نادرة الوجود في المخطوطات . لا بل غير موجودة أبداً في المخطوطات المارونية . نجدها في بعض المخطوطات السريانية اليعقوبية من القرن العاشر – الحادي عشر . نشرت رتبة منسوبة الى

ساويرس الانطاكي ومحفوظة في مخطوط من السنة ١٠٥٩ يكون من الضرورة العودة اليها [1] .

نتكلم عن هذه الرتبة لأن هناك من يظن أن صلاة « آمنا وقربنا ...» هي مأخوذة عن رتبة رسم الكاس [2] . وصاحب هذا الرأي ايضاً هو الخوراسقف مخايل الرجي الذي نشر رتبة «رسم الكاس» المنسوبة لساويروس والذي استخلص في احد مقالاته أن « آمنا وقربنا ... » أنما كانت موضوعة في كتاب القداس لرتبة «رسم الكاس» ، وانه «لعدم توفر التوجيهات» «ومع كر الايّام وجهل الأحوال آل الأمر الى جعل هذه الصورة قسماً من القداس الالهي وهي لا يمكنها أن تكون منه » [3]

ان ثبت أن هذه الصلاة والرتبة هما خارجتان عن القداس ، وقد بقيت الصلاة هنا سهواً بدون أن يكون لها دور ، ان كان هذا صحيحاً، فهذا يغير كل المقاييس ويلقي خارجاً كل الشروح التي أعطيناها سابقاً !

ماذا نعرف اذا عن رتبة «رسم الكاس» عند السريان ؟

من الصعب تحديد تاريخ ادخال هذه الرتبة في الكنيسة . نعرف أن مجمع اللاذقيه (القرن الرابع) يمنع اقامة القداس في الصوم ، ما عدا السبت والأحد ، لكنه لا يتكلم عن رتبة تعوض عن ذلك لسائر الأيام .

في الكنيسة البيزنطية ينص المجمع الخامس السادس (سنة٦٩٢) على ضرورة

---

(١) M. Rajji, une anaphore syriaque de Sévère, pour la messe des présanctifiés, Rev. or. Chr. XXI (1918-19), pp. 25-39.

(٢) راجع التلمحري في الكلام الذي أوردناه سابقاً ، ص ٢٣٩ .

(٣) الخور اسقف مخايل الرجي ، نظر في مقال « الأعمال اليدوية في القداس الماروني » المجلة الكهنوتية ، ١٩٦١ ، ص ٢٢١ .

اقامة «القداس السابق تقديسه» في أيام الصوم. أما عند السريان فأول من يذكر هذه الرتبة هو يعقوب الرهاوي (+٧٠٨) دون أن يعطي تفصيلا عن الزمن والكيفية. ويذكر أن الرتبة هي خاصة بالكاهن دون اشتراك جمهوري وهي أكثر ما تقام في المناسك والصوامع، أما عن الصلوات فيقول: «لرسم الكأس، هناك صلوات متعددة، وللكاهن حريته في أن يقول صلاة أو أكثر أو أن يتركها جميعاً ؟»(١)

معنى ذلك أن الرتبة لم تكن في أيامه جماعية يشترك فيها الشعب. بل خاصة بالمناولات الفردية.

وعندما نعود الى الرتبة المنسوبة الى ساويروس نجد أنها مرتبة كما يلي:

١ – سدر الدخول : صلاة معروفة باسم «الفروميون» والسدر» تقال في القداس السرياني قبل قانون الايمان.

٢ – قانون الايمان،

٣ – صلاة،

٤ – البركة، المعروفة قبل صلاة : «آمنا وقربنا...»

٤ – رسم الكاس : «يأخذ الجمرة ويرسم الكأس بثلاثة صلبان قائلاً :

« كأس الشكر والخلاص ترسم بالجمرة الغافرة، لسماح الذنوب وغفران الخطايا وللحياة الابدية » الشعب : آمين.

٥ – صلاة الابانا ...ثم الابانا والرتبة الاستعدادية للمناولة ...ثم المناولة والشكر.

---

(١) راجع Rajji, une anaphore... p. 31.

ماذا نستخلص ؟

أ ــ ان رتبة الكسر والرسم في القداس ليست مأخوذة عن قداس رسم الكاس بل هي أقدم منه، ويكفي العود الى تيودورس المصيصي (نهاية القرن الرابع) للتأكد من ذلك .

ب ــ ان الرتبة المذكورة هي التي الهمت رتبة رسم الكاس منفصلة عن القداس وليس العكس بالعكس . فالذين أرادوا المناولة خارج القداس اقتبسوا ما كان في القداس لمناولة فردية وخاصة ، ثم لمناولة عامة فيما بعد .

ج ــ من غير المعقول أن تكون صلاة « : آمنا وقربنا ... » قد بقيت سهوا في رتبة القداس ، فهي موجودة في كل الطقوس السريانية : المارونية والكلدانية والسريانية ، ويشهد نافور تيموتاوس من القرن الثامن ــ التاسع على وجودها في مكانها الحالي. والفرق بسيط بين النصوص المارونية والسريانية والكلدانية يدل على نصّ أساسي قديم كان مشتركا عند الثلاثة وتشعّب فيما بعد . وربما يعود الى القرن الرابع.

ان رتبة رسم الكأس لا تضم الكسر ولا التوحيد ولا التقدمة ، بل تكتفي برسم الكأس بالجمرة ، أي بالجزء الباقي من القداس السابق ، وذلك لمناولة فردية ، لا غير . والرتبة المنسوبة الى ساويروس تدل على ذلك .

بالنتيجة

لا شك أن الموارنة ، قبل سائر السريان . كان لهم رتبة الكسر والرسم والتوحيد ورفع القربان في هذا الموضع بالذات . وكل يشير الى ذلك : التوجيهات في المخطوطات [1] والصلبان ال ١٨ ، وذكر الثالوث

(١) في مخطوط القداس الماروني ، باريس ٧٣ ، من السنة ١٥٠٩ ، نقرأ على الهامش عند الباعوت : « أيها الآب الحق ... » بالخط الأصلي للمخطوط ما يلي : « وبينما هو يجزىء الجسد يقول : أيها الآب الحق ... » .

الواحد « قوة واحدة ، سلطان واحد ... » . ورفع القربان ، ووجود الكرازة بعد الكسر والرسم . أما لماذا يتضمن القداس الماروني رتبة ثانية للكسر والرسم . ولماذا الغيت الأعمال الطقسية في الرتبة الأولى ، فهذا ما يمكننا أن نستخلصه بشكل أفضل من بعد درس الرتبة الثانية عندما نبلغ الى ذلك الموضع من القداس في متابعتنا الشروح شيئاً شيئاً .

الآن وقد اطلعنا على معنى رتبة الكسر والرسم والتوحيد وعلى تاريخها ، فعلينا من بعد أن نتابع درس ما ورد في كتاب القداس الماروني من الصلوات والاناشيد والأعمال التابعة لهذه الرتبة وهي الآتية :

- الكرازة
- رفع القربان
- باعوت مار يعقوب : « ايها الآب الحق»

ثانياً : الكرازة : فلنطلب

يطلق على هذه الكرازة وهي الثالثة في القداس من بعد البسيطة والوسطانية[1] اسم «بروديقي». واللفظة هذه معروفة فقط في المستندات المارونية القديمة والحديثة . حتى انها تميّز مخطوطة مارونية عن غير مارونية بدون أدنى شك. فبينما الكلدان يستخدمون لفظة «كروزوتا» أي كرازة ، يستعمل السريان لفظة«قاتوليقي» أي الطلبات الجامعة ، والموارنة وحدهم يطلقون عليها اسم « بروديقي » .

ويتبين لنا من تحليل اللفظة أنها ليست يونانية ولا سامية بل أقرب الأصول اليها هو الأصل اللاتيني « Praedicatio» أي كرازة . ونجهل كيف تبنى الموارنة

---

(١) البسيطة هي التي تلي الانجيل ، والوسطانية هي في بدء النافور : « فلنقف حسنا » .

اللفظة اللاتينية ، ولا نظن انه تأثير لاتيني حديث أي من بعد الصليبيين لأن المستندات المارونية برمتها تستخدم لفظة بروديقي في هذا الموضع ، وحتى في الرتب البيعية مثل تقديس الماء والميرون الموجودة في مخطوطات تعود الى القرن الرابع عشر . على كلّ تنقصنا الشواهد المارونية السابقة للعهد الصليبي لنتمكّن من أن نجزم بالأمر .

هذا من حيث اللفظة ، أما من حيث المعنى فهو لا يتغير في سائر الطقوس . والطلبات شاملة تذكر من قدّم القربان أو من تقدم عنه . وقد ورد ذكرها ونصّها منذ نهاية القرن الرابع في شرح القداس لتيودورس المصيصي وفي المراسيم الرسولية .

جاء في تيودورس أنه من بعد أن يكسر الكاهن القربان ويرسمه ويلقي بعض الأجزاء في الكأس «يجب علينا أن نطلب من الرب من أجل الذين قدّموا القرابين » [1] . أما المراسيم الرسولية فأنها تذكر بعض النوايا المعروفة في هذه الطلبات وهي :

– من أجل القربان المقدّم ... ليقبله الرب

– من أجل الجمع الحاضر ، الاكليروس والشعب . –

– من أجل الملوك والحكام

– من أجل الشهداء

– من أجل الموتى

– من أجل المعمدين حديثاً ليثبتهم الرب في الايمان [2]

---

(١) راجع المجموعة : Lettres Chrétiennes, n. 7, p. 167.

(٢) راجع المجموعة : Lettres Chrétiennes, n. 9, p. 67.

وإذا ما رجعنا الى القداس الماروني والى الطلبات المذكورة في خدمة القداس السريانية لوجدنا الشماس يدعو الشعب قائلاً : « فلنطلب كلنا بخشوع وافر بواسطة القربان .... :

– من أجل الكاهن الذي قدمه ...

– من أجل المذبح ...

– من أجل الذين يتقدمون ويتناولونه ...

– من أجل الذين تقدم عنهم .

هذا ما ورد في المجموعة الأولى من الطلبات وهناك مجموعات اخرى تتبدل مع الايام والاعياد نذكر منها ما ورد في الطلبات العامة :

– العذراء ، الآباء ، الشعب ، الموتى ...

اننا اذا قارنا بين ما جاء في تيودوروس في نهاية القرن الرابع وبين ما هو اليوم نجد تطوراً واسعاً لهذه الطلبات . فبينما كانت بالأساس طلبات خاصة بالذين قرّبوا القرابين والذين تقرّبت منهم ، يضاف اليها نية أو نيتان تختلفان مع اليوم أو التذكار ، طالت وتوسّعت فأصبحت تشمل الكاهن والاسقف والحكام والشعب وغيرها من النوايا . ونشدّد على القول بأن هذه الطلبات كانت العنصر المتبدل الخاص بكل قداس من بعد التذكارات العامة التي جاءت في نهاية الصلاة القربانية والمعروفة بالديبتيكا .

في عنصرها المتبدل هذا ، لا تزال حتى اليوم في خدمة القداس الماروني اذ لكل عيد وتذكار طلبات خاصة في هذا الموضع بالذات . ولها علاقة مباشرة بكسر القربان ورسمه اذ كان الكاهن ينهي طقوس تقديس القربان وتوحيده برفع القربان (الشيله[1]) وبالطلبات عند الرفع .

---

(١) «الشيلة» من السريانية : الطلب ويسأل المؤمنون الكاهن بأن يذكرهم عند « الشيلة » .

ثالثاً : رفع القربان

في نهاية الطلبات التي كان يتلوها الشماس ويجيب عليها الشعب ، كان الكاهن يتلو صلاة ختام الطلبات . وقد جاء في كتاب القداس الحالي أنه بينما « يقول الخادم بروديقي يرفع الكاهن الكأس قليلا فوق الطبليت بيده الشمال اذ يكون القربان بيده اليمين فوق فم الكأس ويقول :

«ايها القربان الشهي الذي تقرب من أجلنا ، ايتها الذبيحة الغافرة الذي قدم ذاته لابيه ، ايها الحمل الذي صار لنفسه كاهناً مقرّباً ،

لتكن يا رب طلبتنا برحمتك بخوراً ، وليتقرّب بك لابيك ».

علينا أن نتفهم الصلاة من جهة ثم رفع القربان من جهة ثانية . وهل من علاقة بين هذه الصلاة وبين رفع القربان ؟

عند استعراضنا هذه الرتبة في الطقسين الكلداني والسرياني تبين لنا أن الكاهن كان يكسر القربان ثم يرسم الكأس ثم يعود فيوحّد القربان كأنه لم يكسره ثم يرفعه فوق الكأس مقدما القربان الذي اكتمل تقديسه وتوحيده .

واننا لنجد في رفع القربان هذا من بعد الكسر والتوحيد ما يقوم به الكاهن اليوم في القداس الماروني عند تلاوة هذه الصلاة . ونتصوّر الأمور بالماضي كما يلي :

يكسر الكاهن القربان ويرسمه ويوحّده فيتلو الخادم الطلبات «بروديقي» من أجل الذين تقدم عنهم القربان ، عندئذ يختم الكاهن الطلبات اذ يرفع القربانة وهو يتلو صلاة مشابهة للصلاة المارونية الحاضرة التي تقوم بمثابة صلاة « رفع القربان وخاتمة الطلبات» . وقد جاء بالواقع في هذه الصلاة ذكر هذين الامرين ، بالقول :

« ايها القربان الذي تقرّب لأجلنا ...لتكن طلبتنا يا رب بخوراً وليتقرّب بك لابيك » .[1]

رابعاً : باعوت مار يعقوب : ايها الآب الحق

بحسب كتاب القداس الحالي ينتهي رفع القربان مع الصلاة المذكورة آنفا . بعد ذلك ثم « يضع الكاهن الكأس على الطبليت والقربان على الصينية ويغطي الكأس ويضم يديه بشكل صليب ويقول بصوت متوسط :

« ايها الآب الحق ها هوذا ابنك ذبيحة ترضيك ، اقبله لأنه مات لأجلي فتغفر خطاياي به . خذ هذا القربان من يدي ، وارضَ عني ولا تذكر لي الخطايا التي صنعت أمام عظمتك » .

ويتألف الباعوت هذا أو «الطلبة» من أربعة أبيات يناجي بها المتضرع ربّه طالبا منه أن يغفر له خطاياه برحمته وبحق دم سيدنا يسوع المسيح .

ونتساءل طبعا عن معنى ورود هذا الباعوت على فم الكاهن ، ثم عن تاريخ دخوله الى القداس في هذا الموضع ! وتفاجئنا ايضاً العادة الحاضرة بأن يرفع الكاهن القربان والكأس فوق الطبليت بينما هو يتلو هذا الباعوت رغم التوجيهات السابقة القائلة بأن يتلوه «وهو يضم يديه الى صدره[2] »

بالعودة الى مخطوطات القداس يتبين ما يلي :

أ ــ لا وجود لهذا الباعوت في مخطوطات القرن الخامس عشر

---

(١) على ذكر لفظة « بخور » في هذه الصلاة ربما كان هناك مجال لننظر اذا لم يكن الكاهن يرفع البخور من بعد رفع القربان ! تنقصنا المستندات للغوص في هذه القضية .

(٢) جاء أيضا في كتاب القداس الحالي طبعة ١٩٠٩ من بعد التوجيهات السابقة : « العادة الآن عند كثيرين ان يرفع الكاهن القربان فوق فم الكاس ... قائلا : ايها الآب الحق ... »

ب – يظهر أولاً في بعض مخطوطات القرن السادس عشر وخاصة الواقعة منها تحت التأثير اليعقوبي .

ج – ينسب هذا الباعوت الى يعقوب السروجي ويتلى حاليا في القداس السرياني عندما يقسم الكاهن القربان إلى أجزاء صغيرة، ثم عندما يرتبها على الصينية بشكل مصلوب ممثلاً صلب المسيح ...

بالنتيجة : نرى كيف أن القداس السرياني قد استعار هذا الباعوت عن صلب المسيح من مار يعقوب في الوقت الذي يمثل فيه الصلب بتجزئة القربان وترتيبه على شكل صليب . ثم كيف أن المعاني الجميلة والعميقة التي يتضمنها هذا الباعوت قد دفعت بعض الموارنة الى نسخه في كتب القداس تأثراً بالسريان وكيف أنّ الباعوت تلي أولاً من قبل العبادة الخاصة اذ كان الكاهن يتلوه وهو يضم يديه ، ثم درجت العادة فيما بعد أن يتلوه الكاهن الماروني وهو يرفع القربان والكأس سوية ثم فيما بعد القربان فوق الكاس .

تجدر الاشارة الى أن هذا الباعوت يتلى في الفرض الاسبوعي ، الشحيمة ، في آخر صلاة الساعة التاسعة ليوم الخميس ، وهي الساعة المكرّسة لتذكار موت المسيح على الصليب . كما وأنه ورد ذكره في خدمة القداس المارونية المخطوطة من بين الاناشيد التي يمكن تلاوتها وقت المناولة .

الخلاصة عن الكسر والرسم والتوحيد ورفع القربان.

اولاً : كان القداس الماروني يتضمن رتبة الكسر والرسم والتوحيد ورفع القربان في هذا الموقع بالذات قبل الصلاة الربية .

ثانياً : كانت النصوص القديمة حول القرن السادس مقتصرة على :

– العبارة الأولى من صلاة الكسر والرسم، بهذا الشكل تقريبا : «آمنا وقربنا ،

نختم ونكسر هذا القربان ونرسم كاس البركة باسم الاب + والابن + والروح + القدس . الشعب : آمين

ثالثاً : كان يتبع الكسر والرسم التوحيد ثم رفع القربان والكرازة .

رابعاً : لا وجود لنصوص صريحة حول نقل رتبة الكسر والرسم قبل القرن السادس عشر الى ما بعد « الاقداس للقديسين » وقبل المناولة مباشرة . انما هناك دلائل واضحة تشير الى ما يلي :

١ - ان هذه الرتبة كانت لا تزال تصنع في هذا الموضع في القرن السادس عشر (المخطوطات القديمة وخاصة مخطوط باريس ٧٣)

ب - ان الطقوس اللاتينية قد أثرت على القداس الماروني قبل القرن السادس عشر وبعده . وخاصة فيما يختص بخبز القربان وفي بعض الحركات الظاهرة ومنها «رفع القربان» اذ كان الموارنة يصنعون قديماً كما يفعل السريان فيرفعون القربان في الصينية لا بالشكل الظاهر مثل اللاتين . وقد شدد اللاتين على هذه النقطة فاضطر الموارنة الى جعل رتبة الكسر والرسم من بعد الاقداس للقديسين ، للابقاء على « الرفعة » مع القربانة الكاملة غير المكسورة بحسب الظواهر اللاتينية .

ج - هذا ما يبدو لنا الآن . وعندما نصل الى رتبة الكسر حيث تصنع اليوم ، سنتوقف على تاريخ هذه الرتبة وعلى علاقتها بالرتبة التي سقطت ، قبل الابانا .

خامساً : الصلاة الربية

أ - مقدمة الصلاة الربية

تسبق «الابانا» صلاة يوجهها الكاهن الى الله الآب يطلب فيها منه أن يؤهل الجماعة الحاضرة لان تتلو الصلاة الربية . وبينما نجدها بسيطة مختصرة في نافور الاثني عشر تكتفي بالقول : ... اهلنا نحن المساكين ... لأن نصلي بكل

تقاوة وقداسة قائلين : « ابانا الذي في السماوات » ، نجدها مطوّلة معقدة في بعض النوافير كما في نافور مرقس : يتجه الكاهن بصلاته الى الله الذي « تسجد له الملائكة ... والذي يقدس الخدمة برضاه ونعمة ابنه الوحيد وحلول روحه القدوس ... » : هذا وقد تتضمن هذه الصلاة بعض التلميحات الغامضة الى « تقدمة القرابين والثمار ... » كما ورد في نافور يعقوب . ونتساءل اية «ثمار» يعني ؟ اهي «ثمار الشفاه الروحية» اي الصلوات ، أم ثمار الأرض ؟ ليس من السهل الاجابة . إنما تعود بنا الذكرى الى التقليد الرسولي حيث نجد صلوات خاصة بمباركة الزيت والزيتون والالبان ... في هذا الموضع بالذات أي قبل الدعوة للمناولة .

على كلٍّ ، اتخذت هذه الصلاة في مجموعة النوافير اليوم دور الصلاة « السابقة للابانا والمقدّمة لها » وهي بلا شك تعود الى زمن دخول الابانا الى هذا الموضع من القداس اي إلى نهاية القرن الرابع . وان نافور مار يعقوب العائد بتأليفه الى هذه الحقبة كان ولا شك يتضمن مقدمة للابانا ، ربما تأثرت آنذاك بصلاة سابقة كانت تتضمن بركة على الثمار والالبان ... وأقدم ذكر لوجود مقدمة للابانا في النوافير السريانية نجده في شرح القداس الكلداني لنارساي في أواخر القرن الخامس .

ب ـ الصلاة الربية

أقدم ذكر للابانا في هذا الموضع من القداس يعود الى المواعظ المنسوبة للقديس كيرّلس الاورشليمي والتي هي على أكثر الظن لخلفه يوحنا من نهاية القرن الرابع . لا أثر للابانا في مواعظ المصيصي (٣٩١) ولا في المراسيم الرسولية (نهاية القرن الرابع) ، ولا في المستندات الطقسية السابقة .

أما معنى وجودها هنا فيعود الى أنها صلاة استعدادية للمناولة وذلك لسببين :

أولا لأنها تطلب « الخبز اليومي » وثانيا لأنها تطلب « مغفرة الذنوب»، ونظن أن السبب الثاني هو الأهم ، لأن مجموعة الطقوس تتضمن رتبة وصلوات استغفارية سابقة للمناولة وأقدمها ولا شك الصلاة الربية .

ورب سائل عن «الابانا» في القداس الماروني ، عن وجودها ثلاث مرات في القداس : في البدء (بعد اقبل يا واد التائبين)، هنا، ثم في آخر القداس ! عن هذا نجيب أن موقع الابانا الأساسي والأقدم هو قبل المناولة استعداداً لها . أما في البدء والنهاية فقد دخلت حديثاً على القداس ، وفي البدء هي أحدث بكثير من النهاية وبالاستناد الى مجموعة من النصوص يمكننا أن نستنتج أن الابانا في بدء القداس تعود الى القرن السادس عشر ، وقبل المناولة الى القرن الرابع وفي الأخير الى نهاية القرن الخامس [(١)] .

وإذا ما أردنا أن نستوضح عن النص المستخدم حاليا في القداس الماروني فمن الظاهر أن التأثير اللاتيني قد الحق به عند الترجمة وذلك اذ حذف من آخره المجدلة التي تضاف الى نصّ الانجيل في الطقوس الشرقية عامة والتي تعود الى الديداكه، والقائلة :

« لأن لك الملك والعزّة والمجد ...». وهذه المجدلة لا تزال في النصوص السريانية في صلاة الفرض ولكنها حذفت من الترجمة العربية .

أما كيفية تلاوة « الابانا » فكانت جماعية بنغم بسيط اي إنشادي. عند السريان والكلدان اليوم : يقف المؤمنون ، يبسطون أيديهم وينشدون معاً بنغمة عذبة الصلاة التي علّمها يسوع تلاميذه والتي بلغت الينا من خلال الانجيل وكأنها موقّعة العبارات للانشاد والترتيل . [(٢)]

---

(١) راجع شرح القداس لنارساي حيث وردت ايضاً في آخر القداس .

(٢) آخر كتاب ظهر عن الأبانا وتأليفها ومعانيها هو : J. Carmignac, Le Notre Père, 1970.

ج – الصلاة التابعة للابانا

عند نهاية الابانا يتابع الكاهن بصلاة هي تعليق على ما ورد في الخاتمة أي تشديد على الطلبة القائلة بأن ينجينا الرب من التجارب ، فيشدد الكاهن بكل دالة على الرب لأن« ينجينا من كل تجربة تعرض للنفس والجسد » (نافور مرقس) ، أو « أن يجعل لنا مع كل تجربة مخرجاً » (نافور يعقوب) ، أو أن « لا يهملنا فتتسلط علينا التجارب » (نافور الاثني عشر) ، كل ذلك يدخل في إطار الجو الاستغفاري الذي يهيمن على كل الصلوات السابقة للمناولة .

سادساً : رتبة احناء الرأس للتوبة وقبول البركة

يلقي الكاهن السلام على الشعب فينبه الخادم المؤمنين بأن يحنوا رؤوسهم قائلا : « احنوا رؤوسكم أمام الرب الرؤوف وأمام مذبحه الغافر...واقبلوا البركة من الرب » فيتلو الكاهن عندئذ صلاة بركة بهذا القول : « أفض اللهم بركاتك وقدس نفوسنا وأجسادنا لنستحق أن نشترك في جسد المسيح مخلصنا ودمه ... »

أي معنى نعطي لهذه البركة ؟

لا بـد لنا من العود إلى القديم ، فقد وردت هذه البركة حتى في التقليد الرسولي (سنة ٢١٥) وكان الكاهن من بعد أن يطلب الخادم من الشعب إحناء الرؤوس ، يقول :

« بارك يا رب الجميع رجالاً ونساءً ... استجب صلاتهم ..احفظ أجسادهم ونفوسهم ، زد إيمانهم بك ...» .

كماواننا نجد ذكراً لهذه البركة عند تيودورس المصيصي وفي المراسيم الرسولية وفي سائر الطقوس الشرقية . ويعود معناها إلى انها بركة يتلوها الكاهن على الشعب استعداداً للمناولة ، وقد اتخذت منذ القرن الرابع طابع صلاة الغفران يؤهل بها

الشعب إلى التقدم من المناولة . وقد تطورت في بعض الطقوس إلى أن أصبحت حلاً من الخطايا كما في الطقس السرياني الشرقي والقبطي . وانها لا تخلو من هذا المعنى مطلقاً في الطقس الماروني ، فمن بعد أن يطلب الخادم من الشعب «أن يحنوا رؤوسهم أمام الله الرؤوف والمذبح الغافر ...» يتلو الكاهن الصلاة مستمداً من الله قداسة نفوس وأجساد المؤمنين ليستطيعوا أن يشتركوا في المناولة .

لا شك في أن الكاهن كان يلتفت إلى الشعب عند تلاوة الصلاة وكان يرفع يده فوقهم مباركاً اياهم ، وهم منحنون علامة التوبة والاستغفار .

تابع لرتبة التوبة

يجيب الشعب على البركة : آمين ، فيتلو الكاهن من جديد بركة شاملة باسم الثالوث الأقدس قائلاً : «فلتكن نعمة الثالوث الأقدس...مع جميعكم يا أخوتي إلى الابد » ، فيقول الخادم : « لينظر كل إلى الله بالخوف والرعدة وليسأل الرحمة والتحنن » . ويصمت الجميع بينما يتلو الكاهن سراً مجموعة من فقرات مزامير تعود كلها الى التوبة :

« قدوس قدوس قدوس أنت أيها الرب الاله ...ارتفع على السماوات يا الله (مز ٥٧/٦ ، ١٢) .

« نحوك رفعت عيني ، ..مثل عين الأمة نحو مولاتها ... ارحمنا يا رب ارحمنا » (مز ١٢٣ / ١–٢) .

« ارحمني يا الله بحسب نعمتك، وكمثل كثرة رأفتك أمح مآثمي »(مز ٥١–٣).

« ارحمني يا الله فعليك اتكلت نفسي...» (مز ٥٧ – ٢) .

« خلصني يا رب من أعدائي ، ومن الذين يقومون علي احمني » (مز ٥٩–٢)

« خلصني يا رب من الانسان الشرير ، ومن الرجال الفاعلين الأثم احفظني» (مز ١٤٠ — ٢) .

« اذكرني يا رب متى أتيت في ملكوتك » (لوقا ٢٣ — ٤٢) .

يتلو الكاهن كل هذا وهو منحن خاشع ماسكاً القربان بيديه .

عندما نتفحص كل ما سبق عن قرب يتبين لنا جلياً أن الكاهن والشعب يستعدون للمناولة برتبة توبة استغفارية جماعية تتألف من انسحاق القلب بين التائب وبين الله ومن بركة الكاهن التي هي بمثابة حلّ من الخطايا. يظهر ذلك أولاً من دعوة الخادم للشعب: «بأن ينظروا الى الله بالخوف وأن يسألوا الرحمة » ثم بمجموعة الفقرات الاستغفارية التي ترد اليوم سراً على لسان الكاهن وحده والتي كانت ولا شك على لسان الشعب بأجمعه وربما سراً. وبالعودة إلى تاريخ هذه المجموعة في المخطوطات نجد انها تختلف بين مخطوطة وأخرى ولكنها تعود دائماً إلى فقرات مختارة عن التوبة . وتجدر الاشارة هنا إلى أمرين:

أ — لا علاقة لهذه الفقرات بالدعوة إلى المناولة فيما بعد (الأقداس للقديسين) كما وان الكاهن لم يكن قديماً يمسك القربان بيديه عند تلاوتها بل كان يتخشع ويبسط يديه بشكل تضرع وعلامة توبة .

ب — ترد هذه المجموعة في نافور « شرر» وعنه قد اخذت . وفي القداس السرياني الشرقي الموازي له ترافق رتبة التوبة هذه صلاة حلّ من الخطايا يعتبرها السريان الشرقيون اليوم الحلّ الوحيد من الخطايا (١) .

سابعاً : الدعوة للمناولة او « الأقداس للقديسين »

اعتاد الكثيرون أن يطلقوا على هذه الدعوة لقب « الرفعة » إذ يرون الكاهن

(١) بالحديث مع سيادة مطران السريان الشرقيين في لبنان (الأشوريين) في ١٩٧١/١/٢٤ تبين انهم لا يقبلون اليوم سر التوبة بالشكل المعروف عند الكاثوليك بل يكتفون بالحل الجماعي (صلاة الحساي أو الغفران) في هذا الموضع من القداس. وكل من قبله يعتبر مؤهلا لاقتبال القربان.

يرفع القربان ثم الكاس . وربما أثر على ذلك القداس االلاتيني الذي يتضمن بالواقع « رفعة » القربان والكاس عند كلام التقديس . ومن المعلوم أن الرفعة تحتل في النظرية اللاتينية الشعبية مكاناً مرموقاً . انما الفرق كبير بين مفهوم الرفعة بحد ذاتها وبين الدعوة للمناولة. فالرفعة قد دخلت القداس اللاتيني من بعد القرن الحادي عشر عند ظهور هرطقة تنكر الاستحالة الجوهرية بكلام التقديس . عند ذلك أمر البابا بأن يرفع القربان من بعد تقديسه والكاس من بعد تقديسها وبأن يسجد الكاهن والشعب علامة الايمان بالاستحالة الجوهرية. أما الدعوة للمناولة فتكون، برفعة أو بغير رفعة، هتافاً من الكاهن يدعو فيه المؤمنين إلى التقدم للاشتراك في الاسرار . وربما رافق دعوته كما في قداسنا الماروني برفع القربان عالياً ثم شمالاً ويميناً أي نحو الجهات المختلفة لدعوة الشعب بشكل حسي أكثر . وكذلك يصنع فيما يختص بالكاس . وقد جرى بعض التحوير في نص الدعوة هذه وفي كيفيتها من المستحسن ذكره .

أ ـ **النص** : أول ما نجد ذكراً لهذه الدعوة هو في التعاليم المنسوبة للرسل والمعروفة « بالديداكه » من القرن الأول : « من كان قديساً فليتقدم » وجاء تحذير في الديداكيه نفسها ترداداً عن لسان السيد المسيح : « لا تعطوا القدس للكلاب » (متى ٧ ـ ٦). وقد تبدلت هذه العبارة فأصبحت في طقوس الكنيسة : «القدس» أو « الأقداس للقديسين » .

ونجد هذه العبارة في مجموعة النصوص الطقسية القديمة : التقليد الرسولي (سنة ٢١٥)ثم المراسيم الرسولية، فمختلف المواعظ والشروح عن القداس في القرن الرابع . وجاء الاختلاف في الترجمة بين «القدس والأقداس » بسبب اللفظة اليونانية الواردة في متى ٧ / ٦ والتي هي بصيغة الجمع واسم الجمع : «آغيا» (١) .

---

(١) آغيا = neutre يترجم بالشيء المقدس ،القدس، الأقداس ، القدسيات ...

وردت في المخطوطات المارونية بأشكال مختلفة تختصر بما هو موجود الآن :
« الاقداس تعطى للقديسين بالكمال والقداسة » . وكان الشعب يجيب على هذه الدعوة بتقديس اسم الرب وحده قائلاً : الرب وحده قدوس . وتنوّع الجواب بين أن يقال : « قدوس واحد رب واحد يسوع المسيح...» ويتوقف الجواب على المسيح ، كما ورد في المراسيم الرسولية وكما هو الآن في القداس البيزنطي ، وإما أن يكون الجواب عن الثالوث بأكمله: «آب واحد قدوس، ابن واحد قدوس ، روح واحد قدوس»... كما ورد في التقليد الرسولي (٢١٥) وكما هو الآن في القداس الماروني والسرياني ...

ب – **رفعة القربان :** في الطقوس السريانية اليوم، وحده الكاهن الماروني يرفع القربان غير المكسور بيديه ، بالشكل اللاتيني نوعاً ما .أما في الطقس السرياني فالكاهن قد كسر القربان ووضعه على الصينية ولذلك فأنه يرفع الصينية المتضمنة القربان ويرفعها فيما بعد مع الكأس وهو يقول : الاقداس للقديسين .

رفعة القربان غير مفصولة عن رفعة الكأس لأن الرتبة هي دعوة للمناولة من الخبز والكأس .

كذلك يفعل أيضاً الكاهن الكلداني اذ يضع القربان فوق الكأس دون أن يرفعهما بل يلتفت نصف التفاتة نحو الشعب وهو يقول : الاقداس للقديسين .

ج – **رفعة الكأس :** يعود الكاهن الماروني فيرفع الكأس بالشكل الذي رفع به القربان : عاليا ، شمالاً ويميناً،وهو يقول :«آب واحد قدوس، له المجد آمين ، ابن واحد قدوس له التسبيح ، آمين ، روح واحد قدوس لهالمجد والشكر إلى الأبد ، آمين » .

وتجدر الاشارة الى أمور مختلفة :

– **رفعة الكأس وحدها :** وهي خاصة بالطقس الماروني . فلا الطقس السرياني يرفع الكأس دون الصينية ، ولا الكلداني ولا البيزنطي . ونظن أن هذا الانفراد قد حلّ به بسبب التأثير اللاتيني الذي يشدد على ضرورة «الرفعة»

– **كلام الكاهن عند الرفعة :** «آب واحد قدوس له المجد ، آمين ... » أية علاقة بين الدعوة للمناولة وبين ترداد الاعتراف بقداسة الاقانيم الثلاثة !

لا شك أن الكاهن يكرر ما ورد في جواب الشعب : آب واحد قدوس ... وليس لهذا التكرار علاقة بالدعوة بل هو مجرد تكرار اعتراف. والجدير بالذكر أن الكاهن اليوم يتلو ما يعود له وما يعود للشعب، فقد كان الشعب يجيب على: « آب واحد قدوس . » بقوله : له المجد امين ! ابن واحد قدوس : له التسبيح ، آمين ... وقد أصبح الجواب كله وحتى «آمين» على لسان الكاهن .

بالنتيجة لا رفعة للقربان هنا، بالأساس بل دعوة للمناولة يرافقها هتاف ايماني بقداسة الله . ولا رفعة منفردة للقربان غير المكسور ، بل رفعة للقربان على الصينية والكأس معاً كانت تقديم القرابين المقدسة للشعب بالقول : كل شيء جاهز فليتقدم من كان اهلاً لذلك .

المناولة

من بعد دعوة الكاهن الشعب للتقدم من المناولة ، تتوالى الاناشيد والصلوات والاعمال التالية :

١ — نشيد « بسر قيامة ... »

٢ — بركة الكاهن على المؤمنين .

٣ — انتم أيها الكهنة اذا وقفتم في بيت القدس »

٤ — مباركة القربان

٥ — كسر القربان

٦ — المزمور ١٥٠

٧ — كرازة

٨ — رش الدم على الجسد

٩ — القاء جزء من القربان في الكأس

١٠ — استعداد الكاهن للمناولة وتناوله

١١ — البركة على الشعب وزياح القربان

١٢ — مناولة الشعب

١٣ — أناشيد وقت المناولة وبعدها

١٤ — الدورة بالاسرار ومباركة الشعب

في توالي هذه الأمور تكثر الاسئلة . لذلك لا بد من التوقف على كل من هذه العناصر وعلى نسق رتبة المناولة في الطقسين السرياني والكلداني .

١ – نشيد « سر قيامة ... »

يتألف هذا النشيد من أربعة أبيات متفاوتة الطول ومختلفة التقطيع الشعري : « بسر قيامة ...» ، « عساكر السماء ...» ، « فوق مذابحك ...» ، مبارك الذي ... » .

أقدم بيت من هذه الأناشيد هو « عساكر السماء » وقد ورد في مجموعة تراتيل سريانية محفوظة في مخطوط من القرن الثامن [١] ، وقد جاء تحت اسم « بروسفوريكون » أي «نشيد المناولة » ومن بعد التوجيه التالي : « أبيات يقولها الكهنة عندما يكسرون القربان ويرتل الاخوة من ورائهم : عساكرالسماء ...»

واذا ما عدنا الى نص هذا النشيد نجد أنه يذكر « كسر القربان » حين تلاوته : « عساكر السماء تقوم معنا في بيت القدس ، وتزيح جسد ابن الله المذبوح أمامنا ، تقدموا وتناولوا منه لمغفرة الخطايا »...،

هذا مع العلم أن السريان ايضا ينشدون هذا النشيد في هذا الموضع بالذات دون أن يقوموا بتكسير القربان للمناولة . فهل يعني ذلك أنه كان لهم بالقديم رتبة «تكسير» للمناولة فقط في هذا الموضع بالذات كما هي الحال عند الموارنة ؟

على كل، انه نشيد دعوة المؤمنين الى التقدم من المناولة .

٢ – البركة على المؤمنين

من بعد أن يتقدم المؤمنون للمناولة يباركهم الكاهن بصلاة مطولة تذكّر بسائر البركات العامة لكنها كانت بالأساس بمثابة حلٍّ من الخطايا قبل

(١) B. M. Add. 17207

التقرّب . تجدر الاشارة الى أن هذه البركة ستعود وتتكرر بشكل ثان قبل مناولة الشعب مباشرة . كما وأننا نجد بركة مشابهة لها في الطقس السرياني قبل مناولة الشعب ايضا .

ومن يتأمل في نصّ هذه البركة يجد أنها تشدّد على فعالية الروح القدس في تقديس القربان «الذي جاء برحمته وانحنى بحنانه وأتى وقدس قربانا وختم البيعة وابناءها بقوة الصليب العظيمة» ولنلاحظ كيف أن ختم البيعة بالصليب أيضاً منسوب الى الروح عينه . كما وأن الصلاة تنتهي بطريقة غير طبيعية اذ تنتقل من الدعاء للبركة الى التسبيح وتصعيد المجد !

٣ – انتم ايها الكهنة .. »

يناجي الشماس الكهنة قائلاً :

«ايها الكهنة، اذ أنتم قائمون في بيت القدس، افتحوا أبواب قلوبكم وانشدوا المزمور وباركوا على هذا القربان الموضوع في بيت القدس ».

وتضع خدمة القداس المزمور ١٥٠ مباشرة من بعد هذا النداء ، وهو الذي يبدأ : « سبحوا الرب في قدسه ... » استجابة لما قال الشماس : انتم القائمون في بيت القدس انشدوا المزمور ...

ونفهم من الكلام أن الشماس يدعو الكهنة الذين تجمعوا في قدس الاقداس للمناولة وهم ينتظرون دورهم ، يدعوهم الى تلاوة مزمور التسبيح . لكننا لم نع تماماً بعد معنى « افتحوا أبواب قلوبكم » ، لمَ هذه الاستعارة في الكلام ؟

علينا أن نعود هنا الى الرتبة ذاتها في القداس الكلداني حيث تقول الروبريكه : «تفتح ستائر الأبواب، ويقول الشماس : سبحوا الله الحي ، فيقول الذين هم في الهيكل : التسبيح له في بيعته ...» ثم يرتلون نشيد اليوم المدعو« نشيد المنبر » ،

وبذلك يتناوب الجوقان من داخل القدس وخارجه على ترتيل النشيد .

فالشماس الماروني بقوله : « افتحوا أبواب قلوبكم وانشدوا المزمور ...» انما يرمز الى فتح أبواب الهيكل والى بدء التسبحة ، كما ورد في الطقوس الكلدانية .

وتجدر الاشارة الى أن القداس السرياني الحاضر يجهل الدعوة والمزمور المنوه عنهما في القداسين الماروني والكلداني .

٤ — مباركة القربان

« يصنع الكاهن اشارة الصليب على الأسرار ويقول : « بارك اللّهم هذه الكسرة التي في بيت القدس ، وبارك الارض التي اخذت منها ...» وتقول المخطوطات أنه يبارك بالصليب . اننا نعجب أن نرى الكاهن يبارك القربان المقدس فهو أمر غير طبيعي اذ كيف ترتفع يد الكاهن لتبارك مما هو القداسة بالذات ، ربما كان ذلك جواباً على دعوة الشماس : « انتم ايها الكهنة ... باركوا على هذا القربان الموضوع في بيت القدس » . لكن الدعوة ذاتها انما هي خاطئة . وتنقصنا النصوص القديمة لنجد النص الأصلي الذي نظن أنه كان : « باركوا الله من اجل هذا القربان » .

أما نص البركة : « بارك اللهم هذه الكسرة ... » فهو مذكور في بدء القداس السرياني اليعقوبي في قسم التهيئة في البدء عندما يأخذ الكاهن القرابين فيباركها ويقول : « بارك اللهم هذه الكسرة ... وبارك الأرض التي أخذت منها ...»

٥ — الكسر

بدل أن يتقدم الكهنة والشعب من المناولة نجد الكاهن يقوم بكسر القربان قائلاً : « اهل يا رب يدي الضعيفتين لأن تتقدما وتكسرا جسدك المقدس وتوزعاه

على أبناء البيعة المقدسة بالايمان الحق » . ثم يتابع القول مرددا بالمعنى ذاته صلوات وأدعية من أجل الذين يتناولون القربان وخاصة المؤمنين دون أن يعود الى ذكر الكسر أو الرسم ...ومن قول الكاهن وهو يكسر : « تباركت يا ربنا يسوع المسيح ، الخبز الحي الذي نزلت من السماء ... كل مؤمن اشترك معنا في هذا القربان ،اشركه اللهم في ملكوتك السماوي ... يا ربنا يسوع المسيح اعطني أن أقف قدامك بلا وجل عندما تظهر مع ملائكتك..فليجد الأحياء والاموات المراحم والحنان في يوم الدين » .

ان الكسر الذي يقوم به الكاهن اليــوم لا يتطلب الوقت الكثير ولا كل هذه الصلوات والادعية ، ولا هو بالفعل كسر القربان للشعب بل هو فقط كسر قربان الكاهن الى جزئين ثم كسر طرف الجزء الثاني . فلمَ كل هذه الشروح المطولة ؟ اننا نظن أن الكاهن كان يكسر عندئــذ القربان الذي سيوزعه على الشعب ! وتذكر الروبريكات القديمة في بدء القداس الماروني أن الكاهن كان يقدس خبزات كثيرة غير مفردة » اثنتين ، أربع ...يكسرها ويوزعها على المتناولين .

٦ – المزمور ١٥٠

سبق وقلنا أنه جواب لدعوة الكهنة الى «انشاد المزمور». وهو تسبيح لله في « قدسه » عندما يتقدم الكهنة للمناولة في قدس الاقداس .

٧ – الكرازة

في سياق الرتبة ومن بعد المزمور يستأذن الشماس من الكاهن ويتلو كرازة عامة يذكر فيها :« المرضى ... والاحياء والموتى ، والبعيدين والقريبين ، والذين تقدمت عنهم هذه الذبيحة ، ومن أجل المهتمين في الكنيسة ، ومن أجل السلام

في الكنيسة والعالم ...» كل هذه الكرازة ربما كانت تتلى عند مناولة الكهنة والشمامسة العديدين التي كانت تحتاج الى وقت طويل .

٨ — رش الدم على الجسد

يأخذ الكاهن الجزء الصغير من القربانة ويغمسه في الكأس وينضح به القربان ثلاث مرات قائلا : « يرش دم ربنا على جسده المقدس باسم الاب + والابن + والروح + القدس ».

ان رتبة الرش هذه هي غير رتبة الرسم ولكنها تشبهها . ورغم انها مجهولة تماماً في سائر الطقوس كرتبة رشّ ، انما هي معروفة كرتبة رسم لتوحيد الافخارستيا في شكليها. ولنلاحظ استخدام لفظة «رش» التي هي خاصة بالطقس الماروني دون سواه من الطقوس . كما وأنه علينا أن نلاحظ عدم وجود لفظة «رسم» في هذه الرتبة ، وهذا مما يدل على أن «الرسم» قد صار سابقا قبل الابانا ، أما رتبة الرش هذه فهي طريقة لاعداد المناولة تحت الشكلين وربما لمناولة الأولاد الذين لم يكونوا يشربون من الكأس مثل الكبار بل يتناولون فقط الخبز المقدس المرشوش عليه الدم الطاهر .

٩ — القاء جزء من القربان في الكأس

في الحالة الحاضرة «يلقي الكاهن الجزء الصغير من يده في الكأس وهو يقول :« وحدت (وبالأساس : خلطت) يا رب لاهوتك بناسوتنا وناسوتنا بلاهوتك، وحيويتك بميتوتتنا ، وميتوتتنا بحيويتك ، أخذت ما لنا واعطيتنا مالك ، لحياة نفوسنا وخلاصها ، لك المجد إلى الأبد».

لقد أعطينا الصلاة بكاملها ليتبين لنا روح هذه الصلاة المشبعة بتفكير مدرسة الاسكندرية الكيرلسية والقريبة من تفكير السريان ، رغم أنها ليست موجودة

الآن في القداس السرياني . ولا نستغرب وجود لفظة « خلطت » لأنها بالواقع تمثل العمل الذي يقوم به الكاهن اذ كان «يخلط» الخبز بالخمر اذ يلقي من أجزاء القربان في الكأس. هذا ما نجده هنا ايضا في القداس السرياني اذ يلقي الكاهن في الكأس العدد من القربانات التي سيتناولها الكهنة وعلينا ألاّ ننسى أحدى الطرق المستعملة قديما للمناولة وهي بواسطة الملعقة . كما وأن « الاختلاط » معروف في القداس الكلداني بعد رتبة الرسم .

١٠ ــ استعداد الكاهن للمناولة وتناوله

هذا أمر بديهي وعام في سائر الطقوس. لكن الطريقة التي تقوم اليوم بالانحناء وقرع الصدر ثلاثاً وتلاوة صلاة استعدادية فهي مارونية متأثرة باللاتينية . أما الشكل القديم فيعرب عنه السريان مع الصلاة نفسها التي يستخدمها الكاهن الماروني ، اذ ينزل الكاهن عن المذبح وينحني ساجداً بثلاث مطانيات ثم يطلب المسامحة من الكهنة والشعب ويتقدم من المناولة . كما وأن المخطوطات تذكر أن الكاهن كان يحمل القربان في راحته ثم يتلو صلاة استعدادية قبل أن يتناوله .

١١ ــ البركة والزياح

بعد أن تنتهي مناولة الكهنة والشمامسة «يلتفت الكاهن نحو الشعب راسما اشارة الصليب قائلا : « عبيدك والساجدين لك الذين ينتظرون موهبة الحياة ، اختمهم بصليبك ... ».

ان هذه البركة هي تكرار للبركة الأولى التي تلاها الكاهن من بعد «الاقداس للقديسين» وهي تسبق مباشرة مناولة الشعب المصطف أمام باب الهيكل منتظرا قبول القربان . وهي بنصها الحالي قريبة جداً من البركة التي يتلوها الكاهن في القداس السرياني مباشرة قبل مناولة الشعب : « ابسط يا رب يمينك

وبارك جمع الساجدين لك والمتقبلين جسدك ودمك الكريم ... » وتقابلها ايضا صلاة بركة في القداس الكلداني يتلوها الكاهن مباشرة قبل المناولة « راسماً صليباً على الشعب » .

ويهيء الكاهن لمناولة الشعب بزياح الصينية والكأس ، وتقول الروبريكه الحالية :

«يزيح الكاهن الصينية بيديه شكل صليب من شمال المذبح قائلا : (نشيد على الوزن اليعقوبي) قدوس قدوس... ويزيح الكاهن الكأس بشكل صليب من يمين المذبح قائلاً : فليكن قدسك ... ».

إن لفظة « زيّــح » ، تعني « تحرك » وهنا نقل القربان من مكــان الى مكان . وان النشيد الذي يرافق «الزياح» انما هو مطابق تماما لحركة النقل. أما لماذا ينقل الصينية عن شمال المذبح ثم الكأس عن يمينه فهذا لأن المناولة كانت تجري تحت الشكلين فكان الكاهن يحمل الصينية والشماس الكأس فيتقدم المؤمنون من المناولة من الخبز أولا ثم من الكاس، آتين بصف واحد من الشمال حتى اليمين.

أما النشيد الذي يرافق هذا الزياح فانه يتفق بمعناه مع الحركة التي يقوم بها الكاهن داعياً المؤمنين الى المناولة ، وقد جاء بهذا الكلام : « قالت البيعة . ايها الاخوة خذوا جسد الابن واشربوا بايمان دمه ورتلوا المجد . — » النشيد والدعوة الأخيرة معروفان في الطقس الكلداني .

أما التقطيع الشعري فهو الوزن المعروف باليعقوبي وهو ينشد على كــل الالحان اليعقوبية المؤلفة من اثني عشر مقطعاً .

١٢ — مناولة الشعب

ان أقدم شهادة عن كيفية المناولة في الطقس الماروني محفوظة في كتاب

الهدى ، من منتصف القرن الحادي عشر . من بعد أن يذكر صاحب الكتاب القوانين اللازمة للمناولة من صوم وطهارة ، يقول في باب «قانون أخذ الجسد» :

« يأتي الى البيعة في وقت تقديس السراير الطاهرة ، ويكتف يديه ، ويقف قدام المذبح المقدس ، وراء الكاهن ، ويجعل بصره الى المذبح ، وسمعه الى ما يقوله الكاهن ... ويجعل باله كله الى استماع القداس من أوله الى آخره . ولا يتحدث في القداس ولا يقطع تسبحة الله تعالى ، ولا يستند إلاّ عن ضرورة مثل أن يكون من أعقاب مرض ، أو ما أشبه ذلك ، ألى أن يفرغ القداس وتنقضي صلاة السراير المقدسة ، ويحمل الكاهن الجسد ويخرج به الى الناس ، فيتقدم ويكشف رأسه ويسجد لله قدام الجسد ثلاث كرات ، ويأخذ الجسد. واذا وضع الكاهن الجوهرة في فمه ردّ عليه يده اليمين من أسفل ، واليسار من فوق ، مختلفين على زي الصليب المحيي . فاذا فرغ من أكله ، تقدم الى الكاس ، فيسجد قدامه ثلاث كرات ، ويأخذ منه بقدر ما يرطب شفتيه ولسانه وجميع فمه ، ويصل الى حلقه . ثم يقف بعد ذلك مسكيناً خاشعاً شاكراً الله تعالى على ما أنعم به عليه واهّله . فاذا فرغ الكاهن من بقايا القداس وتسريح الصلاة ، تقدم فأخذ البركة التي تقسم على الأمة ، فيجعل أفكاره عليها ويحفظ نفسه بقية يومه من جميع الآثام التي تقدم ذكرها ... » (١)

أما عن وفرة التقرب من المناولة فيلوم الروم والأرمن على قلّة تقدمهم من المناولة ثم يقول :

« فأما أكثر السريان ، وهم أهل مذهبنا ، وأكثر اليعاقبة والنساطرة فرأيهم أن المواظبة على أخذه في جميع الأوقات أولى من تركه ، حتى ان أهل مذهبنا رأوا أنه ان امكن الانسان ألاّ يذهب يوم واحد إلاّ ويأخذ فيه الجسد كيف ما

---

(١) ص . ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

قدر عليه وحيث ما قدر عليه كان أولى وأجرى » [1]

هذه أقدم شهادة عن المناولة عند الموارنة ، أما قبل ذلك فلنا شهادات الآباء السريان والانطاكيين مثل مار افرام وتيودورس المصيصي من القرن الرابع .

يستدل من مواعظ المصيصي أن المناولة كانت تجري على النحو الآتي :

« يتقدم كل منا .. منحني الرأس . يداه مبسوطتان . يمدّ اليد اليمنى ليقبل القربان المعطى ويضع تحتها اليد اليسرى . يقول الكاهن وهو يعطي القربان : جسد المسيح . ولهذا تقول انت بعده : امين . ويصنع الشيء ذاته من أجل أخذ الكأس » [2]

ويخبرنا مار افرام أن المتناولين كانوا يقبلون القربان [3] » وهذا معروف . ايضاً في الطقوس السريانية القديمة ، اذ كان المتناول يضع القربان اولاً على عينيه ثم يقبله ويتناوله . وهذا باق في نشيد « قد أكلت جسدك » في آخر القداس الماروني اذ يقول : « وعيني التي مسّت به رحمتك تبصر » .

واننا نتصور رتبة المناولة قديماً عند الموارنة بالشكل الذي تصير به اليوم في القداس السرياني الشرقي عند الاشوريين : يتقدم الرجال نحو الكاهن حامل القربان وهم يضعون يدهم اليمنى فوق اليسرى فيأخذون القربان على حفنة يدهم ثم يضعونه على عينيهم ويتناولونه مطبقين يدهم على فمهم ، ويتقدمون بعد ذلك من الشماس حامل الكأس فينحنون ثم يشربون قليلاً من الكأس . وكذلك

---

(١) ص . ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) Voir : Tonneau, Devreesse. — pp. 577-579.

(٣) أغناطيوس افرام (الرحماني) ، المباحث الجلية في الليترجيات الشرقية والغربية ، ١٩٢٤ ص . ٣٢٣ .

أيضا تصير مناولة النساء انما ليس على المذبح بل يجيء الكاهن والشماس الى أمام المحل المخصص للنساء في الكنيسة . أما مناولة الأولاد الصغار فتكون بأن يضع الكاهن في فمهم القربان المرطب بالدم الطاهر ، اما بيده واما بالملعقة .

هذا ما ورد عن رتبة المناولة في كتاب الهدى من منتصف القرن الحادي عشر . أما بعد ذلك التاريخ فنجد أن الموارنة ظلوا يناولون تحت شكلي الخبز والخمر الى أن تأثروا بالعادات اللاتينية شيئاً فشيئاً وتشبهوا بهم . فمن المعروف أن اليانو في مذكراته عن زيارته للموارنة سنة ١٥٧٨ – ١٥٨٠ يتحدث عن المناولة تحت الشكلين . وفي أحد أسئلته للاهوتيين الرومان، يتساءل «اذا ما كان يجب أن يحافظ الموارنة على اعطاء المناولة للعلمانيين تحت الشكلين» ، فيأتي الجواب « أنه يجب ابعاد العلمانيين تدريجيا عن المناولة تحت الشكلين بسبب خطر ضياع الدم الثمين » . (١) لكن الموارنة ظلوا محافظين على عادة اعطاء المناولة تحت الشكلين طويلاً بعد اليانو ، وكانوا يعطونها حتى للاولاد الصغار من بعد العماد (٢) . وقد ورد في مجمع جبل لبنان الاول سنة ١٥٩٦ ما يلي :

« بل هو (الكاهن) أولا يأخذ الجسد والدم وبعد ذلك يقربهم من القسمات التي هي بالكأس أم مغطسة بالدم أم مع قليل من الدم » (٣) . ويظهر من رسالة لجبرائيل الصهيوني أن المناولة تحت الشكلين كانت لا تزال قائمة عند الموارنة في السنة ١٦٤٤ (٤). وليس لنا نص قانوني واضح قبل نص المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ يمنع المناولة تحت الشكلين .

---

(١) J. Féghali, Histoire du droit, p. 53.

(٢) Idem, p. 65.

منعت المناولة للأولاد من بعد مجمع حراش سنة ١٦٤٤ (ص . ٢٧٤) (Idem) .

(٣) القانون ١١ ، ذكر الملعقة في القداس وارد في الطبعة الأولى – في بدء القداس .

(٤) Féghali, p. 308.

أما الحالة الحاضرة اليوم فهي أن سائر طقوس الكنيسة، الغربيةوالشرقية، تسمح بالمناولة تحت الشكلين ما عدا الطقس الماروني الذي ورث هذه العادة عن اللاتين ، والآن بعد أن تغيرت العادة عند اللاتين لا تزال قائمة عند الموارنة .

يبقى علينا أن نعرف كيفية توزيع القربان في الكنيسة : من بعد مناولة الرجال كان الكاهن والشمامسة يحملون القربان ويدورون في الكنيسة حتى يصلوا الى أمام « الشعرية » التي كانت النساء وراءها . فتتناولن القربان من باب « الشعرية » ويعود الكاهن والشمامسة بزياح الى الهيكل . وكان الوالدون آنذاك يقدمون أولادهم ليباركها الكاهن بالقربان وقت الزياح .

أما التراتيل التي كانت تنشد وقت المناولة فهي أكثر الأحيان مأخوذة من البواعيت الافرامية أو اليعقوبية ، وهي تعود اما الى القربان واما الى تذكار الأحياء والاموات في وقت يتناول فيه الاحياء ويذكر الاموات .

١٣ ـ اناشيد وقت المناولة وبعدها

ان النشيد المعروف اليوم وقت المناولة هو باعوت بالوزن اليعقوبي : « يا خبز الحياة» ، معروف فقط باللغة العربية وربما كان مستمداً من أحد الأناشيد السريانية. لكن هناك طائفة من التراتيل والمزامير الشائعة التي أصبحت اليوم بحسب اختيار المرتل . فهل بالامكان معرفة الاناشيد القديمة التي كانت ترتل وقت المناولة ؟

أقدم مزمور مذكور وقت المناولة هو الرقم ٣٤ (٣٣) حيث وردت الآية : « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب ..» وهو المزمور الباقي اليوم في الطقس الماروني من بعد المناولة . وجاء المزمور هذا عند المناولة في المراسيم الرسولية وفي مواعظ كيرلس الاورشليمي في نهاية القرن الرابع .

ثم حلت الأناشيد القربانية ، وهي القصائد الافرامية واليعقوبية، فيما بعد محلّ المزمور . ومن هذه الأناشيد ما هو باق حتى اليوم ! منها ما ورد في كتاب الخدمة : « قال ربنا أنا الخبز الحي ...» ومنها ! باعوت « ايها الآب الحق ها هوذا ابنك ... » ومنها : « يا خبز الحياة » الخ ...

اما الأبيات السريانية التي ينشدها الكاهن والشعب اليوم بعد المناولة وقبل دورة الكاس فتعني ما يلي :

اولاً : انها أناشيد مختلفة الأوزان انما تعود كلها للموتى، الأول على الوزن الافرامي : «اقبل يا رب بتحننك ... » اي ٧ مقاطع ...والثاني على لحن : « دخلت بيتك » أي ٥ — ٧ ...

ثانياً : ترافق هذه الاناشيد بعض الحركات المناسبة فبينما يقول : « اقبل يا رب ...» يرفع الكاهن القربان على الصينية ، وفي المرة الثانية ايضا بينما يقول : «إقبل قربان عبيدك» يرفع الصينية على الكأس ثم الكأس والصينية معاً .

ونظن أن الأصل كان أن يختار الكاهن بين النشيد الأول ورفع الصينية ، وبين النشيد الثاني ورفع الصينية والكأس .

أما لماذا يرفع القربان هنا فهو لتذكار الموتى . وربما كان ذلك قبل مناولة الشعب أو بعدها عندما كان يدور في الكنيسة ويعبر على مدافن الموتى الموجودة في الكنيسة ، كان يرفع القربان تذكاراً لهم وينشد الشعب نشيداً موآتياً لذلك .

وقد كانت هذه الابيات مختصرة جداً في المخطوطات القديمة ففي أقدمها ، باريس ٧١ ، نجد فقط ما يلي : من بعد أن «يزيح» القربان قائلاً : قدوس قدوس (بيت واحد) يضع القربان فوق الكأس قائلا : « ايها الملك السماوي اقبل قربان عبيدك ...». هذا كل ما ورد .

١٤ — الدورة والمباركة بالاسرار

من بعد المناولة «يدور» الكاهن بالكاس وفوقه الصينية نحو الشعب ويباركه بالأسرار قائلاً: « ايضاً وايضاً بك يا رب نعترف ... من أجل جسدك الذي أكلناه ودمك الذي شربناه ...»

ثم يتناول ما تبقى وينظف الآنية، وبعده يتلو صلوات الشكر ويبارك الشعب ويصرفه.

هذه هي الحال اليوم، أما في الماضي، فكانت الأمـــور مثلما وردت في مخطوط باريس ٧١ :

من بعد دورة الكاس، يتلو صلاة الشكر ثم صلاة الختام ويصرف الشعب. وبعد ذلك يعود الى تناول ما تبقى والى تنظيف الآنية.

أما الدورة فكانت بالاساس مباركة الشعب بما تبقى من الاسرار عندما يعود من المناولة: يأخذ الكاس من الشماس ثم يضع عليها الصينية ويبارك المؤمنين ثم ينقل الاسرار الى المذبح الجانبي، كما هي الحال عند الطوائف الشرقية.

نسق رتبة المناولة في الطقسين السرياني والكلداني

ـــ رتبة المناولة عند السريان

١ — الدعوة للمناولة: الاقداس للقديسين ...

٢ — نشيد اعدادي للمناولة: عساكر السما أو غيرها تختلف بحسب الاعياد

٣ — صلاة استعدادية للمناولة يتلوها الكاهن

٤ — مناولة الكاهن

٥ — يضع في الكأس جزءاً أو أكثر لمناولة الكهنة أو الشمامسة

٦ ــ مناولة الكهنة

٧ ــ الزياح نحو الشعب

٨ ــ البركة على الشعب

٩ ــ مناولة الشعب ــ نشيد وتذكارات

١٠ ــ الدورة بالاسرار

ب ــ رتبة المناولة عند الكلدان

١ ــ الدعوة للمناولة : الاقداس للقديسين

٢ ــ غلق أبواب الهيكل

٣ ــ نشيد

٤ ــ فتح أبواب الهيكل

٥ ــ تسبحة

٦ ــ نشيد البيم او المنبر

٧ ــ رفع القربان فوق الكأس واظهاره للشعب

٨ ــ استعداد الكاهن للمناولة

٩ ــ مناولة الكاهن ثم الكهنة

١٠ ــ البركة على الشعب

١١ ــ زياح ونشيد

١٢ ــ مناولة الشعب

١٣ ــ نشيد ...

بنتيجة المقابلة بين سائر الرتب في المناولة يتبين ما يلي :

١ - كسر القربان بعد « الاقداس للقديسين » موجود فقط في الطقس الماروني دون سواه . أما في الطقس السرياني فيكتفي الكاهن بالقاء بعض أجزاء من القربان في الكأس لمناولة الكهنة .

٢ - تغلق أبواب الهيكل عند مناولة الكهنة بحسب الطقس الكلداني بينما يرتلون تسبحة مؤاتية .

٣ - من بعد خروج الكاهن بزياح من الهيكل الى الدار للمناولة ينشد الشعب نشيداً موافقاً للمناولة أو تنشد بعض التذكارات كما ورد في الطقس السرياني .

٤ - تبقى رتبة الكسر والنضح والتوحيد مختصة بالطقس الماروني دون سواه . ويتضح لنا بذلك انها رتبة مستحدثة في هذا الموضع وذلك للاسباب التالية :

أ - لا تتضمن في كل النصوص المرافقة للنضح والتوحيد لفظة واحدة عن الرسم . ومعروف أن «الرسم» قديم وأصيل في الطقوس السريانية .

ب - ابقي الكسر الى هذا الموضع لتحصل رفعة القربان على الطريقة الغربية .

ج - ربما كانت هذه الرتبة بالأساس مثل عند السريان : لمناولة الكهنة بالقاء بعض الاجزاء في الكأس . فأضيف اليها الكسر وحذفت الرتبة السابقة فأصبحت على ما هي الآن . وقد تكون اقتصرت هذه الرتبة على تكسير القربان للمناولة فحسب دون التوقف على الرسم والتوحيد . نتيجة الكلام هو ان الرتبة الاستعدادية للمناولة في الطقس الماروني هي الآن مزدوجة وان الرتبة الاولى هي اقدم من الثانية .

بعد المناولة ودورة الكاس

لنرجع الى سائر الطقوس السريانية : فاذا ما اتخذ نسق السريان المشارقة والسريان الغربيين فانما نجد لهذا القسم من بعد المناولة التنسيق العام التالي :

١ ــ اعلان من الشماس يدعو المؤمنين الى تأدية صلوات الشكر .

٢ ــ صلاة الشكر يتلوها الكاهن

٣ ــ صلاة ثانية موجهة للمسيح

٤ ــ ختام أو بركة

٥ ــ تناول ما تبقى ثم تنظيف الآنية .

لكن الواقع الحالي نقل رتبة مناولة ما تبقى وتنظيف الآنية الى ما قبل صلوات الشكر تشبها بالقداس اللاتيني وتأثراً بالنظرة اللاهوتية القائلة باحترام القربان وعدم تركه على المذبح الى ما بعد صرف الشعب . وهذا نجده لا في الطبعة الأولى بل فقط في الثانية . واستناداً الى نافور الاثني عشر نسعى في شرح هذا القسم الباقي من القداس ، نأخذه كما هو في وضعه الحاضر اذ نشرح رتبة «تناول ما تبقى» « وتنظيف الآنية » ثم صلوات الشكر والبركة .

١ ــ تناول ما تبقى

تذكر توجيهات كتاب القداس أنه يتناول ما تبقى على الصينية ثم ما بقي

في الكاس ، ولكن الكتاب يعطي فقط نصاً عند شرب الكأس دون نص عند تناول الخبز. وهذا يعني أن الكاهن كان يناول الشعب من الجزء الثاني من القربان اذ كان قد تناول الجزء الأول، او كان يلقي كل الخبز في الكاس ويناوله بالمعلقة .

ان الصلاة التي تبدأ : « القربان الذي قربناه اليوم ... » انما كانت تقال ، حسبما يذكر كتاب القداس عند السريان ، أمام المذبح ، بعد أن يصرف الشعب ويعود الى المذبح ليتناول الباقي ،ولا علاقة لها مطلقا بتنظيف الآنية بل هي بمثابة صلاة خاصة ختامية .

٢ ــ تنظيف الآنية

ترافق بعض الفقرات المزمورية غسل الاصابع والآنية وهذا موافق للعادة الطقسية المألوفة حيث لا يقام عمل بدون ارفاقه بصلاة أو آية من الكتاب . انما تجدر الملاحظة الى أن ما يظنه الكاهن صلاة عند تنظيف الكأس والذي يبدأ بعبارة « نظف يا رب ... » ... انما هو بالواقع نشيد على الوزن الافرامي كانت االشمامسة تقوله وأصبح اليوم على فم الكاهن .

٣ ــ صلوات الشكر والبركة

هي اليوم اربع صلوات ، اثنتان تتبدلان مع النافور واثنتان شاملتان تقالان في كل قداس . تضاف ايضاً الى الصلوات الاربع البركة الأخيرة العامة .

١ ــ **الصلاة الاولى :** هي صلاة الشكر يسبقها عادة في سائر الطقوس اعلان الشماس القائل :

« فلنشكر الرب على موهبته ». فيتلو الكاهن عندئذ صلاة الشكر الموجهة عادة للآب أو للثالوث .

٢ ـ **الصلاة الثانية :** كان الكاهن يلتفت نحو الشعب ويلقي السلام عليهم ثم يضع يده فوقهم علامة البركة ويتلو صلاة وضع اليد وهي عادة موجهة للمسيح .

٣ ـ **الصلاة الثالثة :** « يا رب بارك على جميعنا ...» ختام . اي صلاة ختامية بمثابة بركة . وكان للقداس والصلاة مجموعة من « الختامات » يختار منها الكاهن ما يشاء ، وقد ورد هذا الختام واحداً من مجموعة الحق كأنه ختام الزامي في القداس الماروني . لكنه لا يزال في القداس السرياني واحداً يختاره الكاهن من مجموعة .

٤ ـ **الصلاة الرابعة :** « اذهبوا بسلام » هي ايضاً ختام ،. وقد اتخذ في القداس السرياني صفة البركة النهائية بالصليب اذ يتلوه الكاهن وهو ملتفت نحو الشعب مباركاً اياهم بالصليب .

البركة الأخيرة

هي ايضاً بركة بعد بركة ، وهي في القداس الماروني من تأثير نافور شرر الذي كان يضع بركة اخيرة كانت بالاساس محل البركة بحسب الاختيار .

أما ما نسميه اليوم الانجيل الأخير ، وهو بالواقع ختام للقداس الاحتفالي : « يا إله الخير ... » فهو بركة ختامية أو ختام كان الكاهن يقوله على باب الخورص بينما يحمل الخادمان شمعتين مضاءتين . وهذا ما يحدث في القداس الكلداني الحالي .

الخاتمة

في درسنا لكتاب القداس الماروني ، منذ نشأته حتى الحالة الحاضرة سعينا الى أن نتفهم ما نقوم به اليوم كي لا تكون طقوسنا مجرد أقوال وأعمال جوفاء بدون معنى واضح مكشوف . وقد اضطررنا ، لتبيان ذلك ، الى العودة الى الأصول المارونية والسريانية الشرقية منها والغربية والى الغوص في تاريخنا الطقسي الماروني مع مختلف التطورات والعقبات التي مرّ بها وبنوع خاص التأثيرات المتأتيـــة من الأفكار اللاهوتية الغربية . وفي كل هذا نترك للتاريخ حكمه على الأشخاص لكننا لسنا مكلفين بفتح أوراق الدعاوى والاحكام والقضاء . لقد كان للظروف الخاصة والايام العصيبة دور هام في التضحية ببعض الشيء للمحافظة على الجوهر ، ولم يكن من السهل للنازحين من بلد الى بلد ومن واد الى وادٍ أن يوقفوا سير رحلتهم وأن تستكين أفكارهم القلقة من رهبة الاضطهاد ، لم يكن من السهل لهم أن يشيدوا المكتبات ويحفظوا الاسفار ويكثروا من نسخ المخطوطات ، كان همهم أن يحفظوا لنا الايمان الانجيلي بدون لوم ولا عثار . وقد أظهرت الأيام أن هذا القطيع الصغير قد صمد في وجه ريح البحر وخمسين الصحراء !

أما اليوم وقد هدأت العواصف واجتزنا الى العبر بسلام فينبغي لنا أن نجلس

أولاً ونحسب ما عندنا . علينا أن نعود الى طقوسنا الحالية فندرسها ونشرحها ونتفهمها لنتمكن من اظهار جمالها بشكل أوضح فيتسنى لشعب الله أن يحياها وأن يتغذى منها .

نحن اليوم في حقبة مقدسة يظللها الروح القدس الذي هيمن على اجواءالمجمع المسكوني . الكنيسة كلها تجدد طقوسها ، العالم كلّه يتجدد ، ونحن ايضاً بامكاننا لا بل يجب علينا أن نجدّد طقوسنا وأن ننظمها وننسّقها على ضوء تقاليدنا المارونية الانطاكية وعلى ضوء تعاليم المجمع المسكوني وخاصة بحسب مقتضيات الايام التي نعيشها . خير ان شاء الله !

فهرست

	صفحة
فهرس	
المقدمة	٧
القسم الأول	١١
الفصل الأول : طبع كتاب القداس الماروني	١٣
الطبعة الأولى	١٣
أولا : الأحداث السابقة للطبعة	١٣
ثانيا : ظهور الطبعة الأولى ومضمونها	١٧
ثالثا : المخطوط الأصلي	٢٠
رابعاً : الفوارق بين المخطوط الأصلي والكتاب المطبوع	٢٩
خامساً : أصداء الطبعة الأولى في الطائفة	٣٥
الطبعة الثانية	٣٨
أولا : ظهور الطبعة ومضمونها	٣٨
ثانيا : الفوارق بين الطبعة الأولى والطبعة الثانية	٤٥
الطبعة الثالثة	٥٢

صفحة

الطبعات الرابعة والخامسة ،السادسة ، السابعة ٥٧
الطبعة الثامنة ٥٩
الطبعة التاسعة ٦١
الطبعة العاشرة ٦٣
طبعات مختصرة ٦٤
ختام الكلام عن طبعات كتاب القداس ٦٥

الفصل الثاني

طبع كتاب خدمة القداس ٦٦
الطبعة الأولى ٦٧
الطبعات المختلفة لخدمة القداس ٦٩

الفصل الثالث

القداس الماروني في المخطوطات السابقة للطبعة الأولى ٧١
القداس في أقدم مخطوط ماروني ٧٧

الفصل الرابع

القداس الماروني بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عشر ٨٥
١ ــ المخطوطات الكنسية المارونية ٨٥
٢ ــ الكتب التاريخية المنسوبة إلى الموارنة ٨٧
٣ ــ المراجع السريانية الإنطاكية ٨٧

صفحة

الفصل الخامس :

القداس الماروني من قبل القرن العاشر ٨٩

١ ـ الموارنة والسريان الانطاكيون ٩٠

٢ ـ الموارنة والسريان الشرقيون ٩٢

٣ ـ الموارنة والملكيون ٩٤

٤ ـ الشروح والنصوص للقداس الأورشليمي والانطاكي قبل القرن الخامس

القسم الثاني : شرح القداس الحالي

مقدمات ١٠١

ا ـ أقسام القداس

ب ـ الشكل الهندسي للكنيسة المارونية في الداخل ١٠٢

القسم الأول من القداس : الاستعداد ١٠٥

١ ـ الاتشاح بالملابس الكهنوتية ١٠٦

٢ ـ إضاءة الشموع ١١٠

٣ ـ الصعود إلى المذبح مع البخور ١١١

٤ ـ تهيئة القرابين ١١٥

٥ ـ رتبة العودة إلى المذبح (ثانية)مع البخور ١٢٠

أ ـ صلاة الاستغفار ١٢٠

ب ـ آيات الصعود إلى المذبح ١٢٢

ج ـ البخور : اقبل يا واد التائبين ١٢٤

	صفحة
٦ ــ الفرض الأول	١٢٥
خاتمة : معنى الفرض الأول	١٣٣
٧ ــ التذكارات على القرابين	١٣٤
٨ ــ رتبة الصعود إلى المذبح (ثالثة)مع البخور	١٣٨
٩ ــ الفرض الثاني	١٣٩
١٠ ــ التقديسات الثلاث مع البخور	١٤٣
خاتمة الكلام عن القسم الأول من القداس	١٤٨
القسم الثاني : التعليمي	١٥١
مقدمات	١٥١
مقدمة أولى : المقابل للقسم التعليمي في اليهودية والإسلام	
أ ــ اجتماع السبت عند اليهود	١٥١
ب ــ صلاة الجمعة في الإسلام	١٥٢
مقدمة ثانية : القسم التعليمي في أجيال الكنيسة الأولى	١٥٢
ــ القسم التعليمي الحالي	١٥٥
١ ــ مزمور التسابيح	١٥٥
٢ ــ الرسائل	١٥٩
مقدمات الإنجيل	١٦٢
٣ ــ مقدمات الإنجيل	١٦٢
٤ ــ الانجيل	١٦٩
٥ ــ العظة ، الكرازة	١٧٠

الخوري بطرس الجميل

القداس الماروني

دروسٌ ونصوص

منشوراتُ الرابطةِ الكهنوتيّة